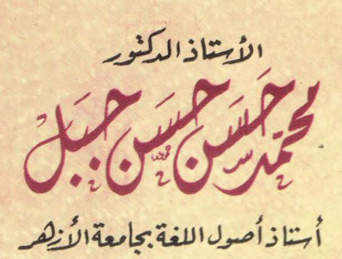
الأستاذ الدكتور

محمد حسن حسن جبل



أستاذ أصول اللغة بجامعة الأزهر



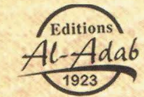


# القضية القرآنية الكبرى




## ثلاث معالجات:

١- معالجة تحليلية. ٢- تلخيص رأي الإمام أبي شامة المقدسي. ٣- معالجة بالمأثور.


42 Opera Square - Cairo Tel: (202) 23900868




٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة. ت: ٢٣٩٠٠٨٦٨

«القضية القُرآنيَّة الكُبرى»

# حَدِيثُ
# نُزولِ القرآنِ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ

## ثَلاثُ مُعالجاتٍ:

١ـ مُعَالجَةٌ تحليليَّةٌ . ٢ ـ تَلْخِيص رَأْيِ الإِمَامِ أَبِي شَامَةَ المقْدِسِيِّ. ٣ـ مُعَالجَةٌ بِالمأْثُورِ.


تَأْلِيف

**الأُسْتاذ الدكْتور**

**محمد حسن حسن جبل**

أُستاذ أُصُولِ اللغةِ بجامعةِ الأَزْهَرِ

العَمِيد الأَسْبق لِكُلِّيَةِ اللغَةِ العَرَبيَّةِ بالمنْصُورَةِ

حاليًا أُستاذ مُتفرِّغ بِكُلِّيَةِ القُرْآنِ الْكَرِيمِ بطنطا



**١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م**




42 Opera square - Cairo – Egypt

مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة ت: ٢٣٩٠٠٨٦٨

البريد الإلكتروني e.mail: adabook@hotmail.com




## بطاقة فهرسة

**فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب**

**والوثائق القومية إدارة الشئون الفنية**

جبل، محمد حسن حسن.

نزول القُرآن على سبعة أحرف ثلاث معالجات:

١- معالجة تحليلية. ٢- تلخيص رأي الإمام أبي شامة المقدسي. ٣- معالجة بالمأثور. / تأليف محمد حسن حسن جبل. - القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٤.

١٩٢ ص؛ ٢٤ سم.

تدمك: ٤ ٦١٨ ٤٦٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القرآن - القراءات

أ- العنوان

**رقم الإيداع: ٣٣٨٣ لسنة ٢٠١٤**

**الترقيم الدولي:** I.S.B.N: 978 977 468 618 4





**الناشر**

مكتبة الآداب

على حسن



**٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة ت: ٢٣٩٠٠٨٦٨**

e.mail:adabook@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# مُقَدِّمَة

الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالمينَ ، وَصَلاَةُ الله وَسَلاَمُهُ وَتَحِيَّاتُهُ وَرَحَمَاتُهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَىٰ خَيْرِ خَلْقِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالاَهُ وَتَبِعَهُ بِإِحْسَانٍ ،

وَبَعْـــدُ،،

فَهَـٰذِهِ دِرَاسَةٌ لِحَدِيثِ :«نُزُول الْقُرْآن الْكَرِيمِ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ» ـ وَهُوَ حَدِيثٌ مُتَوَاتِرٌ، وَيعدُّ فَهْمُ المرَادُ بِهِ أَكْثَر مَسَائِلِ التراثِ إِشْكَالًا ـ كُنْتُ قَدْ أَعْدَدْتُهَا فِي رَجَبٍ سَنَةَ ١٤٠٩هـ/ مَارس سنة ١٩٨٩م؛ لِتكُونَ جُزْءًا مِنْ مُقَرَّرِ مَادَّةِ «اللَّهَجَاتِ الْعَرَبِيَّةِ» لِطُلَّابِ كُلِّيَّةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالمنْصُورَةِ. ثُمَّ مَنَّ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَيَّ، فَانْتَقَلْتُ إِلَىٰ كُلِّيَّةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِطَنْطَا. وَأَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِدِرَاسَةِ هَـٰذَا المَوْضُوعِ. فَأَعَدْتُ النَّظَرَ فِيهِ، وَنَقَّحْتُهُ، وَأَضَفْتُ مَا يدعم الْوُصُول إِلَىٰ المَرَادِ بِالْأَحْرُفِ السبْعَةِ دَعْمًا عِلْمِيًّا. ثُمَّ أَضَفْتُ مُعَالجَتَيْنِ لِلْموضوعِ إِحْدَاهُمَا تَلْخِيصٌ لِرَأْيِ الْإِمَامِ أَبِي شَامَةَ المقْدسِيِّ، وَهُوَ إِمَامٌ جَلِيلٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْقِرَاءَاتِ (ت ٦٦٥هـ)، وَالْأُخْرَىٰ عِلَاجٌ مُقْتَصِرٌ عَلَىٰ الرِّوَايَةِ، سَمَّيْتُهُ مُعَالجَةً بالمأْثُورِ.

لَقَدْ كَانَ وَرَاءَ الْإِصْرَارِ عَلَىٰ إِخْرَاجِ هَـٰذَا الْكِتَابِ أَمْرَانِ: أَوَّلهما الحِرْص عَلَىٰ حَسْمِ الرَّأْيِ فِي المَرَادِ بِالْأَحْرُفِ السبْعَةِ ؛ رِعَايَةً لحَقِّ الْقُرْآنِ وَحَقِّ الْعِلْمِ، وَحَقِّ المسْلِمِينَ،

وَثَانِيهما: دَفع مُعَايَرَةِ الْآخَرِينَ لَنَا بِالْعَجْزِ عَنْ تَفْسِيرِ هَـٰذَا الْحَدِيثِ الشرِيفِ[1].

وَعَلَىٰ الرغْمِ مِنْ أَنَّ الَّذِي انْتَهَىٰ إِلَيْهِ تَحْلِيلُ الحَدِيثِ تَحْلِيلًا عِلْمِيًّا، وَأيدتْهُ المعَالَجتَانِ الْأُخْرَيَانِ: هُوَ الَّذِي قَالَ المتقدِّمُون إِنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ عَيَّنْتُ أَنَا بَعْضًا مِنْ هَـٰؤُلَاءِ (الْأَكْثر)، فَإِنَّ جُمْهُورَ الدارِسِينَ المحدثينَ جَنَحُوا إِلَىٰ مُقْتَرَحَاتٍ مُبْتَسرةٍ يُفَاضِلُونَ بَيْنَهَا، حَتَّىٰ أَصْبَحَ الحَسْمُ المستَهْدَفُ بِالرُّجُوعِ أَوِ الْوُصُولِ إِلَىٰ رَأْيِ (أَهْلِ الْعِلْمِ) لَا يَتَجَاوَزُ الرَّجَاءَ، لَيْسَ بِسَبَبِ قُصُورٍ أَوْ الْتِبَاسٍ أَوْ غُمِوضٍ، وَإِنَّمَا لِأُمورٍ تَشُوبُ مَنَاهِجَ الدَّرْسِ وَالاسْتِقْبَالِ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ المحْدَثِينَ المتصَدِّين لدرسِ مِثْلِ هَـٰذِهِ الْقَضَايَا الْقُرْآنِيَّةِ، وَعُظْمُ عُدَّتهم الحماسُ وَحْدَهُ. إِنَّنَا جَمِيعًا ـ وَالحَمْدُ لله ـ مُتَحَمِّسُونَ لِلْقُرآنِ الْكَرِيمِ وَبَيَان حَصَانَةِ مَسِيرَتِهِ مِنْ كُلِّ خَلَلٍ. بَيْدَ أَنَّ كَثِيرِينَ يُؤْثِرُونَ الصورَةَ الْقَرِيبَةَ لِهَـٰذِهِ الحَصَانَةِ؛ تَجَنُّبًا وَفُتُورًا عَنْ جُهدِ التَّمْحِيصِ الْعِلْمِيِّ المدقق، الَّذِي يُوَصِّلُ لِتَحْصِينِ الْقُرْآنِ وَكَفَالَةِ حِفْظِهِ إِزَاءَ خصومِهِ ومُهَاجِمِيهِ، تَحْقِيقًا لِوَعْدِ الله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٨]. وَقَدْ آثرْتُ سَبِيلَ التمْحِيصِ الْعِلْمِيِّ حَتَّىٰ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُه خَشِنًا عَلَىٰ النُّفُوسِ، فَهَـٰذَا أَصْلَدُ حَصَانَةً فِي وَجْهِ الطاعِنِينَ، وَأَقَرُّ طَمْأَنَةً، وَأَقْرَبُ إِلَىٰ دِينِ الله الْإِسْلَامِ مِمَّا ظَاهره السلَامة، لَكِن قِوَامُه حماس دُون عُمْقٍ وَرَصَانة عِلْمِيَّيْنِ. وَلله الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْد.

---

(١) ينظر عن معايرة المتقدمين لنا كتاب «الانتصار للقرآن» للباقلاني. ت ٤٠٣هـ (تح. عمر القيام) ١/ ٣٠٠، وعن معايرة المتأخرين ينظر: «تاريخ القرآن». تيودور نولدكه وآخرين (ترجمة د. جورج تامر وفريق عمل) ١/ ٤٥- ٤٦، و«مذاهب التفسير الإسلامي»: اجنتس جولد تسيهر (ترجمة د. عبد الحليم النجار) ص٥٣.

أَسْأَلُ اللَّـهَ تَعَالَىٰ أَنْ يَتَقَبَّلَ مَا فِي هَـٰذَا الْكِتَابِ مِن جُهْدٍ قَبُولًا حَسَنًا، وَأَنْ يَتَجَاوَزَ سُبْحَانَهُ عَمَّا قَدْ يَكُونُ فِي مُقَرَّرَاتِهِ مِنْ حيودٍ عَنِ الصوَابِ. وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ .

**والحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالمِينَ ،،**

طَنْطَا في: رَجَب ١٤٣٣هـ/ يونية ٢٠١٢م


الْفَقِيرُ إِلَىٰ اللَّـهِ تَعَالَىٰ

الأُسْتَاذ الدكْتُور

**محمد حسن حسن جبل**

أُستاذ أُصُولِ اللغَةِ بجامعةِ الأَزْهَرِ

العَمِيد الأَسْبق لِكُلِّيَّةِ اللغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بالمنْصُورَة

حاليًا أُستاذ مُتفرِّغ بِكُلِّيَّةِ القُرْآنِ الْكَرِيمِ




# الباب الأول
# فصول تاريخية

## الفصل الأول

## «بعض روايات حديث نزول القرآن على سبعة أحرف»

جاء في الصحيحين: قال رسول الله ﷺ: « أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَىٰ حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّىٰ انتهَىٰ إِلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ» [1].

وجاء في صحيح مسلم «عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أَنَّ النبِيَّ ﷺ كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ. قَالَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام فقَالَ :إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ حَرْفٍ. فَقَالَ: أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ. ثُمَّ أَتَاهُ الثانِيَة ،فَقَالَ : إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ حَرْفَيْنِ. فَقَالَ أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لا تطِيقُ ذَلِكَ. ثُمَّ جاءَهُ الثالِثَة، فَقَالَ :إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرآنَ عَلَىٰ ثَلاثَةِ أَحْرُفٍ. فقَالَ:

---

(١) الحديث في الجامع الصحيح للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ) عناية محمد زهير ابن ناصر (دار المنهاج ودار طوق النجاة ط ٢- ١٤٢٩هـ) مج ٣جـ٦/ ١٨٤ برقم ٤٩٩١، وهو في صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ) بشرح الإمام محيي الدين النووي (ت ٦٧٦هـ) المسمىٰ: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (حقق أصوله وخرّج أحاديثه ورقّمه الشيخ خليل مأمون شيحا. دار المعرفة بيروت ط١٥-١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م) مج٥، ٦ ص٣٤٣ برقم ١٨٩٩.

أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لا تطِيقُ ذَلِكَ. ثُمَّ جَاءَهُ الرابِعَة ،فَقَالَ:إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ. فَأَيُّما حَرْفٍ قَرَءُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصابُوا» (١).

وَجَاءَ فِي سُنَنِ التِرْمِذي (محمد بن عيسىٰ ت ٢٧٩هـ) (برقم ٢٩٤٤):

«عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: لقي رسولُ الله ﷺ جِبْرِيلَ، فقال: يا جبريلُ إني بُعِثْتُ إِلىٰ أُمَّة أُمِّيِّين: مِنْهُم العجوزُ، والشيخُ الكبير، والغلامُ، والجاريةُ، والرجلُ الذي لم يقرأ كتابًا قَطُّ. قال: يا محمد إن القرآن أُنْزِل علىٰ سبعة أحرف. قال التِرْمِذي: «هذا حديث حسن صحيح» (٢).

وجاء في سنن أبي داود (سليمان بن الأشعث ـ ت ٢٧٥هـ)(برقم ١٤٧٧):

«عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعبٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : يا أُبَيُّ إني أُقْرِئْتُ القرآنَ. فَقِيلَ لِي: علىٰ حَرْفٍ أَوْ حَرْفَينِ؟ فَقَالَ المَلكُ الذِي مَعِي: قل عَلَىٰ حَرْفَيْنِ. قُلْتُ: عَلَىٰ حَرْفَينِ. فَقِيلَ لِي: عَلَىٰ حَرْفين أَوْ ثلاثة؟ فَقَال المَلكُ الذِي مَعِي: قُلْ عَلَىٰ ثَلاثَةٍ. فقلت: عَلَىٰ ثلاثة. حَتَّىٰ بَلَغَ سَبعةَ أحْرُفٍ. ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ مِنْهَا إِلَّا شَافٍ كَافٍ. إِنْ قُلْتَ سَمِيعًا عَلِيمًا، عَزِيزًا حكيمًا، ما لم تختمْ آيةَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ، أو آيةَ رحمةٍ بعذابٍ» (٣).

وَجاءَ في (مُصَنَّفِ) ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ (عبد الله بن محمد. ـ ت ٢٣٥هـ): بِسنَدٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمـٰنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ أن جِبريلَ قَال لِرسولِ الله ﷺ : « أقرأ القرآن علىٰ

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (تح. شيحا جـ٥، ٦ ص٣٤٤ برقم ١٩٠٣) . والحديث في (المجتبى) من سنن الإمام أحمد بن علي النسائي (ت ٣٠٣هـ ) بشرح السيوطي وحاشية السندي عناية عبد الفتاح أبو غدة (ط ٣- ١٤١٤/ ١٩٩٤) جـ٢ ص١٥٢ برقم ٩٣٩.

(٢) الجامع الكبير للإمام الحافظ أبي عيسىٰ محمد بن عيسىٰ الترمذي (ت ٢٧٩هـ) حققه د . بشار عواد (دار الغرب الإسلامي ط٢ –١٩٩٨م) مج ٥ ص٦٠ برقم ٢٩٤٤ .

(٣) سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ) حقَّق أصوله وخرَّج أحاديثه ورقَّمه الشيخ خليل مأمون (دار المعرفة لبنان ط .١٤٢٢هـ، مج١، ٢- ٢/ ١٠٤) برقم( ١٤٧٧).

حرف. فقال له ميكائيل: اسْتَزِدْهُ. فقال: علىٰ حرفين. ثمَّ قال اسْتَزِدهُ. حتَّىٰ بلغ سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ كقولك: هَلُمَّ وَتَعَالَ. ما لم تختم آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب برحمة» .قَالَ الشيْخُ أَحْمَدُ شَاكِر: وَفِي المسْنَدِ [يَعْنِي مُسْنَدَ أَحْمَدَ] بلفظ «نحو قولك: تعال، وأَقْبِلْ، وهَلُمَّ، واذْهَبْ، وأَسْرِعْ، واعْجَلْ» [1]. وأقول أنا ـ محمد حسن جبل ـ : هذا الحديث له تكملة مهمة: فقد جاء في كتاب الإمام الداني: «جامع البيان» بعد قوله :«حتَّىٰ بلغ سبعة أحرف»: «وفي حديث الحسن بن دينار: فنظرت إلىٰ ميكائيل، فَسَكَتَ، فَعَلِمْتُ أنه قد انتهت العِدّة. فقال جبريل: اقرأه علىٰ سبعة أحرف كلهن شافٍ كافٍ لا يَضُرُّكَ كيف قرأت ما لم تختم رحمةً بعذاب أو عذابا برحمة ـ في

---

(١) هذا الحديث في مصنف ابن أبي شيبة تح .كمال يوسف الحوت ٦/ ١٣٨ عن زيد بن حباب عن حماد بن سلمة. على بن زيد بن جدعان عن عبد الرحمن ابن أبي بكرة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ : قال جبريل: اقرأوا القرآن علىٰ حرف، فقال ميكائيل: استزده ، فقال: علىٰ حرفين حتىٰ بلغ ستة أو سبعة أحرف ـ فقال: كلها شافٍ كافٍ ، ما لم يختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب، كقولك: هَلُمَّ وتَعَال. والحديث رواه أحمد في المسند ٥/ ٥١ عن عفان بن مسلم بنحوه ، وفي ٥/ ٤١ عن ابن مهدي عن حماد مختصرًا، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٥١ : رواه أحمد والطبراني بنحوه إلا أنه قال: واذْهَبْ وأَدْبِر. وفيه علي بن زيد بن جدعان وهو سيئ الحفظ وقد توبع، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح.

وأخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٤٣ من طريق زيد بن الحباب عن حماد بن سلمة بنحوه. وله شاهد من حديث حذيفة عند البزار نقله في مجمع الزوائد ٧/ ١٥٠ وقال: «وفيه عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه كلام لا يضر»، وبقية رجاله رجال الصحيح. وله شاهد آخر من حديث أبي عند عبد الرازق في مصنفه ١٢/ ٢١٩ باب (علىٰ كم أُنزل القرآن من حرف) ، وعند أبي داود في الصلاة باب (أنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف) ، وعند النسائي في الافتتاح باب (جامع ما جاء في القرآن). ونسبه في كنز العمال ٢/ ٥١ إلىٰ عبيد بن حميد. ونسبه في حديث عبادة بن الصامت إلى ابن الضريس. وعليه فالحديث حسن لغيره . وينظر كتاب الأحرف السبعة للداني (تح . د . عبد المهيمن طحان) ص٢١ – ٢٢. (مقتطف من جامع البيان) .

حديث الحسن، وفي حديث حماد: «ما لم تختم آية رحمة بعذاب أو آية عذاب بمغفرة»اهـ[1]

وعبارة «فنظرت» إلىٰ كلمة «العدة» ذكرها أئمة كثيرون»[2].

وَأَوْرَدَ الإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِير الطبريّ (ت ٣١٠هـ)[3]، أَرْبَعِينَ رواية لحديثِ نُزُولِ الْقُرْآنِ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، هَذه إِحْدَاهَا: «حَدَّثَنِي يُونس بْنُ عَبْدُ الأَعْلَىٰ قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزبيرِ أن المِسْورَ بنَ مَخْرَمَةَ وعبد الرحمنِ بن عبدٍ القاريّ أخبراهُ أَنَّهُما سَمِعَا عمرَ بنَ الخَطَّابِ ﷺ يَقولُ: سمعتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الفُرقانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ الله ﷺ فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِه، فَإِذا هُوَ يَقرؤها عَلىٰ حُرُوفٍ كَثِيرة لم يُقْرِئنِيهَا رَسُولُ الله ﷺ فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ في الصلَاةِ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّىٰ سَلَّمَ، فَلَّما سَلَّمَ لَبَبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سمعتكَ تَقرؤُهَا؟ قَال أقرأنيها رسولُ الله ﷺ .. فقلتُ :كَذَبْتَ. فَوالله إِنَّ رسولَ الله ﷺ لهو أَقْرَأَنِي هَـٰذِهِ السورَةَ الَّتِي سَمعتُكَ تقرؤها!. فانطلقت به أَقُودُهُ إِلىٰ رسولِ الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إِني سمعت هذا يقرأُ سورةَ الفرقانِ عَلَىٰ حُروف لم تقرئنيها، وأنت أقرأتني سورةَ الفرقان. قال: فقال رسول الله ﷺ : أَرْسِلْه يا عمرُ. اقرأ يا هشامُ. فقرأ عليه القراءةَ الَّتِي سَمعتُه يقرؤها. فَقال رسول الله ﷺ :«هَكذا أُنْزِلَتْ». ثم قال رسول

---

(١) جامع البيان للداني ( تح . الطرهوني ) : ١/ ١٠٥ .

(٢) منهم السيوطي في الإتقان (نوع ١٦) (ط عالم الكتب) ١/ ٤٦ س٤، وابن الجزري في النشر(ط المكتبة التجارية ص٢٦)، والنويري في شرح طيبة النشر، والإمام الآلوسي في خطبة (روح المعاني)، وحسبك بهؤلاء مع الداني شهادة للاعتداد بها، انظره في جامع البيان (تح.الطرهوني) ١/ ١٠٥،و(الأحرف السبعة) له مقتطف من (جامع البيان) للداني تح طحان :١٩، ٢٠ .وذكر العبارة كثيرون غير هؤلاء.انظر شبكة المعلومات.

(٣) في تفسيره المشهور (تح . شاكر) جـ١ ص٢١ إلىٰ ٤٦ .

الله ﷺ: اقرأ يا عمر: فقرأت القراءة التي أقرأني رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «هكذا أُنْزِلَت. إن هذا القرآن أُنزِلَ علىٰ سبعة أحرف. فاقرءوا ما تيسر منها»[1].

ونُنَبِّهُ أولًا إلىٰ أن الرواياتِ الأربعينَ الَّتِي أوردها الطبريُّ في هذا الموضوع منها إحدىٰ وثلاثون روايةً صحيحةَ الإسنادِ أو مستوفيةَ شروطِ الإسنادِ الحسنِ المقبولِ[2].
وقد روىٰ البخاريُّ حديثَ عمرَ وهشامٍ هذا[3]، وآخر غيره[4]. وبعض الروايات الباقية في تفسير الطبريّ صحيحة الإسناد أيضًا، ولكنها مرسلة، فلم نضمنْهَا في هذا الإحصاء لذلك. وعلىٰ ذَلِكَ فَالحديثُ صَحيحٌ تمامًا لا مطعن في إسناده ولا فِي مَتْنِهِ الَّذي أوردناه.
وَقَدْ ذَكَرَ السُيوطِيُّ أسماءَ واحدٍ وعِشرينَ صَحَابيًّا[5] ورد عنهم الحديث، وقال: «قَدْ نَصَّ أَبُو عُبَيْدٍ عَلَىٰ تَوَاتُرِهِ»[6].

# الفَصْلُ الثَّانِي

## « الأَقْوَالُ التراثيَّةُ في المُرَادِ بِالأَحْرُفِ السبْعَةِ»

(إِنَّ شَيْخَ الإسلام مولانا الإمامَ جلالَ الدينِ عبدَ الرحمـٰنِ بن أبي بكر السُيُوطِيَّ

---

(١) تفسير الطبري (تح . شاكر) ١/ ٢٤- ٢٥ برقم( ١٥).

(٢) حسب دراسة الشيخين الجليلين أحمد محمد شاكر ومحمود محمد شاكر لأحاديث تفسير الطبري وتخريجها في تحقيقهما لذلك التفسير الجليل .

(٣) ينظر الجامع الصحيح للإمام البخاري بعناية محمد زهير بن ناصر ط٢- ١٤٢٩هـ مج٣ جـ٦/ ١٨٤- ١٨٥ برقم ٤٩٩٢.

(٤) هو حديث الصحيحين الذي بدأنا به هذا الكتاب المبارك ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ.

(٥) ستأتي أسماؤهم في أول الفصل الثاني من هذا الباب. ـ إن شاء الله ـ.

(٦) الإتقان للسيوطي النوع ١٦ جـ١/ ٤٥ .

(ت ٩١١هـ) جمع في كتابه الجليل: «الإتقان في علوم القرآن» آراءَ العلماءِ الذين سَبقُوهُ إلىٰ عصره في المراد بنزول القرآنِ عَلىٰ سَبْعَةِ أحرفٍ. وَقَدْ أَتْبَعَ الأقوالَ بما أُثِر من مناقشتِهَا. وقد آثرتُ أن آتيَ بِهَا كما ذكرها السيُوطيُّ ؛ لأنَّها تقدِّمُ صورةً شاملةً للآراءِ المأثورةِ، ولما نوقش به كلّ منها، وذلك لحقِّ العلمِ وحقِّ السُيوطيِّ وحقِّ الدارسِ أيضًا، ثمَّ توطئة لتلخيصها في مجموعات، وعرض مناقشتنا لكلٍّ من تلك المجموعات، لِنَصِلَ إلىٰ رأينا في المراد بالأحرفِ السبعةِ في الحديثِ الشريفِ. واللهُ المستعانُ).

قَالَ الإمامُ السُيوطيُّ في المسْأَلَةِ الثالثة من مسائل النوع السادس عشر في كيفية إنزال القرآن الكريم[1] « المسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ فِي الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ الَّتِي نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَيْهَا. قُلْتُ ورد حديث نزول القرآن علىٰ سبعة أحرف من رواية جَمْعٍ من الصحابة أُبَيِّ بن كعب، وأنس، وحذيفةَ بنِ اليمان، وزيد بن أرقم، وسَمُرَةَ بْنِ جُنْدَب، وسُليمانَ بنِ صُرَدَ، وابنِ عبَّاس، وابن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وعمر بن الخطاب، وعَمْرو بن أبي سلمة، وعَمْرو بن العاص، ومُعاذ بن جبل، وهشام بن حكيم، وأبي بَكْرَةَ، وأبِي جهم، وأَبِي سَعِيدٍ الخدريّ، وأبي طلحة الأنصاريّ، وأبي هريرة، وأبي أيوب فهؤلاء أحد وعشرون صحابيًا. وقد نصَّ أبو عبيد علىٰ تواتره. وأخرج أبو يَعْلىٰ في مسنده أن عثمان قال علىٰ المنبر أُذَكِّرُ اللهَ رجلًا سمع النبي ﷺ قال :إن القرآن أُنْزِلَ علىٰ سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ لـمَّا قام. فقاموا حتَّىٰ لم يُحْصَوْا، فشهدوا بذلك. فقال عثمان وأنا أشهد معهم.

قال السيوطيُّ وسأسوق من رواياتهم ما يُحْتاج إليه (فأقول): اخْتُلِف في معنىٰ هذا

---

(١) نقلته بنصِّه من ط . (عالم الكتب . بيروت) (١/ ٤٥- ٤٩) مع إضافة الضروري من الضبط والإيضاحات. فكل التعليقات علىٰ المنقول في هذا الفصل الثاني هي مسئوليتي.

الحديث عَلىٰ نحو أربعين قولًا.

أحدُها: «أَنَّهُ مِنَ المشكِلِ الَّذِي لَا يُدْرَىٰ مَعْنَاهُ ؛ لِأَنَّ الحَرْفَ يَصْدُقُ لُغَةً عَلَىٰ حَرْفِ الهِجَاءِ، وَعَلَىٰ الْكَلِمَةِ، وَعَلَىٰ المعْنَىٰ، وَعَلَىٰ الجِهَةِ. قَالَهُ ابْنُ سَعْدَان النَّحويُّ» .

الثَّانِي: «أَنَّهُ لَيْسَ المرَادُ بِالسَّبْعَةِ حَقِيقَةَ الْعَدَدِ، بَلِ المرَادُ التَّيْسِيرُ وَالتَّسْهِيلُ وَالسعَةُ. وَلَفْظُ السبعةِ يُطْلَقُ عَلَىٰ إِرَادَةِ الْكَثْرَةِ فِي الْآحَادِ، كَمَا يُطْلَقُ السَّبْعُونَ فِي الْعَشَرَاتِ، وَالسَّبْعُمِائَةُ فِي المئِين، وَلَا يُرَادُ الْعَدَدُ المعَيَّنُ. وَإِلَىٰ هَذَا جَنَحَ عِيَاضٌ وَمَنْ تَبِعَهُ. وَيَرُدُّهُ مَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَىٰ حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ». وَفِي حَدِيثِ أُبَيٍّ عِنْدَ مُسْلِمٍ : «إِنَّ رَبِّي أَرْسَلَ إِلَيَّ أَن اقْرأ القُرْآنَ عَلىٰ حَرْفٍ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ علىٰ أُمَّتِي. فَأَرْسَلَ إِلَيَّ أن اقْرأهُ عَلَىٰ حَرْفَيْنِ. فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ علىٰ أُمَّتِي. فَأَرْسَلَ إِلَيَّ أَنِ اقْرَأْهُ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ .

وَفِي لَفْظٍ عَنْهُ عِنْدَ النسَائِيِّ «أَنَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ أَتَيَانِي فَقَعَدَ جِبْرِيلُ عَنْ يَمِينِي وَمِيكَائِيلُ عَنْ يَسَارِي، فَقَالَ جِبْرِيلُ اقْرَأ الْقُرْآنَ عَلَىٰ حَرْفٍ. فَقَالَ مِيكَائِيلُ اسْتَزِدْهُ. حَتَّىٰ بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ. وَفِي حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ: اقرأه [أَيْ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ] فَنَظَرْتُ إِلَىٰ مِيكَائِيلَ فَسَكَتَ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ قَدِ انْتَهتِ الْعدةُ.[1] فَهَذَا يَدلُّ عَلَىٰ إِرَادَةِ حَقِيقَةِ الْعَدَدِ وَانْحِصَارِهِ » .

الثَّالِثُ: «أَنَّ المرَادَ بِهَا سَبْعُ قِرَاءَاتٍ وتُعُقِّبَ بِأَنَّهُ لَا يُوجَدُ فِي الْقُرْآنِ كَلِمَةٌ تُقْرَأُ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَوْجُه إِلَّا الْقَلِيل مِثْل: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [المائدة :٦٠] ﴿فلا تقل لهما أف﴾

---

(١) بشأن هذا الحديث انظر الحديث الخامس في الفصل الأول السابق لهذا .

[الإسراء :٢٣]. وأجيبَ بأنَّ المرَادَ أنّ كُلَّ كَلمَةٍ تُقْرأ بِوَجْهٍ، أَوْ وَجْهَيْنِ، أَوْ ثَلاثَةٍ، أَوْ أَكْثَرَ إلى سَبْعَةٍ.

**الرَّابِعُ:** «ويُشْكِلُ عَلَىٰ هَـٰذَا الثَّالِثِ أَنَّ فِي الْكَلِمَاتِ مَا قُرِئَ عَلَىٰ أَكْثَرَ (مِنْ سَبْعَةِ أَوْجُهٍ) وَهَـٰذَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ قَوْلًا رَابِعًا. (أَيْ بِأَنْ يُقَالَ إِنَّ المرَادَ الْقِرَاءَةُ عَلَىٰ أَوْجُهٍ كَثِيرَةٍ، قَدْ تَزِيدُ عَنْ سَبْعَةٍ)».

**الخَامِسُ:** « أَنَّ المرَادَ بِهَا الْأَوْجُهُ الَّتِي يَقَعُ بِهَا التَّغَايُرُ. ذَكَرَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ قَالَ: فَأَوَّلُهَا مَا يَتَغَيَّرُ حَرَكَتُهُ وَلَا يَزُولُ مَعْنَاهُ وَلَا صُورَتُهُ مِثْل: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ﴾ [١] بِالْفَتْحِ والرَّفْعِ (أَيْ فَتْح الرَّاءِ وَضَمّهَا مَعَ التَّشْدِيدِ فِيهِمَا)، وَثَانِيهِمَا: مَا يَتَغَيَّرُ بِالْفِعْلِ مِثْل «بَاعِدْ»[٢]، و«بَاعَدَ» بِلَفْظِ الطلَبِ وَالماضِي، وَثَالِثُهَا: مَا يَتَغَيَّرُ بِاللَّفْظِ مِثْل ﴿نُنشِزُهَا﴾ و«ننشرها»[٣]، وَرَابِعُهَا :مَا يَتَغَيَّرُ بِإِبْدَالِ حَرْفٍ (بِحَرْفٍ) قَرِيبِ المخْرَجِ (منه) مِثل: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾، «طلع»[٤]، وَخَامِسُهَا: مَا يَتَغَيَّرُ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ مِثْل: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ و«سَكْرَةُ الحَقِّ بِالمَوْتِ»[٥]، وَسَادِسُهَا: ما يَتَغَيَّرُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ مِثْل «والذَّكر والأنثَىٰ» بدلاً من ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾[٦]، وَسَابِعُهَا: مَا يَتَغَيَّرُ بِإِبْدَالِ كَلِمَةٍ بِأُخْرَىٰ مثل ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾

---

(١) آية ٢٨٢ س البقرة.

(٢) في طبعة (عالم الكتب) بعد، والتصويب من (تأويل مشكل القرآن) ٣٧. والكلمة من آية ١٩ س سبأ.

(٣) سقطت من ط (عالم الكتب). والكلمة من آية ٢٥٩ س البقرة.

(٤) آية ٢٩ س الواقعة.

(٥) آية ١٩ س ق .

(٦) آية ٣ س الليل .

و«كَالصُّوفِ المنفُوش»[1].

وتَعَقَّبَ هَـٰذَا الْقَوْلَ قَاسِمُ بْنُ ثَابِتٍ[2] (ت ٣٠٢هـ) بأنَّ الرخصة وَقَعَتَ وأكثرهم يومئذٍ لَا يَكْتُبُ وَلَا يَعْرِفُ الرَّسْمَ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَعْرِفُونَ الْحُروفَ وَمَخارجَها. وأُجِيبَ بِأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ تَوْهِينُ مَا قَالَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ الانْحِصَارُ الْمَذْكُورُ فِي ذَلِكَ وَقَعَ اتِّفَاقًا، وَإِنَّمَا اطُّلِعَ عَلَيْهِ بِالاسْتِقْرَاءِ » .

السَّادِسِ: «قَالَ أَبُو الْفَضْلِ الرَّازِيُّ[3] فِي اللَّوَائِحِ[4]: « الْكَلَامُ لَا يَخْرُجُ عَنْ سَبْعَةِ أَوْجُهٍ فِي الاخْتِلَافِ: الأَوَّلُ: اخْتِلَافُ الْأَسْمَاءِ مِنْ إِفْرَادٍ وَتَثْنِيَةٍ وَجَمْعٍ وَتَذْكِيرٍ وَتَأْنِيثٍ. الثَّانِي: اخْتِلَافُ تَصْرِيفِ الْأَفْعَالِ مِنْ مَاضٍ وَمُضَارِعٍ وَأَمْرٍ. الثَّالِثُ: وُجُوهُ الْإِعْرَابِ. الرَّابِعُ: النَّقْصُ وَالزِّيَادَةُ. الخَامِسُ: التَّقْدِيمُ وَالتَّأْخِيرُ. السَّادِسُ: الْإِبْدَالُ. السَّابِعُ: اخْتِلَافُ اللُّغَاتِ كَالْفَتْحِ وَالْإِمَالَةِ وَالتَّرْقِيقِ وَالتَّفْخِيمِ وَالْإِدْغَامِ وَالْإِظْهَارِ وَنَحو ذَلِكَ[5].

---

(١) آية ٥ س القارعة.

(٢) عالم جليل بالحديث واللغة (الأعلام).

(٣) عبد الرحمن بن أحمد المقري (ت ٤٥٤هـ) له «اللوامح» (كشف الظنون ٢/ ١٥٦٧). وقد ذكره أبو حيان في تفسيره البحر المحيط نحو ستين مرة بعضها باسمه وبعضها باسم «صاحب اللوامح» (بالميم) وفي ٤/ ١٧٩ أكمل اسم الكتاب فقال : «اللوامح في شواذ القراءات». وكتاب الرازي هذا في معنىٰ حديث الأحرف السبعة لم يسمه «اللوائح» ولا «اللوامح».

(٤) في الإتقان المحقق وغير المحقق: اللوائح. وانظر التعليق السابق لهذا.

(٥) نعم، كلام أبي الفضل الرازي في كتابه الباب الثاني فصل ١١ ص٣٠٢، وفصل ١٧ ص٣٣١ يوهم أن هذا مذهبه. والصواب أنه قدم مذهبه بعزوٍ صريح لنفسه في فصل ٢١ من الباب الثاني ص٣٥٢ وخلاصته أن نقرأ كما علمنا، ثم لا نجادل ولا نفاضل بين القراءات ما دامت لا تخالف الرسم العثماني. وكلامه هذا ليس بيانًا للمراد بالأحرف السبعة ، فإن الناس يقرؤون كما عُلِّمُوا ، ولا يخالفون الرسم ، ولا يجادلون ، ولا

وَهَـٰذَا هُوَ الْقَوْلُ السَّادِسُ».

السَّابِعُ: «قالَ بَعْضُهُمْ: المرادُ بِهَا كَيْفِيَّةُ النطْقِ بِالتلَاوَةِ مِنْ إِدْغَامٍ وَإِظْهَارٍ وَتَفْخِيمٍ وَتَرْقِيقٍ وَإِمَالَةٍ وَإِشْبَاعٍ وَمَدٍّ وَقَصْرٍ وَتَشْدِيدٍ وتَخْفِيفٍ وَتَلْيِينٍ وَتَحْقِيقٍ. وَهَـٰذَا هُوَ الْقَوْلُ السابِعُ».

الثَّامِنُ: قَالَ ابْنُ الجَزَرِيِّ (ت ٨٣٣ هـ) : «قَدْ تَتَبَّعْتُ صَحِيحَ الْقِرَاءَاتِ وَشَاذَّهَا وضَعِيفَهَا وَمُنْكرهَا فَإِذَا هِيَ يَرْجِعُ اخْتِلَافُهَا إِلَىٰ سَبْعَةِ أَوْجُهٍ لَا يَخْرُجُ عَنْهَا. وَذَلِكَ: إِمَّا فِي الحَرَكَاتِ بِلَا تَغَيُّرٍ فِي المعْنَىٰ وَالصورَةِ نَحْو :«البخل» [1] بأربعة أوجه ويحسب بوجهين، أو بتغير في المعنىٰ فقط نحو ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ [2]، وَإِمَّا فِي الحُرُوفِ بِتَغَيُّرِ المعْنَىٰ لَا الصورَة نَحْو ﴿تَبْلُوا﴾ «وتتلوا» [3]، وعَكْس ذَلِكَ نَحْو﴿ ٱلصِّرَٰطَ﴾ و«السراط» [4]، أَوْ بتغيُّرهما نَحْو ﴿ فَٱسْعَوْا۟﴾ «فَامْضُوا» [5] وَإِمَّا فِي التقْدِيمِ والتأْخِيرِ نَحْو: ﴿فَيَقْتُلُون وَيُقْتَلُونَ﴾ [6] أو فِي الزيَادَةِ وَالنقْصَانِ نَحْو «أَوْصىٰ» و﴿وَصَّى﴾ [7]. فَهَـٰذِهِ سَبْعَةٌ لَا يَخْرُجُ الاخْتِلَافُ عَنْهَا. قَالَ: وَأَمَّا نَحْو اخْتِلَافِ الْإِظْهَارِ وَالْإِدْغَامِ وَالرَّوْمِ

---

يفاضلون ، ومع ذلك يوقنون أن هناك أمرا محددا، (وهو الأحرف السبعة ) لم يُبَيَّن المراد به ، وكلام الشيخ لا يُبَيِّنُهُ ، ولا يقترب من تبيينه . غَفَرَ اللهُ لنا ولَهُ .

(١) النساء: ٣٧. قرئت بالضم، وبالتحريك وفيها من اللهجات أيضا البخل ـ بالفتح ـ وبضمتين ولم يقرأ بهما.

(٢) البقرة: ٣٧. وقد قرئ أيضا بنصب «آدم» ورفع «كلمات». فهذه هى القراءة الثانية.

(٣) يونس ٣٠ .

(٤) الفاتحة ٦.

(٥) الجمعة ٩ . والسعى السير بِهِمَّةٍ، والمُضِيُّ النفاذ.

(٦) التوبة ١١١ . الفعل الأول للمعلوم والثاني للمجهول ، وبالعكس .

(٧) البقرة ١٣٢ .

وَالْإِشْمَامِ وَالتخفِيفِ وَالتسْهِيلِ وَالنقلِ وَالْإِبْدَالِ فَهَـٰذَا لَيْسَ من الاخْتِلَافِ الَّذِي يَتَنَوَّعُ فِي اللفْظِ وَالمعْنَىٰ ؛لِأَنَّ هَـٰذِهِ الصفَاتِ المتنوعةَ فِي أَدَائِهِ لَا تُخْرِجُهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَفظًا وَاحِدًا. انْتَهَىٰ. وَهَـٰذَا هُوَ الْقَوْلُ الثَامِنُ. قُلْتُ (السيُوطِيُّ): وَمِنْ أَمْثِلَةِ التقْدِيمِ والتأْخِيرِ قِرَاءَةُ الجُمْهُورِ:﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ :«عَلَىٰ قَلْبِ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ»[1].

التَّاسِعُ: أَنَّ المرادَ سَبْعَةُ أَوْجُهٍ مِنَ المعَانِي المتَّفقةِ بِأَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ، نَحو : «أَقْبِلْ» و«تَعَالَ» و«هَلُمَّ» و«عَجِّلْ» و«أَسْرِعْ». وَإِلَىٰ هَـٰذَا ذَهَبَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ وَابْنُ جَرِيرٍ وابْنُ وهبٍ وَخَلَائِقُ، وَنَسَبَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ لِأَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ. وَيَدلُّ لَهُ مَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ أَنَّ جِبْرِيلَ قَالَ: « يَا مُحَمَّدُ اقْرَأ القُرْآنَ عَلَىٰ حَرْفٍ، قَالَ مِيكَائِيلُ :اسْتَزِدْهُ حَتَّىٰ بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ. قَالَ (جِبْرِيلُ) :كُلّ شَافٍ كَافٍ مَا لَمْ تخلطْ آيَةَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ أَوْ رَحْمَةٍ بِعذاب نَحو قَوْلِكَ: «تَعَال» و«أَقْبِلْ» و«هَلُمَّ»، و«اذْهَبْ» و«أَسْرِعْ» و«عَجِّلْ». هَـٰذَا اللفْظُ رِوَايَةُ أَحْمَدَ وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ. وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ أَيْضًا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ نَحْوَهُ. وَعِنْدَ أَبِي دَاوُدَ عَنْ أُبَيٍّ قُلْتَ : «سَمِيعًا عَلِيمًا» «عَزِيزًا حَكِيمًا» مَا لَمْ تخلطْ آيَةَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ أَوْ رَحْمَةٍ بِعذَابٍ. وَعِنْدَ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «أُنزِلَ الْقُرْآنُ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ]: «عَلِيمًا حَكِيمًا» «غَفُورًا رَحِيمًا». وَعِنْدَهُ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ أَنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ صَوابٌ مَا لَمْ تَجْعَلْ مَغْفِرَةً عَذَابًا أَوْ عَذَابًا مَغْفِرَةً. أَسَانِيدُهَا جِيَادٌ. قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: إِنَّمَا أَرَادَ بِهَـٰذَا ضَرْبَ الْـمَثَلِ لِلْحُرُوفِ الَّتِي نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَيْهَا: أَنَّهُ مَعَانٍ مُتَّفِقٌ مَفْهُومُهَا مُخْتَلِفٌ مَسْمُوعُهَا، لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا مَعْنًىٰ وَضِدُّه، وَلَا وَجه يُخَالِفُ مَعْنَىٰ وَجْهٍ خِلَافًا يَنْفِيهِ وَيُضَادُّهُ كَالرحْمَةِ الَّتِي هِيَ خِلَافُ الْعَذَابِ وَضِدُّهُ. ثُمَّ

---

(١) غافر ٣٥.

أَسْنَدَ(ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ) عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ : ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ ﴾[1] «مَرُّوا فِيهِ» «سَعَوْا فِيهِ»، وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَقْرَأُ: ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا﴾[2] «أَمْهِلُونَا» «أَخِّرُونَا». قَالَ الطحَاوِيُّ: وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ رُخصةً لَمَّا كَان يَتَعَسَّرُ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْهُمُ التلَاوةُ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ، لِعَدَمِ عِلْمِهِمْ بِالْكِتَابَةِ وَالضَّبْطِ وَإِتْقَانِ الحِفْظِ، ثُمَّ نُسِخَ بِزَوَالِ الْعُذْرِ وتَيَسُّرِ الْكِتَابَةِ وَالحِفْظِ. وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَالْبَاقِلَّانِيُّ وَآخَرُونَ. وَفِي فَضَائِلِ أَبِي عُبَيْدٍ مِنْ طَرِيقِ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ الله: أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ أَقْرَأَ رَجُلًا: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴾[3] فَقَالَ الرجُلُ «طَعَامُ الْيَتِيمِ» فَرَدَّهَا عَلَيْهِ، فَلَمْ يَسْتَقِمْ بِهَا لِسَانُهُ، فَقَالَ (ابنُ مَسْعُودٍ): أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُولَ: «طَعَامُ الْفَاجِرِ»؟ قَالَ نَعَمْ. قَالَ: فَافْعَلْ.

الْعَاشِرُ: أَنَّ المرادَ سَبْعُ لُغَاتٍ. وَإِلَىٰ هَـٰذَا ذَهَبَ أَبُو عُبَيْدٍ وَثَعْلَبٌ وَالزهريُّ وَآخَرُونَ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ عَطِيَّةَ، وَصَحَّحَهُ البَيْهَقِيُّ فِي الشعبِ. وتُعُقِّبَ بِأَنَّ لُغَاتِ الْعَرَبِ أَكْثَرُ مِنْ سَبْعٍ. وَأُجِيبَ بِأَنَّ المرادَ أَفْصَحُها . فَجَاءَ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَىٰ سَبعِ لُغَاتٍ مِنْهَا خَمْسٌ بِلُغَةِ الْعَجزِ مِنْ هَوَازن. قَال: وَالْعجزُ: سَعْدُ بْنُ بَكْرٍ (وَجشم بن بكر وَنَصْر بن مُعَاوِيَةَ وَثَقِيف بْن مُنبَهٍ ( مُعَاوية ومُنبَه ابنا بكْرٍ. وبكْر ابْن هَوَازِنَ)[4]، وَيُقَالُ لَـهُمْ عُلْيَا هَوَازن. وَلِهَـٰذا قَالَ أَبُو عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ :أَفْصَحُ الْعَرَبِ عُلْيَا

(١) البقرة: ٢٠.

(٢) الحديد ١٣.

(٣) الدخان ٤٣.

(٤) ما بين الأقواس من أجل التوضيح.

هَوَازِنَ[1] وَسُفْلَىٰ تَمِيمٍ يَعْنِي بَنِي دَارِم. وَأَخْرَجَ أَبُو عُبَيْدٍ مِنْ وَجْهٍ آخَر عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: قَالَ نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلُغَةِ الْكَعْبَيْنِ كَعْبِ قُرَيْشٍ وَكَعْبِ خُزَاعَةَ؟ قِيلَ: وَكَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ :لِأَنَّ الدار وَاحِدَةٌ. يَعْنِي أَنَّ خُزَاعَةَ كَانُوا جِيرَانَ قُرَيْشٍ، فَسَهُلَتْ عَلَيْهِمْ لُغَتُهُمْ.

وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ السِجِسْتَانِيُّ: نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ وَهُذَيلٍ وَتَمِيمٍ وَالْأَزْدِ وَرَبِيعَةَ وَهَوَازِنَ وَسَعد بْنِ بَكْرٍ. وَاسْتَنْكَرَ ذَلِكَ ابْنُ قُتَيْبَةَ وَقَالَ: لَمْ يَنْزِلِ الْقُرْآنُ إِلَّا بِلُغَةِ قُرَيْشٍ، وَرَدَّهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ :﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ فَعَلَىٰ هَـٰذَا تَكُونُ اللُّغَاتُ السَّبْعُ فِي بُطُونِ قُرَيْشٍ. وَبِذَلِكَ جَزَمَ أَبُو عَلِيٍّ الْأَهْوَازِيُّ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: لَيْسَ المرادُ أَنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ تُقْرَأُ عَلَىٰ سَبْعِ لُغَاتٍ ، بَلِ اللُّغَاتُ السَّبْعُ مُفَرَّقَةٌ فِيهِ. فَبَعْضُهُ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ، وَبَعْضُهُ بِلُغَةِ هُذَيْلٍ، وَبَعْضُهُ بِلُغَةِ هَوَازِنَ، وَبَعْضُهُ بِلُغَةِ الْيَمَنِ، وَغَيْرِهِمْ. قَالَ: وَبَعْض اللُّغَاتِ أَسْعَدُ بِهِ مِنْ بَعْضٍ وَأَكْثَرُ نَصِيبًا. (وَقِيلَ) نَزَلَ بِلُغَةِ مُضَرَ خَاصَّةً؛ لِقَوْلِ عُمَرَ نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلُغَةِ مُضَر. وَعَيَّنَ بَعْضُهُمْ فِيمَا حَكَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ السَّبْعَ مِنْ مُضَرَ أَنَّهُمْ هُذَيلٌ وَكِنَانَةُ وَقَيْسٌ وضَبَّةَ وَتَيْمُ الرباَبِ وَأَسد بْنُ خُزَيْمَةَ وقُرَيْشٌ فَهَـٰذِهِ قَبَائِلُ مُضَرٍ تَسْتَوْعِبُ سَبْعَ لُغَاتٍ. وَنَقَلَ أَبُو شَامَةَ عَنْ بَعْضِ الشيُوخِ أَنَّهُ قَالَ: أُنزِلَ الْقُرْآنُ أَوَّلًا بِلِسَانِ قُرَيْشٍ وَمَنْ جَاوَرَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ الْفُصَحَاءِ، ثُمَّ أُبِيحَ لِلْعَرَبِ أَنْ يَقْرَءُوهُ بِلُغَاتِهِمُ الَّتِي جَرَتْ عَادَتُهُمْ بِاسْتِعْمَالِهَا عَلَىٰ اخْتِلَافِهِمْ فِي الْأَلْفَاظِ وَالْإِعْرَابِ، وَلَمْ يُكَلَّفْ أَحدٌ مِنْهُمُ الانتقالَ عَنْ لُغَتِهِ إِلَىٰ لُغَةٍ أُخرَىٰ لِلْمَشَقَّةِ، وَلِـما كَانَ فِيهِمْ مِنَ الحَمِيَّةِ، وَلِطَلَبِ تَسْهِيلِ فَهْمِ الْـمُرَادِ

---

(١) عليا هوازن هم أنفسهم العجز من هوازن المذكورون ،وكانت هوازن تنتشر بين الطائف ومكة ومن أوديتهم حُنَين ( بينه وبين مكة نحو اثني عشر ميلا ) وبين هوازن وقريش معارك وعلاقات ؛ ولذا عدت قريش في أكناف هوازن [ينظر المرشد الوجيز : ١٠٠] أي تجمعهما منطقة جغرافية ولغوية واحدة . ينظر: (معجم قبائل العرب : ٣/ ١٢٣١ )، و(المرشد الوجيز) لأبي شامة ص٩٣، ١٠٠، ١٠٢. وقد بينا في كتاب (من القضايا الكبرىٰ) إجماع العلماء علىٰ أن قريشا أفصح قبائل العرب .

وَزَادَ غَيْرُهُ أَنَّ الْإِبَاحَةَ الْمَذْكُورَةَ لَمْ تَقَعْ بِالتشهِّي بِأَنْ يُغَيِّرَ كُلُّ أَحَدِ الْكَلِمَةَ بِمُرَادِفِهَا فِي لُغَتِهِ، بَلِ الْمَرْعِيّ فِي ذَلِكَ السماعُ مِنَ النبيِّ ﷺ. (وَاسْتَشْكَلَ) بَعْضُهُمْ هَـٰذَا بِأَنَّهُ يَلْزَمُ عَلَيْهِ أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يَلْفظُ باللفظِ الْوَاحِدِ سَبْعَ مَرَّاتٍ. (وَأُجِيبَ) بِأَنَّهُ إِنَّمَا يلزمُ هَـٰذَا لَوِ اجْتَمَعَتِ الْأَحْرُفُ السبْعَةُ فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ. وَنَحْنُ قُلْنَا: كَانَ جِبْرِيلُ يَأْتِي فِي كُلِّ عَرْضَةٍ بِحَرْفٍ إِلَىٰ أَنْ تَمَّتْ سَبْعَة. وَبَعْدَ هَـٰذَا كُلِّهِ رُدَّ هَـٰذَا الْقَوْل بِأَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ وَهِشَامَ بْنَ حَكيمٍ كِلاهُمَا قُرَشِيٌّ مِنْ لُغَةٍ وَاحِدَةٍ وَقَبِيلَةٍ وَاحِدَةٍ وَقَدِ اخْتَلَفَتْ قِرَاءَتُهُمَا. وَمُحَالٌ أَنْ يُنْكِرَ عَلَيْهِ عُمَرُ لُغَتَهُ. فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَحْرُفِ السبْعَةِ غَيْرُ اللغَاتِ .

الحادِي عَشَر: أَنَّ المرادَ سَبْعَةُ أَصْنَافٍ. وَالْأَحَادِيثُ السابِقَةُ تردُّهُ. وَالْقَائِلُونَ بِهِ اخْتَلَفُوا فِي تَعْيِينِ السبْعَةِ فقِيلَ : أَمْرٌ وَنَهْيٌ وَحَلَالٌ وَحَرَامٌ وَمُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ وَأَمْثَالٌ. وَاحْتَجُّوا بِمَا أَخْرَجَهُ الحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النبِيِّ قَالَ :كَانَ الْكِتَابُ الْأَوَّلُ ينزلُ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَعَلَىٰ حَرْفٍ وَاحِدٍ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُف: زَجْرٌ وَأَمْرٌ، وَحَلَالٌ وَحَرَامٌ، وَمُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ وَأَمْثَالٌ ....الحديث. وَقَدْ أَجَابَ عَنْهُ قَوْمٌ بِأَنَّهُ لَيْسَ المرَادُ (بِالْأَبْوَابِ السبْعَةِ) الْأَحْرُفَ السبْعَةَ [1] الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا فِي الْأَحَادِيثِ الْأُخْرَىٰ ؛ لِأَنَّ سِيَاقَ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ يَأْبَىٰ حَمْلَهَا عَلَىٰ هَـٰذَا، بَلْ هِيَ ظَاهِرَةٌ فِي أَنَّ المرادَ أَنَّ الْكَلِمَةَ تُقْرَأُ عَلَىٰ وَجْهَيْنِ وَثَلَاثَةٍ إِلَىٰ سَبْعَةٍ تَيْسِيرًا أَوْ تَهْوِينًا. وَالشيْءُ الْوَاحِدُ لَا يَكُونُ حَلَالًا حَرَامًا فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ. قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: المرَادُ بِالسبْعَةِ الْأَحْرُفِ هُنَا: الْأَنْوَاعُ الَّتِي نَزَلَ عَلَيْهَا، وَالمرَادُ بِهَا فِي تِلْكَ الْأَحَادِيثِ اللغَاتُ الَّتِي يُقْرَأُ بِهَا. وَقَالَ غَيْرُهُ: مَنْ أَوَّلَ السبْعَةَ الْأَحْرُفِ بِهَـٰذَا فَهُوَ فَاسِدٌ ؛ لِأَنَّهُ مُحَالٌ أَنْ يَكُونَ الحَرْفُ مِنْهَا حَرَامًا لَا مَا سِوَاهُ أَوْ حَلَالًا لَا

---

(١) النص المطبوع: ليس المراد بالأحرف السبعة التي تقدم ذكرها إلخ .

مَا سِوَاهُ ؛ وَلِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ يُقْرَأُ عَلَىٰ أَنَّهُ حَلَالٌ كُلُّهُ أَوْ حَرَامٌ كُلُّهُ أَوْ أَمْثَالٌ كُلُّهُ. وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: هَـٰذَا الْقَوْلُ ضَعِيفٌ ؛ لِأَنَّ الْإِجْمَاعَ عَلَىٰ أَنَّ التَّوْسِعَةَ لَمْ تَقَعْ فِي تَحْرِيمِ حَلَالٍ وَلَا تَحْلِيلِ حَرَامٍ، وَلَا فِي تَغْيِيرِ شَيْءٍ مِنَ المعَانِي المذْكُورَةِ. وَقَالَ الْـمَاوَرْدِيُّ: هَـٰذَا الْقَوْلُ خَطَأٌ ؛ لِأَنَّهُ ﷺ أَشَارَ إِلَىٰ جَوَازِ الْقِرَاءَةِ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْحُرُوفِ وَإِبْدَالِ حَرْفٍ بِحَرْفٍ. وَقَدْ أَجْمَعَ المسْلِمُونَ عَلَىٰ تَحْرِيمِ إِبْدَالِ آيَةِ أَمْثَالٍ بِآيَةِ أَحْكَامٍ. وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْأَهْوَازِيُّ وَأَبُو الْعَلَاءِ الهَمَذَانِيُّ: قَوْلُهُ فِي الحَدِيثِ : زَاجِرٌ وآمِرٌ ....إلىٰ آخره اسْتِئْنَافُ كَلَامٍ آخَرَ أَيْ هُوَ زَاجِرٌ أَيِ الْقُرْآنُ، وَلَمْ يُرِدْ بِهِ تَفْسِيرُ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ، وَإِنَّمَا تُوُهِّمَ ذَلِكَ مِنْ جِهَةِ الاتِّفَاقِ فِي الْعَدَدِ. وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّ فِي بَعْضِ طُرُقِهِ: زَجْرًا وَأَمْرًا ـ بِالنصْبِ، أَيْ نَزَلَ عَلَىٰ هَـٰذِهِ الصفَةِ فِي الْأَبْوَابِ السبْعَةِ. وَقَالَ أَبُو شَامَةَ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ التفْسِيرُ المذْكُورُ لِلْأَبْوَابِ لَا لِلْأَحْرُفِ أَيْ هِيَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْكَلَامِ وَأَقْسَامِهِ أَيْ أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَىٰ هَـٰذِهِ الْأَصْنَافِ لَمْ يقْتَصِرْ مِنْهَا عَلَىٰ صِنْفٍ وَاحِدٍ كَغَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ .

الثَّاني عَشَر: قِيلَ المرادُ بِهَا: المطْلَقُ وَالمقَيَّدُ، وَالْعَامُّ وَالخَاصُّ، وَالنَّصُّ وَالمؤَوَّلُ، وَالناسِخُ وَالمنْسُوخُ، وَالمجْمَلُ وَالمفَسَّرُ، وَالاسْتِثْنَاءُ وَأَقْسَامُهُ. حَكَاهُ شيذلةُ عَنِ الْفُقَهَاءِ.

الثَّالث عَشر: قِيلَ المرَادُ بِهَا: الحَذْفُ والصلَةُ، وَالتقْدِيمُ وَالتأْخِيرُ، وَالاسْتِعَارَةُ، والتكْرَارُ، والْكِنَايَةُ وَالحَقِيقَةُ وَالمجَازُ، والمجْمَلُ والمفَسَّرُ، وَالظاهِرُ والْغَرِيبُ. حَكَاهُ عَنْ أَهْلِ اللغَةِ .

الرَّابعَ عَشَر: قِيلَ المرَادُ بهَا: التذْكِيرُ وَالتأْنِيثُ، والشرْطُ والجَزَاءُ، والتصْرِيفُ، وَالْإِعْرَابُ، وَالْأَقْسَامُ وَجَوابُهَا، وَالجَمْعُ وَالْإِفْرَادُ، والتصْغِيرُ وَالتعْظِيمُ، واخْتِلَافُ الْأَدَوَاتِ. حَكَاهُ عَنِ النحَاةِ .

الخامس عشر: وَقِيلَ المرادُ بِهَا: سَبْعَةُ أَنْوَاعٍ مِنَ المعامَلاتِ: الزهْدُ وَالْقَنَاعَةُ مَعَ الْيَقِينِ، الحَزْمُ والخِدْمَةُ مَعَ الحَيَاءِ، وَالْكَرَمُ وَالفتوَّةُ مَعَ الْفَقْرِ، وَالمجاهَدَةُ وَالمرَاقَبَةُ مَعَ الخَوْفِ وَالرجَاءِ، والتضَرُّعُ وَالاسْتِغْفَارُ مَعَ الرضَا، وَالشكْرُ وَالصبْرُ مَعَ المحَاسَبَةِ، والمحَبَّةُ وَالشوْقُ مَعَ المشَاهَدَةِ. حَكَاهُ عَنِ الصوفِيَّةِ.

السَّادس عَشَر: أَنَّ المرَادَ بِهَا سَبْعَةُ عُلُومٍ: عِلْمُ الْإِنْشَاءِ وَالْإِيجَادِ، وَعِلْمُ التوْحِيدِ وَالتنْزِيهِ، وَعِلْمُ صِفَاتِ الذاتِ، وَعِلْمُ صِفَاتِ الْفِعْلِ، وَعِلْمُ صِفَاتِ الْعَفْوِ والْعَذَابِ، وَعِلْمُ الحَشْرِ وَالحِسَابِ، وَعِلْمُ النبُوَّاتِ.

وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ: ذَكَرَ الْقُرْطُبِيُّ عَنِ ابْنِ حَبَّانَ أَنَّهُ بَلَغَ الاخْتِلَافُ فِي مَعْنَىٰ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ إِلَىٰ خَمْسَةٍ وَثَلَاثِينَ قَوْلًا، وَلَمْ يَذْكُرِ الْقُرْطُبِيُّ هَهُنَا سِوَىٰ خَمْسَةٍ، وَلَمْ أَقِفْ عَلَىٰ كَلَامِ ابْنِ حَبَّانَ فِي هَـٰذَا بَعْدَ تَتَبُّعِي مَظَانِّهِ. قُلْتُ (السيوطيُّ): قَدْ حَكَاهُ ابْنُ النقِيبِ فِي مُقَدِّمَةِ تَفْسِيرِهِ عَنْهُ بِوَاسِطَةِ الشرَفِ المُزَنِيّ المُرْسِي. فَقَالَ: قَالَ ابْنُ حبَّانَ: اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي مَعْنَىٰ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ عَلَىٰ خَمْسَةٍ وَثَلَاثِينَ قَوْلًا:

السَّابع عَشَر: (أَوَّلُ ابْنُ حبَّانَ): مَنْ قَالَ هِيَ زَجْرٌ وَأَمْرٌ، وَحَلَالٌ وَحَرَامٌ، وَمُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، وَأَمْثَالٌ.

الثَّامِنَ عَشَر: (الثَّانِي) حَلَالٌ وَحَرَامٌ، وَأَمْرٌ وَنَهْيٌ، وَزَجْرٌ، وَخَبَرُ مَا هُوَ كَائِنٌ بَعْد، وَأَمْثَالٌ.

التَّاسِعَ عَشَر: (الثَّالِثُ) وَعْدٌ وَوَعِيدٌ، وَحَلَالٌ وَحَرَامٌ، وَمَوَاعِظُ وَأَمْثَالٌ، وَاحْتِجَاجٌ.

العِشْرُونَ: (الرَّابِعُ) أَمْرٌ وَنَهْيٌ، وَبِشَارَةٌ وَنِذَارَةٌ، وَأَخْبَارٌ وَأَمْثَالٌ .

الحادِي وَالعِشْرُونَ: (الخَامِسُ) مُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، وَمَوَاعِظُ وَأَمْثَالٌ، واحْتِجَاجٌ.

الثَّانِي والعِشْرُونَ: (السَّادِسُ) أَمْرٌ وَزَجْرٌ، وَتَرْغِيبٌ وَتَرْهِيبٌ، وَجَدَلٌ وَقَصَصٌ وَمَثَلٌ.

الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ: (السَّابِعُ) أَمْرٌ وَنَهْيٌ وَجَدَلٌ، وَعِلْمٌ وَسِرٌّ، وَظَهْرٌ وَبَطْنٌ.

الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ: (الثَّامِنُ) نَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ، وَوَعْدٌ وَوَعِيدٌ، وَرغمٌ وَتَأْدِيبٌ، وَإِنْذَارٌ.

الخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ: (التَّاسِعُ) حَلَالٌ وَحَرَامٌ، وَافْتِتَاحٌ وَأَخْبَارٌ، وَفَضَائِلُ وَعُقُوبَاتٌ.

السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ: (الْعَاشِرُ) أَوَامِرُ وَزَوَاجِرُ، وَأَمْثَالٌ وَأَنْبَاءٌ، وَعتبٌ وَوَعْظٌ، وَقَصَصٌ.

السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ: (الحَادي عَشَر) حَلَالٌ وَحَرَامٌ، وَأَمْثَالٌ وَمَنْصُوصٌ وَقَصَصٌ وَإِبَاحَاتٌ.

الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ: (الثَّانِي عَشَر) ظَهْرٌ وَبطْنٌ، وَفَرْضٌ وَنَدْبٌ، وَخُصُوصٌ وَعُمُومٌ، وَأَمْثَالٌ.

التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ: (الثَّالِثَ عَشَر) أَمْرٌ وَنَهْيٌ، وَوَعْدٌ وَوَعِيدٌ، وَإِبَاحَةٌ وَإِرْشَادٌ، وَاعْتِبَارٌ.

الثَّلَاثُونَ: (الرَّابِعَ عَشَر) مُقَدَّمٌ وَمُؤَخَّرٌ، وَفَرَائِضُ وَحُدُودٌ، وَمَوَاعِظُ وَمُتَشَابِهٌ، وَأَمْثَالٌ.

الحادِي والثّلاثونَ: (الخَامِسَ عَشَر) مَقيسٌ ومُجْمَلٌ، ومَقْضِيٌّ ونَدْبٌ، وحَتْمٌ وأَمْثَالٌ.

الثّانِي والثّلاثُونَ: (السّادِسَ عَشَرَ) أَمْرٌ حَتْمٌ وأَمْرٌ نَدْبٌ، ونَهْيٌ حَتْمٌ ونَهْيٌ نَدْبٌ، وأَخْبَارٌ وإِبَاحَاتٌ.

الثّالِثُ والثّلاثُونَ: (السّابِعَ عَشَرَ) أَمْرٌ فَرْضٌ ونَهْيٌ حَتْمٌ، وأَمْرٌ نَدْبٌ ونَهْيٌ مُرْشِدٌ، ووَعْدٌ ووَعِيدٌ وقَصَصٌ.

الرّابِعُ والثّلاثُونَ: (الثّامِنَ عَشَر) سَبْعُ جِهَاتٍ لَا يَتَعَدّاهَا الْكَلَامُ: لَفْظٌ خَاصٌّ أُرِيدَ بِهِ الخَاصّ، وَلَفْظٌ عَامٌّ أُرِيدَ بِهِ الْعَامُّ، وَلَفْظٌ عَامٌّ أُرِيدَ بِهِ الخَاصُّ، وَلَفْظٌ خَاصٌّ أُرِيدَ بِهِ الْعَامّ، وَلَفْظٌ يُسْتَغْنَى بِتَنْزِيلِهِ عَنْ تَأْوِيلِهِ، وَلَفْظٌ لَا يَعْلَمُ فِقْهَهُ إِلَّا الْعُلَمَاءُ، وَلَفْظٌ لَا يَعْلَمُ مَعْنَاهُ إِلَّا الرّاسِخُونَ.

الخَامِسُ والثّلاثُونَ: (التّاسِعَ عَشَر) إِظْهَارُ الربُوبِيّةِ، وَإِثْبَاتُ الْوَحْدَانِيّةِ، وَتَعْظِيمُ الْأُلُوهِيّةِ، وَالتعَبُّدُ لله، وَمُجَانَبَةُ الْإِشْرَاكِ، وَالترْغِيبُ فِي الثوَابِ، وَالترْهِيبُ مِنَ الْعِقَابِ.

السّادِسُ والثّلاثُونَ: (الْعِشْرُونَ) سَبْعُ لُغَاتٍ مِنْهَا خَمْسٌ فِي هَوَازِنَ وَاثْنَتَانِ لِسَائِرِ الْعَرَبِ.

السّابِعُ والثّلاثُونَ: (الحادِي والْعِشْرُونَ) سَبْعُ لُغَاتٍ مُتَفَرِّقَةٌ لِجَمِيعِ الْعَرَب كُلُّ حَرْفٍ مِنْهَا لِقَبِيلَةٍ مَشْهُورَةٍ.

الثّامِنُ والثّلاثُونَ: (الثّانِي والعِشْرُونَ) سَبْعُ لُغَاتٍ أَرْبَعٌ لِعجز هَوَازِنَ سَعْد بن بَكْرٍ وَجشم بْنِ بَكْرٍ وَنَصْر بن مُعَاوِيَةَ وَثَلَاثٌ لِقُرَيْشٍ.

التَّاسِعُ وَالثَّلَاثُونَ: (الثَّالِثُ وَالعِشْرُونَ) سَبْعُ لُغَاتٍ :لُغَةٌ لِقُرَيْشٍ، وَلُغَةٌ لِلْيَمَنِ، وَلُغَةٌ لِجُرْهُمَ، وَلُغَةٌ لِهَوَازِنَ، وَلُغَةٌ لِقُضَاعَةَ، وَلُغَةٌ لِتَمِيمٍ، وَلُغَةٌ لِطَيِّئٍ.

الْأَرْبَعُونَ: (الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ) لُغَةُ الْكَعْبَيْنِ، كَعْبِ بْنِ عَمْرٍو (خُزَاعَة)، وَكَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ وَلَهُمَا سَبْعُ لُغَاتٍ.

الحَادِي وَالْأَرْبَعُونَ: (الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ) اللغَاتُ المخْتَلِفَةُ لِأَحْيَاءِ الْعَرَبِ فِي مَعْنًى وَاحِدٍ مِثْل: «هَلُمَّ» وَ«هَاتِ» وَ«تَعَالَ» وَ«أَقْبِلْ».

الثَّانِي وَالْأَرْبَعُونَ: (السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ) سَبْعُ قِرَاءَاتٍ لِسَبْعَةٍ مِنَ الصحَابَةِ: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَر، وَعُثْمَان، وَعَلِيّ، وَابْن مَسْعُود، وَابْن عَبَّاس، وَأُبَي بْنِ كَعْبٍ }.

الثَّالِثُ وَالْأَرْبَعُونَ: (السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ) هَمْزٌ، إِمَالَةٌ، وَفَتْحٌ وَكَسْرٌ، وَتَفْخِيمٌ وَمَدٌّ وَقَصْرٌ.

الرَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ: (الثَامِنُ وَالْعِشْرُونَ) تَصْرِيفٌ وَمَصَادِرُ، وَعَرُوضٌ وَغَرِيبٌ، وَسَجْعٌ وَلُغَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ كُلُّهَا فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ.

الخَامِسُ وَالْأَرْبَعُونَ: (التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ) كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تُعْرَبُ بِسَبْعَةِ أَوْجُهٍ حَتَّىٰ يَكُونَ المعْنَىٰ وَاحِدًا وَإِنِ اخْتَلَفَ اللفْظُ .

السَّادِسُ وَالْأَرْبَعُونَ: (وَالثَّلَاثُونَ) أُمهَاتُ الْهِجَاءِ: الْأَلِفُ، وَالْبَاءُ، والْجِيمُ، وَالدالُ، وَالراءُ وَالْغينُ، وَالعينُ؛ لِأَنَّ عَلَيْهَا تَدُورُ جَوَامِعُ كَلَامِ الْعَرَبِ .

السَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ: (الحَادِي والثَّلَاثُونَ) أَنَّهَا فِي أَسْمَاءِ الرَّبِّ مِثْل :الْغَفُور

الرحِيم، السمِيع الْبَصِيرُ، الْعَلِيمُ الحَكِيمُ.

الثَّامِنُ وَالأَرْبَعُونَ: (الثَّانِي والثَّلَاثُونَ) هِيَ آيَةٌ فِي صِفَاتِ الذاتِ، وَآيَةٌ تَفْسِيرُهَا فِي آيَةٍ أُخْرَىٰ، وَآيَةٌ بَيَانُهَا فِي السنَّةِ الصَّحِيحَةِ، وَآيَةٌ فِي قِصَّةِ الْأَنبِيَاءِ وَالرسُلِ ـ وَآيَةٌ فِي خَلْقِ الْأَشْيَاءِ، وَآيَةٌ فِي وَصْفِ الجَنَّةِ، وَآيَةٌ فِي وَصْفِ النارِ.

التَّاسِعُ وَالأَرْبَعُونَ: (الثَّالِثُ وَالثَّلَاثُونَ) آيَةً فِي وَصْفِ الصانِعِ، وَآيَةٌ فِي إِثْبَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ لَهُ، وَآيَةٌ فِي إِثْبَاتِ صِفَاتِهِ، وَآيَةٌ فِي إِثْبَاتِ رُسُلِهِ، وَآيَةٌ فِي إِثْبَاتِ كُتُبِهِ، وَآيَةٌ فِي إِثْبَاتِ الْإِسْلَامِ، وَآيَةٌ فِي نَفْيِ الكُفْرِ.

الخَمْسُونَ: (الرَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ) سَبعُ جِهَاتٍ مِنْ صِفَاتِ الذاتِ لِلَّـهِ الَّتِي لَا يَقَعُ عَلَيْهَا التكْيِيفِ.

الحَادِي وَالخَمْسُونَ: (الخَامِسُ وَالثَّلَاثُونَ) الْإِيمَان بِاللَّـهِ، وَمُجَانَبَةُ الشرْكِ، وَإِثْبَاتُ الْأَوَامِرِ، وَمُجَانَبَةُ الزوَاجِرِ، وَالثبَاتُ عَلَىٰ الْإِيمَانِ، وَتَحْرِيمُ مَا حَرَّمَ اللهُ، وَطَاعَةُ رَسُولِهِ.

قَالَ ابْنُ حبَّانَ فَهَـٰذِهِ خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ قَوْلًا لِأَهلِ الْعِلْمِ واللغَةِ فِي مَعْنَىٰ إِنْزَالِ الْقُرْآنِ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ. وَهِي أَقَاوِيلُ يُشْبِهُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَكُلُّهَا مُحْتَمَلَةٌ وَيُحْتَمَلُ غَيْرُهَا. وَقَالَ المَرْسِيُّ [1]: «هَـٰذِهِ الْوُجُوهُ أَكْثَرُهَا مُتَدَاخِلَةٌ، وَلَا أَدْرِي مُسْتَنَدَهَا، وَلَا عَمَّنْ نُقِلَتْ، وَلَا

(١) هناك محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي المرسي أبو عبد الله (ت ٦٥٥هـ) له ثلاثة كتب في التفسير، (ينظر كشف الظنون ٦/ ١٢٥) وهناك محمد بن جعفر المرسي (ت ٥٨٦هـ) عالم بالعربية والقراءات وينظر عنهما الأعلام للزركلي. وهناك أيضًا محمد بن أبي الفضل المرسي (أبو عبد الله). ذكره أبو حيان في تفسيره البحر ست مرات وذكر تفسيره (المنتخب) ست مرات أيضًا. والراجح أنه هو المذكور هنا أولا، وإن=

أَدْرِي لِمَ خصَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ هَـٰذِهِ الْأَحْرُفَ السبْعَةَ بِمَا ذَكَرَ مَعَ أَنَّ كُلَّهَا مَوْجُودَةٌ فِي الْقُرْآنِ، فَلَا أَدْرِي مَعْنَىٰ التخْصِيصِ. وَمِنْهَا أَشْيَاءُ لَا أَفْهَمُ مَعْنَاهَا عَلَىٰ الحَقِيقَةِ، وَأَكْثَرُهَا مُعَارَضَةٌ بِحَدِيثِ عُمَرَ وَهِشَامِ بْنِ حَكِيمٍ الَّذِي فِي الصحِيحِ، فَإِنَّهُمَا لَمْ يَخْتَلِفَا فِي تَفْسِيرِهِ وَلَا أَحْكَامِهِ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفَا فِي قِرَاءَةِ حُرُوفِهِ[1]. وَقَدْ ظَنَّ كَثِيرٌ مِنَ الْعَوَامِّ أَنَّ المرادَ بِهَا الْقِرَاءَاتُ السبْعُ وَهُوَ جَهْلٌ قَبِيحٌ».

## رَأْيُ الإِمَامِ الْبَاقِلاَّنِيّ فِي المرَادِ بالأحْرُفِ السبْعَة:

(هُوَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الطيِّبِ الْبَاقِلَّانِيّ (٤٠٣هـ) مِنْ أَكَابِرِ أَئِمَّةِ أَهْلِ السنَّةِ وَالجَمَاعَةِ. وَهُوَ لَيْسَ مِمَّنْ فَسَّرُوا الْأَحْرُفَ السبْعَةَ بِرَأْيٍ حَاسِمٍ ثَابِتٍ. وَقَدْ أَفْرَدْتُهُ بِهَـٰذِهِ الْفَصْلَةِ لِأُبَيِّنَ رَأْيَهُ؛ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُتَجَاهَلَ أَوْ يُغْمَرَ، وَجَعَلْتُهُ فِي هَـٰذَا التَّرْتِيبِ لِيَكُونَ مَعَ أَصْحَابِ الْآرَاءِ. وَالْإِمَامُ غَزِيرُ التصَرُّفِ الْفِكْرِيِّ جِدًّا، وَمِنْ هُنَا شُحِنَت مُعَالَجَتُهُ لِـمَعْنَىٰ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ، وَلِسَائِرِ الْقَضَايَا الَّتِي عَالَجَهَا فِي كِتَابِهِ: «الانْتِصَار لِلْقُرْآنِ» بِالاحْتِمَالَاتِ الْكَثِيرَةِ وَالردُود عَلَيْهَا ـ مَعَ الاسْتِطْرَادَاتِ وَالمنَاقَشَةِ الجَدَلِيَّةِ النافِعَةِ. وَتَلْخِيصُ رَأْيِهِ يَحْتَاجُ صَبْرًا وذهنًا لَا يكلُّ جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا).

لَقَدْ عَرَضَ الْقَاضِي ابْنُ الطيِّبِ الْبَاقِلَّانِيُّ رَأْيَهُ فِي المرَادِ بِالْأَحْرُفِ السبْعَةِ فِي كِتَابِهِ «الانْتِصَارُ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ» عَرْضًا مُوَسَّعًا شَغَلَ نَحْوَ سَبْعِينَ صَفْحَةً. فَفَسَّرَ الْأَحْرُفَ السبْعَةَ أَوَّلًا بِأَرْبَعِ سَبْعَاتٍ:

أ- سَبْعَةُ الْأَبْوَابِ: نَهْيٌ وَأَمْرٌ؛ وَحَلَالٌ وَحَرَامٌ، وَمُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، وَأَمْثَالٌ.. إلخ.

---

=كان اسم (المنتخب) لم يذكر له في كشف الظنون ولا الأعلام. فيحتمل أنه اسم آخر لأحد تفاسيره الثلاثة ـ إن كان هو المقصود ـ.

(١) أضيف أن أكثرها لا يستحق الاشتغال بتفنيده؛ لأنه ليس علما، وإنما اقتراحات جزافية.

ب- أَسْمَاءُ اللَّـهِ ﷻ فِي خَوَاتِمِ الْآيَاتِ «غَفُورٌ رَحِيمٌ، سَمِيعٌ عَلِيمٌ...» إلخ.

ج- إِحْلَالُ لَفْظٍ مَكَانَ آخَرَ كَقَوْلِكَ: «هَلُمَّ» وَ«تَعَالَ».

د- سَبْعَةُ أَوْجُهٍ مِنَ الْقِرَاءَاتِ وَاخْتِلَافُ الْإِعْرَابِ وَاللفْظِ وَالتقْدِيمُ وَالتأْخِيرُ[1].

ثُمَّ عَادَ الْإِمَامُ الْبَاقِلَّانِيُّ لِيَقُولَ ـ بَعْدَ ذَلِكَ ـ فِي فَصْلٍ جَدِيدٍ: «وَمَعَ ذَلِكَ، قَدْ يمكنُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ السبْعَةَ الْأَحْرُفَ وَاللغَاتِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ مَحْصُورَةٌ مَعْرُوفَةٌ بِمَا يَقْرُبُ أَنْ يَكُونَ هُوَ المرَادُ بِالخَبَرِ وَلَا يَبْعدُ» فذكر: (١) الاختلاف بالتقديم والتأخير: ﴿وَجَآءَتْ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّ﴾ [ق :١٩] وقد قرئ «سَكْرَةُ الحَقِّ بِالمَوْتِ» . (٢) بالزيادة والنقصان ﴿وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [يس: ٣٥] «وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ»، (٣) اخْتِلَافًا يُزِيلُ صُورَةَ اللفْظِ وَمَعْنَاهُ ﴿وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ﴾ [الواقعة: ٢٩] قرئت «وَطَلْعٍ مَنْضُودٍ»، (٤) اخْتِلَافًا فِي حُرُوفِ الْكَلِمَةِ بِمَا يُغَيِّرُ مَعْنَاهَا وَلَفْظَهَا فِي السمَاعِ وَلَا يُغَيِّرُ صُورَتَهَا فِي الْكِتَابِ ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] قرئت «كَيْفَ نُنْشِرُهَا» (٥) اخْتِلَافًا فِي بِنَاءِ الْكَلِمَةِ وَصُورَتِهَا بِمَا لَا يُزِيلُهَا فِي الْكِتَابِ وَلَا يُغَيِّرُ مَعْنَاهَا ﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾ [سبأ :١٧] قرئت «وَهَلْ يُجَازَىٰ إِلَّا الْكَفُورُ». (٦)اخْتِلَافًا يُغَيِّرُ صُورَتَهَا وَلا يُغَيِّرُ مَعْنَاهُ ﴿كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥] «كَالصُّوفِ المنْقُوشِ». (٧) اخْتِلَافًا فِي الْإِعْرَابِ لِلْكَلِمَةِ وَحَرَكَاتِ بِنَائِهَا بِمَا يُغَيِّرُ مَعْنَاهَا وَلَا يُزِيلُهَا عَنْ صُورَتِهِ فِي الْكِتَابِ ﴿رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾ [سبأ :١٩] «رَبُّنَا بَاعَدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا». ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ الْبَاقِلَّانِيُّ : «فَهَـٰذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ ـ وَاللهُ أَعْلَمُ ـ هُوَ تَفْسِيرُ السبْعَةِ الْأَحْرُفِ دُونَ مَا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ»[2].

---

(١) ينظر (الانتصار للقرآن) (تح . عمر القيام) ١/ ٣٣٢- ٣٤٥.

(٢) ينظر السابق نفسه ١/ ٣٥٩- ٣٦٥.

# رَأْيُ الإِمَامِ الدَّانِيِّ

( الْإِمَامُ أَبُو عَمْرٍو الدَّانِيُّ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّانِيّ ( ت ٤٤٤ هـ ) يَكَادُ يَكُونُ أَكْبَرَ أَئِمَّةِ الْقِرَاءَاتِ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ . وَقَدْ عَالَجَ المرَادَ بِالْأَحْرُفِ السبْعَةِ عِلَاجا مُوَسَّعًا ، فَبَدَأَ بِعَرْضِ عَشْرِ رِوَايَاتٍ لِلْحَدِيثِ ـ ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ السبْعَةَ أَحْرُفٍ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ سَبْعَةَ أَوْجِهٍ مِنَ اللغَاتِ ، فَكُلُّ وَجْهٍ حَرْفٌ [1]، كَمَا يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ﷺ سَمَّىٰ الْقِرَاءَةَ حَرْفًا ـ وَإِنْ كَانَتْ كَلَامًا كَثِيرًا ـ عَلَىٰ طَرِيقِ السَّعَةِ ؛ مِنْ أَجْلِ أَنَّ مِنْهَا حَرْفًا قَدْ غُيِّرَ نَظْمُهُ ، أَوْ كُسِرَ أَوْ قُلِبَ إِلَىٰ غَيْرِهِ ، أَوْ أُمِيلَ ، أَوْ زِيدَ ، أَوْ نُقِصَ مِنْهُ . فَنُسِبَتِ الْقِرَاءَةُ وَالجُمْلَةُ التامَّةُ إِلَىٰ ذَلِكَ الحَرْفِ المغَيَّرِ المخْتَلِفِ اللفْظِ مِنَ الْقِرَاءَةِ . وَذَلِكَ عَلَىٰ عَادَةِ الْعَرَبِ كَمَا يُسَمُّونَ الْقَصِيدَةَ قَافِيَةً ، وَالْآيَاتِ كَلِمَةً[2]. ثُمَّ ذَكَرَ الْإِمَامُ الدَّانِيُّ أَنَّ الحِكْمَةَ فِي إِنْزَالِ الْقُرْآنِ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ هِيَ التوْسِعَةُ مِنَ اللَّـهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ عِبَادِهِ رَحْمَةً لَـهُمْ وَتَخْفِيفًا عَنْهُمْ[3] . وَأَخِيرًا بَيَّنَ أَوْجُهَ الاخْتِلَافِ فَذَكَرَ تِسْعَةَ عَشَرَ وَجْهًا ذَكَرَ لِكُلٍّ مِنْهَا بِضْعَةَ أَمْثِلَةٍ[4] :

(١) تَغَيُّرُ اللفْظِ نَفْسه وَتَحْوِيلُهُ وَنَقْلُهُ إِلَىٰ لَفْظٍ آخَرَ مِثْل : « مَلِك» و «مَالِك» ، و«الصرَاط » و« السراط» [ الفاتحة] .

(٢) الْإِثْبَاتُ وَالحَذْفُ : « وَسَارِعُواْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ» و « سَارِعُواْ» بلا واو .

(٣) تَبْدِيلُ الْأَدَوَاتِ« فَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الله » «وتوكل على الله»[الشعراء:٢١٧].

---

(١) ينظر الأحرف السبعة للداني . تح . الطحان ٢٧ .

(٢) السابق ٢٨ ، وفي المطبوع ( والكلمة التامة) وهو تحريف .

(٣) نفسه :٣١ .

(٤) السابق نفسه : ٣٣ :٣٤ .

(٤) التَّوْحِيدُ وَالجَمْعُ « الريح» و « الريَاح» [ البقرة :١٦٤].

(٥) التَّذْكِيرُ وَالتأْنِيثِ: « وَلَا يُقْبَلُ مِنهَا شَفَاعَةٌ ولا تُقْبَلُ» .

(٦) الاسْتِفْهَامُ وَالخَبَرُ : « أَأَعْجَمِيٌّ» و«أَعْجَمِيٌّ» .

(٧) التشْدِيدُ وَالتخْفِيفُ :« بِمَا كَانُوا يُكَذِّبُونَ» و «يَكْذِبُون» [البقرة :١٠ ].

(٨) الخِطَابُ وَالْإِخْبَارُ : « وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ » وَ «يَعْمَلُونَ» [البقرة:٧٤].

(٩)الْإِخْبَارُ عَنِ النفسِ وَالْإِخْبَارُ عَنْ غَيْرِ النفسِ : « يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حيث يَشَاءُ » و«نَشَاءُ» [ يوسف :٥٦ ] .

(١٠)التقْدِيمُ وَالتأْخِيرُ : «وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا» و « وَقُتِلُوا وَقَاتَلُوا» [ آل عمران:١٩٥].

(١١) النفْيُ وَالنهْيُ : « وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الجَحِيمِ» و «وَلَا تَسْأَلْ» [البقرة:١١٩] .

(١٢)الْأَمْرُ وَالْإِخْبَارُ : « واتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى» و« وَاتَّخَذُوا» [البقرة:١٢٥].

(١٣) تَغْيِيرُ الْإِعْرَابِ وَحْدَهُ : « وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِم» وَ« وَصِيَّةٌ» [ البقرة :٢٤٠]

(١٤) تَغَيُّرُ الحَرَكَاتِ اللوَازِمِ : « وَلَا تَحْسَبَنَّ» و« ولا تَحْسِبَنَّ» [ آل عمران:١٧٨].

(١٥) التحْرِيكُ وَالتسْكِينُ : «خُطُوَات» و « خُطْوَات» [ البقرة :١٨٦ ] .

(١٦) الإِتْبَاعُ وَتَرْكُهُ : « فمنِ اضْطُرَّ» و « فَمَنُ اضْطُرَّ» . [البقرة:١٧٣] .

(١٧) الصرْفُ وَتَرْكُهُ : « وَعَادًا وَثَمُودًا» و« وَعَادًا وَثَمُودَ» .[الفرقان :٣٨].

(١٨)اخْتِلَافُ اللغَاتِ : «جِبْرِيل» و« جَبْرَئِيل» [البقرة :٩٨] .« أَرْجِئْهُ» و«أَرْجِه» بِالْـهَمْزِ وَبِلَا هَمْزٍ .

(١٩) التصَرُّفُ فِي اللغَاتِ ، نَحو الْإِظْهَارِ وَالْإِدْغَامُ وَالمدِّ وَالْقَصْرِ ، وَالْفَتْحِ وَالْإِمَالَةِ وَبَيْنَ بَيْنَ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

# الفَصْلُ الثَّالِثُ

## «تجْميعُ أَقْوالِ القُدَماءِ فِي المرادِ بالأَحْرُفِ السبْعَةِ فِي مجْمُوعَاتٍ لِكَيْ نُناقِشَها»

عَرَضْنَا ـ فِي الْفَصْلِ السابِقِ ـ الأَقْوَالَ الَّتِي أُثِرَت فِي بَيَانِ المرَادِ بالأَحْرُفِ السبْعَةِ، وَقَدْ بَلَغَتْ وَاحِدًا وَخَمْسِينَ قَوْلًا. وَهَـٰذَا تَجْمِيعٌ لِتِلْكَ الأَقْوَالِ نَبْدَؤُهُ بِالْقَوْلِ السادِسِ، وَسَنُضَمِّنُ الأَقْوَالَ الخَمْسَةَ الأُولَىٰ كُلًّا مِنْهَا فِي المجْمُوعَةِ المناسِبَةِ لَهُ بَعْد.

**المجْمُوعَةُ الأُولَى:** الْقَوْلُ بِأَنَّ الأَحْرُفَ السبْعَةَ هِي سبعة وُجُوهٍ أَوْ أَنْواعٍ مِنَ الاخْتِلَافَاتِ فِي قِرَاءَةِ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. وَيُمَثِّلُ هَـٰذِهِ المجْمُوعَةَ رَأْيُ ابْنِ قُتَيْبَةَ المتوَفَّىٰ ٢٧٦هـ. وَهَـٰذِهِ الْوُجُوهُ أَوِ الأَنْوَاعُ مِنَ الاخْتِلَافَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا هِي خَلِيطٌ مِنَ الأَدَاءِ اللهَجِيِّ، وَالاخْتِلَافِ فِي الخَطِّ وَضَبْطِهِ[1]:

- **الْوَجْهُ الأَوَّلُ:** الاخْتِلَافُ فِي حَرَكَاتِ إِعْرَابِ الْكَلِمَةِ أَوْ بِنْيَتِهَا دُونَ تَغَيُّرِ مَعْنَاهَا وَصُورَتِهَا فِي الرسْمِ نَحو قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾[2] بِرَفْعِ «أَطْهَر» وَبِنَصْبِهَا، وَنَحْو: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ :١٧] و«هَلْ يُجَازَىٰ» أَيْ بِبِنَاءِ

---

(١) ننقله بتصرف يسير من تأويل مشكل القرآن ٣٦ ـ ٣٨ وهو في الإتقان (أبو الفضل) ١/ ١٦٥- ١٦٦ باختلاف في العبارة.

(٢) سورة هود ٧٨ ولحن أبو عمرو بن العلاء وسيبويه قراءةَ النصب، وخُرِّجَت علىٰ أنها حال. (البحر/ دار الفكر) ٥/ ٢٤٧).

الْفِعلِ لِلْمَعْلُومِ وَلِلْمَجْهُولِ[1]، وَنَحْو: ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾[2] بِالضمِّ فِي «الْبُخْلِ» وَبِضَمَّتَيْنِ وَبِالْفَتْحِ وَبِفَتْحَتَيْنِ، [البقرة :٢٨٠]﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ بِفَتْحِ السينِ وَبِضَمِّهَا .

- الْوَجْهُ الثَّانِي: الاخْتِلَافُ فِي حَرَكَاتِ إِعْرَابِ الْكَلِمَةِ أَوْ بِنْيَتِهَا أَيْضًا ، وَلَكِنْ مَعَ تَغَيُّرِ المعْنَىٰ دُونَ صُورَةِ الْكَلِمَةِ، نَحْو: [سبأ :١٩]﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾بِالنداءِ وَالدعَاءِ، وَ«رَبُّنَا بَاعَدَ» بِالْإِخْبَارِ وَالْفِعْلِ الماضِي وَ [النور :١٥]﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ بِفَتْحِ التاءِ واللامِ وَالْقَافِ مُشَدَّدَةً مَفْتُوحَةً، «تَلِقُونَهُ» بِكَسْرِ اللامِ وَضَمِّ القَافِ، وَ[يوسف :٤٥]﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ بِضَمِّ هَمْزَةِ «أُمَّةٍ» وَتَضْعِيفِ الميمِ مَعَ تَاءٍ مَرْبُوطَةٍ، «بَعْدَ أَمَه» بِفَتْحِ الهَمْزَةِ وَالمِيمِ المفتوحة مَعَ هَاءٍ».

- الْوَجْهُ الثالِثُ: الاخْتِلَافُ فِي حُرُوفِ الْكَلِمَةِ بِمَا يُغَيِّرُ مَعْنَاهَا وَلَا يُغَيِّرُ صُورَتَهَا فِي الرسْمِ ـ أَيْ يَكُونُ الاخْتِلَافُ فِي الْإِعْجَامِ ـ نحو[البقرة :٢٥٩] ﴿ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ بِالزاي، و«نُنْشِرُهَا»- بالراء. ونحو [سبأ :٢٣]﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ بِالزاي وَالْعَيْنِ المهْمَلَةِ، «فُرِّغَ» بِالراءِ وَالْغَيْنِ المعْجَمَةِ مَعَ الْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ فِي الْقِرَاءَتَيْنِ.

- الْوَجْهُ الرابِعُ: اخْتِلَافُ صُورَةِ الْكَلِمَةِ ـ وَلَوْ كَانَ اخْتِلَافًا كَامِلًا ـ دُونَ اخْتِلَافِ مَعْنَاهَا مِثْل: [يس :٢٩]﴿إِنْ كَانَتْ إِلا صَيْحَةً﴾،«إِلَّا زَقْيَةً » وَهِي بِمَعْنَىٰ

---

(١) من سبأ/ ١٧ وهناك قراءة ثالثة «يُجْزَىٰ» للمفعول- البحر ٧/ ٢٧١.

(٢) النساء ٣٧ والوجوه في البحر ٣/ ٢٤٦.

«صَيْحَة»، [القارعة :٥]﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ ، «كَالصُّوفِ..» وَهَـٰذَا الْوَجْهُ قِرَاءَةٌ بِالْـمُرَادِفِ.

- الْوَجْهُ الخَامِسُ: اخْتِلَافُ صُورَةِ الْكَلِمَةِ - بِتَغْيِيرٍ فِي حُرُوفِهَا كُلِّهَا أَوْ بَعْضِهَا وَفِي مَعْنَاهَا مَعًا - نَحْو «وَطَلْعٍ مَنْضُودٍ» في موضع [الواقعة :٢٩]: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾.

- الْوَجْهُ السادِسُ: الاخْتِلَافُ بِالتقْدِيمِ وَالتأْخِيرِ فِي كَلِمَاتِ الْعِبَارَةِ نَحْو: [ق:١٩]﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الحَقِّ بِالموْتِ».

- الْوَجْهُ السابِعُ: الاخْتِلَافُ بِالزيَادَةِ وَالنقْصَانِ. نَحْو قَوْلِهِ تَعَالَىٰ[يس :٣٥]: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ «وَمَا عَمِلَتْ»، ونحو[الحديد :٢٤] ﴿فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ «فَإِنَّ اللهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ». وَقَرَأَ بَعْضُ السلَفِ[ص :٧٣]:« إِنَّ هٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً أُنْثَىٰ» و [طه :١٥]«إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي فَكَيْفَ أُظْهِرُكُمْ عَلَيْهَا»[1].

---

(١) ولي تعليقان علىٰ أمثلة القراءات التي أوردها ابن قتيبة: الأول عن ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ هٰذه . والتعليق من نقطتين الأولى أنني أكاد أقطع بأن كلمة «نفسي» محرفة عن «نبيي». لأن تعبير الإنسان بأنه يكاد يخفي الشيء (السر مثلا) عن نفسه فيه مبالغة كافية جدًّا في التعبير عن حرصه علىٰ الإخفاء لأنه يخشىٰ أن يضعف أو ينسىٰ أو يُستفَزّ لأمر ما فيفشي ما هو حريص علىٰ كتمانه، لكن الله ﷻ منزه عن الضعف بكل صوره فنسبة «أخفيها عن نفسي» إليه ﷻ لا تناسب التنزيه أبدًا. ولكن إذا كانت العبارة أكاد أخفيها عن نبيي فإنها تؤدي المراد دون هٰذا الجفاء والغلظة في التعبير ولا تقدح في التنزيه. النقطة الثانية أن هذه التكملة«فكيف أطلعكم عليها» تخل بإحكام العبارة ؛ لأن تكملة الآية «لتجزىٰ كل نفس بما تسعىٰ » لا تتسق في الإحكام مع هٰذا الاستفهام التعجبي. فهذا المثل يقطع بـأن هذه القراءات هي تفسيرات أقحمها الذين رُويت عنهم للتوضيح، فكانت ضارة ملبسة ؛ لأن الذين رووها عن الذين أقحموها لم يميزوا، فظنوا أن ما رووه هو من القراءة لا من تفسيرها .

ذَكَرَ ابْنُ عَطِيَّةَ (١/ ٣٥- ٣٦) أَنَّ صَاحِبَ الدلَائِلِ وَهُوَ قَاسِمُ بْنُ ثَابِتٍ (ت٣٠٢هـ) حَكَىٰ عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ، وَكَذَا ذَكَرَ ابْنُ الطيِّبِ الْبَاقِلَّانِيُّ(٤٠٣هـ) قَوْلًا فِي تَفْسِيرِ الحَدِيثِ، وَذَكَرَ ابْنُ عَطِيَّةَ تَفْصِيلَ هَـٰذَا الْقَوْلِ، فَتَبَيَّنَ أَنَّهُ فِي الروَايَتَيْنِ هُوَ قَوْلُ ابْنِ قُتَيْبَةَ بِعَيْنِهِ.

وَيَدْخُلُ فِي هَـٰذِهِ المَجْمُوعَةِ الْأُولَىٰ وَهِي مَجْمُوعَةُ ابْنِ قُتَيْبَةَ رَأْيُ الْإِمَامِ أَبِي الخَيْرِ ابْنِ الجَزَرِيِّ (المتوَفَّىٰ ٨٣٣هـ) حَيْثُ ذَكَرَ سَبْعَةَ أَوْجُهٍ قَالَ إِنَّهُ وَصَلَ إِلَيْهَا بَعْدَ إِمْعَانِ النظَرِ وَتَتَبُّعِ جَمِيعِ اخْتِلَافَاتِ الْقِرَاءَاتِ. وَلَكِنَّهَا مُتَطَابِقَةٌ مَعَ سَبْعَةِ ابْنِ قُتَيْبَةَ فِي الصوَرِ وَفِي أَكْثَرِ الْأَمْثِلَةِ: اخْتِلَاف فِي الحَرَكَاتِ فَقَطْ كَالْبُخْلِ وَالْبَخَلِ، وَفِي الحَرَكَاتِ مَعَ تَغَيُّرِ المعْنَىٰ «بَعْدَ أُمَّةٍ»/ «بَعْدَ أَمَهٍ»[1]، اخْتِلَاف فِي الحُرُوفِ مَعَ تَغَيُّرِ المعْنَىٰ «تَبْلُوا» / «تَتْلُوا»[يونس: ٣٠]، اخْتِلَافٌ فِي الحُرُوفِ مَعَ تَغَيُّرِ صُورَةِ الْكِتَابَةِ دُونَ المعْنَىٰ «بَصْطة»/ «بسَطْةً»[البقرة :٢٤٧]، اخْتِلَافٌ فِي الحُرُوفِ مَعَ تَغَيُّرِهِمَا «يأْتَلِ»/ «يَتَأَلَّ»[النور :٢٢] «فَامْضُوا إِلَىٰ ذِكْرِ الله» - يَعْنِي بَدَلًا مِنْ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ

---

التعليق الثاني عن سائر القراءات التي ذكرها ابن قتيبة في رأيه في المراد بالأحرف السبعة وفي كلامه عن إذن الله تعالىٰ لرسوله ﷺ أن يَقْرأ أهلُ أمته بلهجاتهم، فإنه من حيث إن ابن قتيبة لم يدرك زمن ابن مجاهد (٣٢٤هـ) مُسَبِّع السبع، ولا زمن ابن الجزري مُكْمِل السبع إلىٰ عشر. وهٰذه السبع وتكملتها هي التي اعتمدتها الأمة في القراءات، فقد جاء في أمثلة ابن قتيبة قراءات مما لم يعتمد ، فوجب أن أبينها. وهي ﴿هُنَّ أَطْهَرَ﴾ (هود ٧٨) بنصب أطهر، ﴿بَعْدَ أَمَهٍ﴾ (يوسف ٤٥) بالهاء والهمزة والميم مفتوحتان بلا تشديد، ﴿فرغ﴾ (سبأ ٢٣)، بالراء والغين، (زقية) (يس ٢٩)، (كالصوف) (القارعة ٧) ، و"طَلْع) (الواقعة ٢٩)، (سكرة الحق) (ق ١٩)، ﴿نعجة أنثىٰ ﴾ (ص ٧٣)، «عَتَّىٰ حين» (يوسف ٣٥) «يِعْلَمُونَ» (أمثلة كسر حرف المضارعة)، ﴿رُدَّتْ﴾ (يوسف ٦٥) بالإشمام كل هٰذه القراءات لم تعتمد في القراءات العشر.

(١) يوسف ٤٥- وقراءة « أمه » بفتح الهمزة والميم وآخرها هاء قراءة شاذة. لا تحسب علىٰ القراءات.

ذِكْرِ اللهِ﴾ - اخْتِلَافٌ بِالتقْدِيمِ وَالتأْخِيرِ ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة :١١١] (أي بالمبْنِي لِلْمَعْلُومِ ثُمَّ المبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ، وَفِي الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَىٰ بِالمبْنَي لِلْمَجهُولِ أَوَّلًا ثُمَّ المبْنِي لِلْمَعْلُومِ )، أَو بِالزيَادَةِ وَالنقْصَانِ «وَأَوْصَىٰ - وَوَصَّىٰ» [البقرة :١٣٢]،(١).

هَـٰذَا، وَقَدْ ذَكَرْنَا مُنْذُ سُطُورٍ أَنَّ الْبَاقِلَّانِيَّ أَتَىٰ بِسَبْعَةِ ابْنِ قُتَيْبَةَ كَوُجُوهٍ تُفَسِّرُ الْأَحْرُفَ السبْعَةَ، مَعَ تَغْيِيرِ تَسْمِيَةِ بَعْضِ الْوُجُوهِ، وَتَغْيِيرٍ فِي تَرْتِيبِ الْعَرْضِ وَذَلِكَ دُونَ أَنْ يَنْسِبَهَا إِلَيْهِ(٢) فَإِنْ عُدَّتْ رَأْيًا مُسْتَقِلًّا فَهِيَ دَاخِلَةٌ فِي هَـٰذِهِ المجْمُوعَةِ.

وَمِمَّا يُلْحَقُ بِهَـٰذِهِ المجْمُوعَةِ أَيْضًا الْقَوْلُ(٣) بِأَنَّ المرَادَ بالأحرف السبْعَةِ سَبْعُ قِرَاءَاتٍ كَقِرَاءَاتِ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ﴾ ، وَقَدْ قُرِئَتْ «وَعَبَدَ»/ « وَعَبَدُوا» (مَاضِيَيْنِ لِلْمَعْلُومِ) «وَعُبِدَ»/ «عُبِدَتْ» (مَاضِيَيْنِ لِلْمَجْهُولِ) وكـ(عَضُد)، و(عُنُق)، و(سُكَّر)، و(تُفَّاح)، و(رِجَال)، و(بَاطِل)، و(زُفَر)، و(أَكْلُب)(٤) وَكَقِرَاءَاتِ: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ (٥).

❊❊❊

وَيُلْحَقُ أَيْضًا بِهَـٰذِهِ المجْمُوعَةِ الْقَوْلُ بِأَنَّ المرَادَ بِالْأَحْرُفِ السبْعَةِ كُلُّ كَلِمَةٍ تُقْرَأُ بِوَجْهٍ أَوْ وَجْهَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ إِلَىٰ سَبْعَةٍ، وَالْقَوْلُ بِأَنَّهَا كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تُعْرَبُ بِسَبْعَةِ أَوْجُهٍ حَتَّىٰ

---

(١) رأي ابن الجزري والأمثلة من النشر ١/ ٢٦، وفي الإتقان ١/ ١٦٦- ١٦٧- باختصار وذلك دون أن يذكر القراءة التي عليها الجمهور وهي «فاسعوا» وقد ذكرها في الإتقان.

(٢) (نكت الانتصار لنقل القرآن) ١٢٠-١٢٢، و(الانتصار للقرآن) (تح . عمر القيام) ١/ ٣٥٩- ٣٦٥ وقد لخصناها هنا في آخر الفصل الثاني السابق لهذا.

(٣) هو القول الثالث في الإتقان (تح . أبو الفضل) ١/ ١٦٥ .

(٤) انظر تفسير القرطبي ٦/ ٢٣٥- ٢٣٦ .

(٥) «أف» ذكر لسان العرب فيها عشرة أوجه (ينظر لسان العرب ( أفف)، وذكر أبو حيان فيها أربعين وجهًا (ينظر البحر/ دار الكتب العلمية ٦/ ٢١-٢٢).

يَكُونَ المعْنَىٰ وَاحِدًا وَإِنِ اخْتَلَفَ اللفْظُ فِيهِ[1].

ثُمَّ نُدْخِلُ فِي هَـٰذِهِ المجْمُوعَةِ أَيْضًا قَوْلَيْنِ يَنْصَبَّان عَلَىٰ كَيْفِيَّاتِ الْأَدَاءِ مِنْ إِظْهَارٍ وَإِدْغَامٍ، وَتَفْخِيمٍ وَتَرْقِيقٍ، وَإِمَالَةٍ وَإِشْبَاعٍ، وَمَدٍّ وَقَصْرٍ، وَتَشْدِيدٍ وَتَخْفِيفٍ، وَتَلْيِينٍ وَتَحْقِيقٍ[2] أَوْ مِنْ هَمْزٍ، وَإِمَالَةٍ، وَفَتْحٍ، وَكَسْرٍ، وَتَفْخِيمٍ، وَمَدٍّ، وَقَصْرٍ[3].

وَالاخْتِلَافُ فِي هَـٰذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ هُوَ اخْتِلَافٌ لَـهجِيٌّ، وَقَدْ نَصَّ الْإِمَامُ أَبُو الْفَضْلِ الرازِيُّ عَلَىٰ ذَلِكَ، كَمَا أَوْرَدَ عَنْهُ ابْنُ الجَزَرِيِّ[4] وَالسيُوطِيُّ[5]. وَسَبْعَة ابْنِ قُتَيْبَةَ بَعْضُهَا فَحَسبُ لَـهجِيّ[6].

وَأَخِيرًا ، فَإِنَّنَا نُدخِلُ فِي هَـٰذِهِ المجْمُوعَةِ كَذَلِكَ قَوْلَ الْإِمَامِ الدانِيِّ ؛ لِأَنَّهُ يَئُولُ إِلَىٰ أَنَّ الْأَحْرُفَ السبْعَةَ مَا هِيَ إِلَّا كَيْفِيَّاتٌ مُخْتَلِفَةٌ فِي أَدَاءِ الْكَلِمَاتِ ، لَكِنَّهُ تَوَسَّعَ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ كَثِيرًا فِي مُلَاحَظَةِ الْكَيْفِيَّاتِ المخْتَلِفَةِ وَجَعْلِهَا بَيَانًا لِلْمُرَادِ بِالْأَحْرُفِ السبْعَةِ .

وَعَلَىٰ ذَلِكَ فَإِنَّ هَـٰذِهِ المجْمُوعَةَ تَشْمَلُ عَشرَةَ أَقْوَالٍ.

المجْمُوعَةُ الثانِيَةُ.. مِنَ الْأَقْوَالِ (وَهِي مَجْمُوعَةُ اللغَاتِ المفَرَّقَةِ فِي الْقُرْآنِ) تَرَىٰ أَنَّ المرَادَ بِالْأَحْرُفِ السبْعَةِ سَبْعُ لُغَاتٍ أَي لهجَاتٍ وَهَـٰذِهِ تُفْهَمُ عَلَىٰ وَجْهَيْنِ:

الْأَوَّلُ : أَنَّ كَلِمَاتِ الْقُرْآنِ يَجُوزُ أَنْ تُنْطَقَ بِطَرِيقَةِ كُلٍّ مِنْ هَـٰذِهِ اللغَاتِ السبْعِ.

---

(١) هما القول الرابع من المجموعة الأولىٰ للسيوطي في الإتقان (تح .أبو الفضل) ١/ ١٦٥ والسابع والعشرون من مجموعة ابن حبان في الإتقان ١/ ١٧٥ .

(٢) هو القول السابع من المجموعة الأولىٰ للسيوطي في الإتقان (أبو الفضل) ١/ ١٦٦ .

(٣) هو القول السابع والعشرون من مجموعة ابن حبان في الإتقان (أبو الفضل) ١/ ١٧٥ .

(٤) انظر النشر لابن الجزري ١/ ٢٧.

(٥) الإتقان (أبو الفضل) ١/ ١٦٦ .

(٦) وهو الوجه الرابع وربما الخامس، ومن الوجوه الأول لغتا (البخل) و(ميسرة).

وَالْوَجْهُ الثانِي: وَهُوَ الْأَخَصُّ بِهَـٰذِهِ المجْمُوعَةِ، وَإِمَامُهُ فِيهَا أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ أَنَّ الْقُرْآنَ فِيهِ أَلْفَاظٌ مِنْ لُغَاتٍ سَبْعٍ أَيْ أَنَّ أَلْفَاظَ اللغَاتِ السبْعِ مُفَرَّقَةٌ فِيهِ. وَقَدْ جَاءَ هَـٰذَا فِي سِتَّةِ أَقْوَالٍ[1] يَقُولُ وَاحِدٌ مِنْهَا عَنِ المرَادِ بِالْأَحْرُفِ السبْعِ هِي لُغَاتٌ: لُغَةُ قُرَيْشٍ، وَالْيَمَنِ، وَجُرْهُمَ، وَهَوَازِنَ، وَقُضَاعَةَ، وَتَمِيمٍ، وَطَيِّءٍ.[2] وَقَدْ قَالَ بِهَـٰذَا الْفَهْمِ جَمْعٌ مِنهُمُ الْإِمَامُ أَبو عُبَيْدٍ وَثَعْلَبٌ وَالْأَزْهَرِيُّ وَآخَرُونَ[3].

المجْمُوعَةُ الثالِثَةُ: (وَهِيَ مَجْمُوعَةُ الْقِرَاءَةِ بِالمُرَادِفِ) هِي الَّتِي تَقُولُ إِنَّ المُرَادَ سَبْعَةُ أَوْجُهٍ مِنَ المعَانِي المتَّفِقَةِ بِأَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ نَحْو: «أَقْبِلْ» وَ«تَعَالَ» وَ«هَلُمَّ»، وَ«عَجِّل» وَ«أَسْرِعْ». وَقَدْ وَرَدَ بِهَـٰذِهِ الروَايَةِ حَدِيثٌ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ وَهُوَ «إِنَّ جِبْرِيلَ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ اقْرَأ القُرْآنَ عَلَىٰ حَرْفٍ. قَالَ مِيكَائِيلُ: اسْتَزِدْهُ... حَتَّىٰ بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ. قَالَ كُلٌّ شَافٍ كَافٍ مَا لَمْ تَخْتِمْ آيَة عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ، أَوْ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ نَحْو قَوْلِكَ: «تَعَالَ» وَ«أَقْبِلْ» وَ«هَلُمَّ»، وَ«اذْهَبْ» وَ«أَسْرِعْ» وَ«عَجِّلْ»[4]- فَإِنْ لَمْ تَكُنِ الْعِبَارَةُ الْأَخِيرَةُ مِنْ هَـٰذَا الحَدِيثِ: «نحو قولك... إلخ» مُدْرَجَةً فَسَيَكُونُ هَـٰذَا التفْسِيرُ نَصًّا أَوْ أَقْرَبَ إِلَىٰ النصِّ عَنْ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ، أَمَّا عَلَىٰ فَرْضِ أَنَّ الْعِبَارَةَ مُدرجَةٌ فَإِنَّ إِمَامَ هَـٰذَا التفْسِيرِ هُوَ عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ وَأَبُو بَكْرَةَ. {. فَقَدْ خَرَّجَ أَحْمَدُ وَالطبَرَانِيُّ أَيْضًا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ نَحْوَهُ[5]}، وَأَسْنَدَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ [البقرة

---

(١) هي العاشر من المجموع الأولىٰ. الإتقان (أبو الفضل) ١/ ١٦٩، والأقوال من العشرين حتىٰ الرابع والعشرين من مجموعة ابن حبان الإتقان (أبو الفضل) ١/ ١٧٤.

(٢) الإتقان (أبو الفضل) ١/ ١٧٤.

(٣) انظر الإتقان (أبو الفضل) ١/ ١٦٩- ١٧٠ والفهم نفسه في الطبري (شاكر) ١/ ٥٥- ٥٧.

(٤) الإتقان (أبو الفضل) ١/ ١٦٧. (عالم الكتب ١/ ٤٦).

(٥) ينظر الإتقان (عالم الكتب) ١/ ٤٦ حديث أبي بكرة، ٤٦- ٤٧ وحديث ابن مسعـــود وأبي هريرة، وتفسير الطبري شاكر ١/ ٥٠ حديث ابن مسعود برقم ٤٨.

[البقرة :٢٠]: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ﴾ «مَرُّوا فِيهِ» «سَعَوْا فِيهِ»، وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَقْرَأُ [الحديد :١٣] ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا﴾ «مَهِّلُونَا» «أَخِّرُونَا». قَالَ الطحَاوِيُّ: وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ رُخْصَةً لَمَّا كَانَ يُتَعَسَّرُ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْهُمُ التلاوَةُ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ، لِعَدَمِ عِلْمِهِمْ بِالْكِتَابَةِ وَالضبْطِ وَإِتْقَانِ الحِفْظِ، ثُمَّ نُسِخَ بزَوَالِ الْعُذْرِ وَتَيَسُّرِ الْكِتَابَةِ وَالحِفْظِ. وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَالبَاقِلَّانِيُّ وَآخَرُونَ. وَفِي فَضَائِلِ الْقُرْآنِ لِأَبِي عُبَيْدٍ مِنْ طَرِيقِ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ الله أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ أَقْرَأَ رَجُلًا [الدخان :٤٣]: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ. طَعَامُ الأَثِيمِ﴾ فَقَالَ الرجُلُ :«طَعَامُ الْيَتِيمِ» فَرَدَّهَا فَلَمْ يَسْتَقِمْ بِهَا لِسَانُهُ. فَقَالَ أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُولَ: «طَعَامُ الْفَاجِرِ»؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ فَافْعَلْ»[1].

وَقَدْ جَاءَ مِنْ هَـٰذِهِ المجْمُوعَةِ قَوْلٌ بنَفسِ المعْنَىٰ أَنَّ المرَادَ بِالْأَحْرُفِ السبْعَةِ: اللغَاتُ المخْتَلِفَةُ لِأَحْيَاءٍ مِنَ الْعَرَبِ فِي مَعْنَىٰ وَاحِدٍ مِثْل:«هَلُمَّ» وَ«هَاتِ» وَ«تَعَالَ» وَ«أَقْبِلْ»[2].

وَنَحْنُ نُلْحِقُ بِهَـٰذِهِ المجْمُوعَةِ الْأَحَادِيثَ وَالروَايَاتِ الَّتِي يُفْهَمُ مِنْهَا جَوَازُ خَتْمِ الآيَةِ بِاسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ الله ﷻ أَوْ أَكْثَرَ بَدَلًا مِنِ اسْمٍ أَوْ أَسْمَاءٍ أُخْرَىٰ. فَقَدْ رَوَىٰ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ (فِي بَيَانِ المرَادِ بِنُزُولِ الْقُرآنِ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ) «قُلْت: سَمِيعًا عَلِيمًا/ عَزِيزًا حَكِيمًا- مَا لَمْ تَخْلِطْ آيَةَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ أَوْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ». وَعِنْدَ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ: عَلِيمًا حَكِيمًا/ غَفُورًا رَحِيمًا». وَعِنْدَهُ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ «إِنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ صَوَابٌ مَا لَمْ تَجْعَلْ مَغْفِرَةً عَذَابًا أَوْ عَذَابًا مَغْفِرَةً». قَالَ السيُوطِيُّ أَسَانِيدُهَا جِيَادٌ[3]. وَمِنَ المؤَكَّدِ أَنَّ الْقَوْلَ الَّذِي يُفَسِّرُ الْأَحْرُفَ السبْعَةَ بِأَنَّهَا «فِي

---

(١) كل ذلك من أول روايـة ابن عبد البر عن أُبي من الإتقان (أبو الفضل) ١/ ١٦٨. (عالم الكتب ١/ ٤٧) ضمن القول التاسع.

(٢) الإتقان (أبو الفضل) ١/ ١٧٥. وهو القول الخامس والعشرون من مجموعة ابن حبان (عالم الكتب ١/ ٤٦).

(٣) نفسه ١/ ١٦٨. (عالم الكتب ١/ ٤٦).

أَسْمَاءِ الربِّ مِثل: الْغَفُور الرحِيم/ السمِيع الْبَصِير/ الْعَلِيم الحَكِيم» [1] مُعْتَمِدٌ عَلَىٰ الْأَحَادِيثِ الَّتِي أَسْلَفْنَاهَا. وَإِنَّمَا أَلْحَقْنَا هَـٰذِهِ الْأَحَادِيثَ وَالْقَوْلَ المبْنِيَّ عَلَيْهَا بِمَجْمُوعَةِ الْقِرَاءَةِ بِالمرَادِفِ مَعَ أَنَّ هَـٰذِهِ الْأَسْمَاءَ الْكَرِيمَةَ غَيْرُ مُتَرَادِفَةٍ؛ لِأَنَّ فِي هَـٰذِهِ الْأَحَادِيثِ وَالْقَوْلِ المبْنِيِّ عَلَيْهَا إِحْلَالَ كَلِمَةٍ بَدَلًا مِنْ كَلِمَةٍ أُخْرَىٰ كَمَا فِي المرَادِفِ، كَمَا أَنَّ هَـٰذِهِ الْأَسْمَاءَ الْكَرِيمَةَ هِيَ فِي حَقِيقَتِهَا صِفَاتٌ لِذَاتٍ وَاحِدَةٍ وَيُرَادُ بِهَا وَصْفُ ذَاتٍ وَاحِدَةٍ (الله ﷻ). وَقَدْ عُدَّ مِثْلُ هَـٰذَا مِنَ التَرَادُفِ [2].

وَقَدْ يُضَمُّ إِلَىٰ هَـٰذِهِ المجْمُوعَةِ الْقَوْلُ بِأَنَّ الْأَحْرُفَ السبْعَةَ «كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تُعْرَبُ بِسَبْعَةِ أَوْجُهٍ حَتَّىٰ يَكُونَ المعْنَىٰ وَاحِدًا وَإِنِ اخْتَلَفَ اللفْظُ فِيهِ» [3] إِذَا فَهِمْنَا «تُعْرَبُ» عَلَىٰ أَنَّهَا بِمَعْنَىٰ تُعَبِّرُ أَي يُعَبَّرُ بِهَا. فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَـٰذَا فَلَا مَعْنَىٰ لِهَـٰذَا الْقَوْلِ إِلَّا اخْتِلَاف الْبِنْيَةِ كَمَا فِي ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ﴾ و﴿أُفٌّ﴾ عَلَىٰ مَا سَبَقَ فِيهِمَا.

فَهَـٰذِهِ المجْمُوعَةُ تَضُمَّ أَرْبَعَةَ أَقْوَالٍ.

**المجْمُوعَةُ الرابِعَةُ** (مَجْمُوعَةُ المصْطَلَحَاتِ الدرَاسِيَّةِ لِلْعُلُوم المتَعَلِّقَةِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ) يَرَىٰ كُلٌّ مِنْهَا أَنَّ الْأَحْرُفَ السبْعَةَ سَبْعةُ أَنْوَاعٍ مِنْ صُوَرِ الاسْتِعْمَالِ اللغَوِيِّ لِلْأَلْفَاظِ وَالْأَسَالِيب وَالتصَرُّفِ فِي صِيَاغَتِهَا فِي النصِّ الْقُرْآنِيِّ الْكَرِيم. وَأَقْوَالُ هَـٰذِهِ المجْمُوعَةِ مُتَأَثِّرَةٌ بِمُصْطَلَحَاتِ مَجَالَاتٍ لُغَوِيَّةٍ وَفِقْهِيَّةٍ وَهِي تَشْمَلُ سِتَّةَ أَقْوَالٍ [4] وَقَدْ ذكرَ

---

(١) ذاته ١/ ١٧٥. (عالم الكتب ١/ ٤٩ وهو القول الحادي والثلاثون من مجموعة ابن حبان).

(٢) ينظر المزهر ١/ ٤٠٥.

(٣) الإتقان ١/ ١٧٥. (عالم الكتب/ ٤٩ وهو القول التاسع والعشرون من مجموعة ابن حبان).

(٤) هى السادس من مجموعة السيوطى الإتقان (أبو الفضل) ١/ ١٦٦، والثانى عشر إلى الرابع عشر من نفس المجموعة ١/ ١٧٢، والثامن عشر والثامن والعشرون من مجموعة ابن حبان ١/ ١٧٤- ١٧٥. (مجموعة ابن حبان كلها في الإتقان عالم الكتب ١/ ٤٨- ٤٩). وقد نقلناها عنه في الفصل الثانى هنا.

ضِمْنَ هَـٰذِهِ المجْمُوعَةِ أَبُو الْفَضْلِ عَبْدُ الرحْمَـٰنِ بْنُ أَحْمَدَ الْـمُقْرِي الرازِي المتَوَفَّىٰ ٤٥٤هـ صَاحِب التفْسِيرِ المسَمَّىٰ (اللوَائِح) أو (اللوامِح)، وَقَدْ فَسَّرَ الْأَحْرُفَ السبْعَةَ بِسَبْعَةِ أَوْجُهٍ مِنَ الاخْتِلَافِ: اخْتِلَافُ الْأَسْمَاءِ مِنْ إِفْرَادٍ وَتَثْنِيَةٍ وَجَمْعٍ، وَتَذْكِيرٍ وَتَأْنِيثٍ، وَاخْتِلَافِ تَصْرِيفِ الْأَفْعَالِ مِنْ مَاضٍ وَمُضَارِعٍ وَأَمْرٍ، وَوُجُوهِ الْإِعْرَابِ، وَالنقْصِ وَالزيَادَةِ، والتقْدِيمِ وَالتأْخِيرِ، وَالْإِبْدَالِ، وَاخْتِلَافِ اللغَاتِ كَالْفَتْحِ وَالْإِمَالَةِ وَالترْقِيقِ والتفْخِيمِ ..إلخ. وَذَكَرَ غَيْرُهُ: التذْكِيرَ وَالتأْنِيثَ، والشرْطَ وَالجزَاءَ، وَالْأَقْسَامَ وَجَوَابَها، والجَمْعَ وَالْإِفْرَادَ وَالتصْغِيرَ وَالتعْظِيمَ. وَالحَذْفَ وَالصلَةَ، وَالتَّكْرَارَ، وِالاسْتِعَارَةَ، وَالحَقِيقَةَ وَالمجَازَ، وَالمجْمَلَ وَالمفَسَّرَ، وَالناسِخَ وَالمنسُوخَ وَمَا إِلَىٰ ذَلِكَ مِنْ مُصْطَلَحَاتِ النحْوِ وَالْبَلَاغَةِ وَأُصُول الْفِقْهِ[1]، وَهِي أَقْوَالٌ تُسِيءُ إِلَىٰ الْقَائِلِينَ بِها إِسَاءَةً بَالِغَةً؛ لِأَنَّ تِلْكَ المصْطَلَحَاتِ لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً فِي عَصْرِ النبُوَّةِ، فَتِلْكَ الْعُلُومُ هِي أَوَّلُ الدرَاسَاتِ الَّتِي نَشَأَتْ هَـٰذِهِ المصْطَلَحَاتُ فِيهَا، وَهِي لَمْ تَنْشَأْ فِي الْقَرْنِ الْأَوَّلِ قَطْعًا، فَالْقَوْلُ بِها تَفْسِيرًا لِلْأَحْرُفِ السبْعَةِ غَفْلَةٌ أَوْ تَكَلُّفٌ غَيْرُ لَائِقَيْنِ بِأَهْلِ الْعِلْمِ. وَمِثْلُ تِلْكَ الْأَقْوَالِ قَوْلَانِ بِأَقْسَامٍ أَوْ أَبْوَابٍ اصْطِلَاحِيَّةٍ. وَاحِدٌ عَنِ الصوفِيَّةِ، وَالْآخَرُ مِنْ مَجَالِ عِلْمِ الْكَلَامِ[2].

فَهَـٰذِهِ المجْمُوعَةُ تَضُمُّ ثَمَانِيَةَ أَقْوَالٍ.

**المجْمُوعَةُ الخَامِسَةُ..** (تَقْسِيمُ المحْتَوَيَاتِ وَالتعَالِيمِ) أَقْوَالٌ يُقَسِّمُ كُلٌّ مِنْهَا مُحْتَوَيَاتِ الْقُرْآنِ وَتعَالِيمَهُ (أَوْ مَعَانِيَهُ) إِلَىٰ سَبْعَةِ أَصْنَافٍ أَوْ مَجَالَاتٍ مِثْل: حَلَال وحَرَام، وَأَمْر ونَهْي، وَزَجْر، وَأَمْثَال، وَخَبر مَا هُوَ كَائِنٌ، وَوَعْد وَوَعِيد، وَبِشَارة وَنِذَارة وَمَوَاعِظ

---

(١) ينظر الإتقان (أبو الفضل) ١/ ١٦٦ و ١٧٢. وقول أبى الفضل في الإتقان (عالم الكتب ١/ ٤٦ وغيره هو الأقوال من الثاني عشر حتىٰ الرابع عشر).

(٢) الإتقان (أبو الفضل)١/ ١٧٢. (عالم الكتب) ١/ ٤٨.

إِلَخ.. وَهَـٰذِهِ المَجْمُوعَةُ تَشْمَلُ ١٥ قَوْلًا [1] كُلّهَا عَلَىٰ هَـٰذَا النمَطِ، وَإِنَّمَا يَخْتَلِفُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ فِي وَاحِدٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ أَصْنَافِ التَّعَالِيم.

وَالمَجْمُوعَةُ السادِسَةُ: أَقْوَالٌ بِأَنْوَاعٍ مُشْتَرَكَةٍ بَيْنَ المَجْمُوعَتَيْنِ السابِقَتَيْنِ مِثْل: مُحْكَم ومُتَشَابَه، وَنَاسِخ وَمَنْسُوخ، وَخُصُوص وَعُمُوم، وَقَصَص. وَتَشْمَلُ سَبْعَةَ أَقْوَالٍ[2].

وَجَدِيرٌ بِالذِّكْرِ أَنَّ خَمْسًا مِنْ (سَبْعَاتِ) المَجْمُوعَتَيْنِ الخَامِسَةِ وَالسادِسَةِ لَمْ يَزِدْ كُلٌّ مِنْهَا عَنْ سِتَّةِ أَوْجُهٍ[3] مِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ الجُزَافِيَّةِ وَقِلَّةِ التمْحِيصِ عِنْدَ أَصْحَابِ هَـٰذِهِ السبْعَاتِ.

أَمَّا المَجْمُوعَةُ السابِعَةُ: فَهِيَ مَا بَقِيَ مِنْ أَقْوَالٍ مُتَنَاثِرَةٍ كَالْقَوْلِ بِأَنَّ الْأَحْرُفَ السبْعَةَ هِيَ أُمَّهَاتُ الهِجَاءِ الْأَلِفُ وَالْبَاءُ وَالجِيمُ وَالدالُ وَالراءُ وَالسينُ وَالعَيْن ؛«لِأَنَّ عَلَيْهَا تَدُورُ جَوَامِعُ كَلَامِ الْعَرَبِ» [4]، وَالْقَوْلُ بِأَنَّهَا سَبْعُ قِرَاءَاتٍ لِسَبْعَةٍ مِنَ الصحَابَةِ: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضى الله عنه [5]

---

(١) أكثر مجموعة ابن حبان من هذه المجموعة وما يليها. وهذه المجموعة تشمل الأقوال من الأول حتى الرابع، ومن الثامن حتىٰ الحادي عشر، ومن الثاني والثلاثين حتى الخامس والثلاثين ، كما تشمل السادس والتاسع عشر، كل ذلك من مجموعة ابن حبان في الإتقان (تح . أبو الفضل) ١/ ١٧٣ - ١٧٦ وتشمل الحادي عشر من مجموعة السيوطي (الإتقان أبو الفضل) ١/ ١٧٠. (مجموعة السيوطي في ط عالم الكتب ١/ ٤٥- ٤٨، ومجموعة ابن حبان في ط عالم الكتب ١/ ٤٨ - ٤٩). وقد نقلناهما في الفصل الثاني هنا.

(٢) من الرابع عشر حتىٰ السابع عشر، والخامس والسابع والثاني عشر من مجموعة ابن حبان ١/ ١٧٣/ ١٧٤.

(٣) هي الأقوال الرابع والتاسع والحادي عشر والخامس عشر والسابع عشر من مجموعة الأقوال التي أوردها ابن حبان وهي في الإتقان (أبو الفضل) ١/ ١٧٣- ١٧٤.

(٤)الإتقان (أبو الفضل) ١/ ١٧٥ .

(٥)ذاته .

وَالْقَوْلُ بِأَنَّ السبْعَةَ فِي الحَدِيثِ لَيْسَ المرَادُ بِهَا حَقِيقَةَ الْعَدَدِ بَلِ المرَادُ التيْسِيرُ وَالتسْهِيلُ وَالسعَةُ(١).

وَأَخِيرًا الْقَوْلُ بِأَنَّ هـٰذَا الحَدِيثَ مِنَ المشْكِلِ الَّذِي لَا يُدْرَىٰ مَعْنَاهُ، لِأَنَّ الحَرْفَ يَصْدُقُ لُغَةً عَلَىٰ حَرْفِ الهِجَاءِ، وَعَلَىٰ الْكَلِمَةِ، وَعَلَىٰ المعْنَىٰ، وَعَلَى الجِهَةِ(٢) فَهَـٰذِهِ المجْمُوعَةُ تَضُمُّ أَرْبَعَةَ أَقْوَالٍ.

وَبِذَلِكَ يَبْلُغُ مَجْمُوعُ الْأَقْوَالِ الَّتِي أَوْرَدَهَا السيُوطِيُّ فِي بَيَانِ المرَادِ بِالْأَحْرُفِ السبْعَةِ فِي حَدِيثِ «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ» أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِينَ قَوْلًا. وَقَدْ جَمَعْنَاهَا فِي سَبْعِ مَجْمُوعَاتٍ كَمَا تَرَىٰ.

❁ ❁ ❁

---

(١) ذاته ١/ ١٦٤.

(٢) ذاته.

# الفَصْلُ الرَّابِعُ

# «مُنَاقَشَةُ مجْمُوعَاتِ الأَقْوَالِ المفسِّرَةِ للحَدِيثِ»

بِالنسبَةِ لِلْمَجْمُوعَةِ الْأُولَىٰ مِنَ الْأَقْوَالِ وَهِيَ مَجْمُوعَةُ ابْنِ قُتَيْبَةَ: تُنَاقَشُ بِمَا يَلِي:

(١) تَبْدُو بَعْضُ وُجُوهِ الْقِرَاءَاتِ الَّتِي جَاءَتْ فِي قَوْلِي ابْنِ قُتَيْبَةَ وَابْنِ الجَزرِيِّ مِثْل «نُنْشِزُهَا»/ «نُنْشِرُهَا»، «فُزِّعَ» / «فُرِّغَ»، «أُمَّةٍ»/ « أَمَه» تَبْدُو كَأَنَّهَا مُجَرَّدُ اخْتِلَافَاتٍ فِي إِعْجَامِ الحُرُوفِ أَي نَقْطِهَا، وَلِذَا تَعقَّبَ قَاسِمُ بْنُ ثَابِتٍ قَوْلَ ابْنِ قُتَيْبَةَ بِأَنَّ «الرُّخْصَةَ (يَعْنِي رُخْصَةَ الْقِرَاءَةِ بِالْأَحْرُفِ السبْعَةِ) وَقَعَتْ وَأَكْثَرُهُمْ يَوْمَئِذٍ (أَيْ أَكْثَرُ الصحَابَةِ الَّذِينَ عَاصَرُوا نُزُولَ الْقُرْآنِ، وَرُخْصَةَ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ) لَا يَكْتُبُ وَلَا يُعْرَفُ الرسْمَ وَإِنَّمَا كَانُوا يَعْرِفُونَ الحُرُوفَ وَمَخَارِجَهَا. وَقَدْ نَقَدَ أَبُو الْفَضْلِ الرازِيُّ رَأْيَ ابْنِ قُتَيْبَةَ بِمِثْلِ مَا قَالَ قَاسِمُ بْنُ ثَابِتٍ[1]. وَأُجِيبَ بِأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ تَوْهِينُ مَا قَالَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ، لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ المذْكُور فِي ذَلِكَ وَقَعَ اتِّفَاقًا، وَإِنَّمَا اطَّلَعَ عَلَيْهِ بِالاسْتِقْرَاءِ»[2].

وَأَقُولُ أَنَا ـ مُحَمَّدُ ابنُ حَسَن جَبَل ـ إِنَّ هَـٰذَا الجَوَابَ مَرْدُودٌ؛ لِأَنَّ الْأُمُورَ الاتِّفَاقِيَّةَ (أَيِ الَّتِي تَحْدُثُ بِالمصَادَفَةِ) لَا يُسْمَحُ بِهَا فِي التحْلِيلِ الْعِلْمِيِّ إِلَّا بِنِسْبَةٍ ضَئِيلَةٍ جِدًّا وَفِي حَالَةِ الاحْتِمَالَاتِ الْكَثِيرَةِ (مئة وَمُضَاعَفَاتها عَلَىٰ الْأَقَلِّ)، وَلَا تَكُونُ عُنْصُرَ تَفْسِيرٍ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ قِرَائِيٍّ وَإِلَّا خَرَجَتْ عَمَّا يَقْبَلُهُ التحْلِيلُ الْعِلْمِيُّ مِنَ الاحْتِمَالَاتِ. وَالْأَمْرُ هُنَا غَيْرُ ذَلِكَ، فَالاحْتِمَالَاتُ فِي الموْضِعِ الْقِرَائِيِّ الْوَاحِدِ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَعَشرَةٍ وَيَنْدُرُ جِدًّا أَنْ تَزِيدَ عَنْ

---

(١) ينظر معاني الأحرف السبعة، لأبي الفضل الرازي (تح د. حسن عتر) ٣١٢-٣١٦.

(٢) الإتقان (أبو الفضل) ١/ ١٦٦ .

ذَلِكَ. وَعَلَيْهِ، فَإِنَّ الاتِّفَاقَ (= المصَادفَةَ) الَّذِي سَوَّغَ بِهِ بَعْضُهُمْ قَوْلَ ابْنِ قُتَيْبَةَ: مَرْدُودٌ لَا نقبَلُهُ لَا هُوَ وَلَا قَوْلَ ابْنِ قُتَيْبَةَ. وَتعَقُّبُ قَاسِمِ بْنِ ثَابِتٍ لِقَوْلِ ابْنِ قُتَيْبَةَ سَدِيدٌ تَمَامًا.

(٢) وَيُورِدُ الطبرِيُّ مُنَاقَشَةً لِلْقَوْلِ بِأَنَّ الْأَحْرُفَ هِي أَوْجُهٌ قِرَائِيَّةٌ مُخْتَلِفَةُ الحَرَكَاتِ وَالحُرُوفِ كَالَّذِي قَالَ بِهِ ابْنُ قُتَيْبَةَ وَمَنْ فِي مَجْمُوعَتِهِ، بِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ بِتكْفِيرِ مَنْ يُنْكِرُ أَيًّا مِنْ هَـٰذِهِ الْأَوْجُهِ الَّتِي قَالَ بِهَا ابْنُ قُتَيْبَةَ - مَعَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حكَمَ بِكُفرِ مَنْ مَارَىٰ فِي حَرْفٍ مِنَ الْأَحْرُفِ الَّتِي تَنَزَّلَ بِهَا الْقُرْآنُ -. فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ الْأَحْرُفَ المقْصُودَةَ فِي الحَدِيثِ هِيَ شَيْءٌ غَيْرُ الْأَوْجُهِ الَّتِي قَالَ بِهَا ابْنُ قُتَيْبَةَ وَمَنْ تَبعَ خَطَّهُ. يَقُولُ الطبريُّ: «وَأَمَّا مَا كَانَ مِنِ اخْتِلَافِ الْقِرَاءَةِ فِي رَفْعِ حَرْفٍ وَجَرِّهِ وَنَصْبِهِ، وَتَسْكِينِ حَرْفٍ وَتَحْرِيكِهِ، وَنَقْلِ حَرْفٍ إِلَىٰ آخَرَ مَعَ اتِّفَاقِ الصورَةِ: فَمِنْ مَعْنَىٰ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «أُمِرْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ» بِمَعْزِلٍ؛ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا حَرْفَ مِنْ حُرُوفِ الْقُرْآنِ - مِمَّا اخْتَلَفَتِ الْقَرَأَةُ[1] فِي قِرَاءَتِهِ بِهَـٰذَا المعْنَىٰ - يُوجِبُ الْـمِرَاءُ فِيهِ[2] كُفْرَ المَارِي بِهِ فِي قَوْلِ أَحَدٍ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ. وَقَدْ «أَوْجَبَ ﷺ بِالْـمِرَاءِ فِيهِ الْكُفْرَ، مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي تَنَازَعَ فِيهِ المتَنَازِعُونَ إِلَيْهِ، وَتَظَاهَرَتْ عَنْهُ بِذَلِكَ الروايَةُ[3] عَلَىٰ مَا قَدَّمْنَا ذِكْرَهَا فِي أَوَّلِ هَـٰذَا الْبَابِ»[4] اهـ.

وَنَقُولُ نَحْنُ إِنَّ مُنَاقَشَةَ الطَّبَرِيِّ هَـٰذِهِ مُنْصَبَّةٌ عَلَىٰ الاخْتِلَافَاتِ الْأَدَائِيَّةِ فِي الْقِرَاءَةِ

---

(١) هٰذا اللفظ في الكتاب «القراءة» وأرجح أنه «القرأة» جمع قارئ.

(٢) كلمة «فيه» هٰذه أصلها في الطبري (شاكر) (به)، وغيرتها لتجنب اللبس.

(٣) تفسير الطبري (شاكر) ١/ ٦٥.

(٤) يشير إلىٰ حديث نبوي «إن القرآن أنزل على سبعة أحرف. فلا تتماروا في القرآن فإن المراء فيه كفر» في الطبري ١/ ٤٤ وقد تردد هٰذا المعنىٰ في تفسير الطبري ١/ ٢٨، ٥٢، ٥٤، ٥٥ عن عبد الله بن مسعود وغيره.

كَالهَمْزِ مُقَابِلَ التسْهِيلِ بِصُورِهِ، وَالْفَكِّ مُقَابِلَ الْإِدْغَامِ بِصُورِهِ، وَالمدِّ بِمَقَادِيرِهِ مُقَابِلَ الْقَصْرِ، وَالْإِمَالَةِ مُقَابِلَ النَّصْبِ، وَصَوْغِ المضَارِعِ بِكَسْرِ عَيْنِهِ مُقَابِلَ ضَمِّهَا مَثَلًا، وَإِهْمَالِ «مَا» النافِيَةِ مُقَابِلَ إِعْمَالِهَا عَمَلَ «لَيْسَ» مَثَلًا، فَهَـٰذِهِ الاخْتِلَافَاتُ الْأَدَائِيَّةُ لَا يُكَفَّرُ مَنْ يُمَارِي فِي أَيٍّ مِنْهَا أَيْ يَرْفُضُهُ، أَوْ يُجَادِلُ فِي ثُبُوتِهِ. وَلِذَلِكَ عَدَّهَا الطَّبَرِيُّ غَيْرَ مَقْصُودَةٍ بِالْأَحْرُفِ، عَلَىٰ أَسَاسِ أَنَّ حَدِيثَ الْأَحْرُفِ جَاءَ فِي بَعْضِ رِوَايَاتِهِ الصحِيحَةِ مَا يُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّ المِرَاءَ فِي الْأَحْرُفِ كُفْرٌ، وَبِمَا أَنَّ المِرَاءَ فِي الْأَوْجُهِ الْأَدَائِيَّةِ لَا يُكَفِّرُ، فَهَـٰذَا يُفِيدُ أَنَّ الْأَوْجُهَ الْأَدَائِيَّةَ لَيْسَتْ مِنَ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ.

وَهَـٰذَا التعْلِيلُ الَّذِي أَيَّدَ بِهِ الطَّبَرِيُّ اسْتِبْعَادَهُ كَوْنَ الْقِرَاءَةِ بِاخْتِلَافِ الحَرَكَاتِ وَالاخْتِلَافِ بَيْنَ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ هِيَ المرَادَةَ بِالْأَحْرُفِ السبْعَةِ= مَقْبول، وَلَكِنْ كَانَ الْأَوْلَىٰ مِنْهُ أَنْ يَقُولَ إِنَّ هَـٰذَا النَّوْعَ مِنَ الاخْتِلَافِ فِي الْقِرَاءَةِ لَا يُؤَدِّي إِلَىٰ التمَارِي أَصْلًا، بَلْه التَّنَازُعَ الحَادَّ كَالَّذِي وَقَعَ بَيْنَ عُمَرَ وَهِشَامٍ.

(٣) يَصْلُحُ فِي مُنَاقَشَةِ هَـٰذَا الْقَوْلِ مَا يُنَاقَشُ بِهِ الْقَوْلُ التَّالِي مِنْ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ وَهِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ اللَّذَيْنِ وَقَعَ بَيْنَهُمَا الاخْتِلَافُ فِي الْقِرَاءَةِ فِي رِوَايَةٍ لِلْحَدِيثِ صَحِيحَةٍ وَشَهِيرَةٍ ـ هُمَا قُرَشِيَّانِ مِنْ قَبِيلَةٍ وَاحِدَةٍ وَلُغَتُهُمَا وَاحِدَةٌ. وَقَدِ اخْتَلَفَتْ قِرَاءَتُهُمَا، وَتَحَاكَمَا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فِي صُورَةٍ خَشِنَةٍ مِنْ جَانِبِ سَيِّدِنَا عُمَرَ رضي الله عنه. وَمُحَالٌ أَنْ يَنصَبَّ إِنْكَارُ عُمَرَ عَلَىٰ قِرَاءَةِ هِشَامٍ مِنْ جَانِبِ اللُّغَةِ؛ لِأَنَّ لُغَتَهُمَا وَاحِدَةٌ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ المرَادَ بِالْأَحْرُفِ السبْعَةِ غَيْرُ اللُّغَاتِ[1].

*****

أَمَّا المجْمُوعَةُ الثانِيَةُ الْقَائِلَةُ بِأَنَّ الْأَحْرُفَ السبْعَةَ لُغَاتٌ مُفَرَّقَةٌ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

---

(١)انظر الإتقان (أبو الفضل) ١/ ١٧٠ .

بِمَعْنَىٰ أَنَّ لَفْظًا أَوْ أَلْفَاظًا مِنْ أَلْفَاظِهِ وَقَعَتْ فِي آيَةٍ أَوْ آيَاتٍ مُعَيَّنَةٍ بِلُغَةِ قَبِيلَةٍ مَا، وَأَلْفَاظًا أُخْرَىٰ وَقَعَتْ فِي آيَاتٍ أُخْرَىٰ بِلُغَةِ قَبِيلَةٍ أُخْرَىٰ وَهَـٰكَذَا إِلَىٰ سَبْعٍ - كَالَّذِي قِيلَ مَثَلًا مِنْ أَنَّ كَلِمَةَ «شِيَة» فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ[البقرة :٧١]: ﴿مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيهَا﴾ هِيَ بِلُغَةِ أَزْدِ شَنُوءَة، وَمَعْنَاهَا لَا وَضَحَ (أَي لَا بَلَقَ) وَهُوَ الْبَيَاضُ فِيهَا، وَأَنَّ كَلِمَةَ «ثَجَّاجًا» فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ[النبأ :١٤]:﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ هِيَ بِلُغَةِ أَشْعَرَ وَمَعْنَاهَا «رَشَّاشًا»، وَأَنَّ كَلِمَةَ «لِينَة» فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ [الحشر :٥]:﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّـهِ﴾ هِيَ بُلَغَةِ الْأَوْسِ. وَمَعْنَاهَا: «نَخْلَةٍ»، وَأَنَّ كَلِمَةَ «إِمْلَاقٍ» فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ[الأنعام:١٥١]:﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ هِيَ بِلُغَةِ لخمٍ وَمَعْنَاهَا «مِنْ جُوعٍ» إلخ.. فَإِنَّ هَـٰذَا الْقَوْلَ بِهَـٰذَا المعْنَىٰ يُنَاقَشُ بِمَا يَلِي:

١ـ نَاقَشَهُ الْإِمَامُ الطَّبَرِيُّ بِأَنَّهُ لَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ لَمَا وَقَعَ اخْتِلَافٌ بَيْنَ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ (فِي الْقِرَاءَةِ) «لِأَنَّ كُلَّ تَالٍ فَإِنَّمَا يَتْلُو ذَلِكَ الحَرْف تِلَاوَةً وَاحِدَةً عَلَىٰ مَا هُوَ بِهِ فِي المصْحَفِ، وَعَلَىٰ ماَ أُنْزِلَ»[1] وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ لَمَا كَانَ هُنَاكَ مَوْضِعٌ لِلْأَمْرِ الَّذِي أَصْدَرَهُ الرَّسُولُ ﷺ لِكُلِّ قَارِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يَقْرَأَهُ عَلَىٰ مَا عُلِّمَ «إِذْ كَانَ لَا مَعْنَىٰ هُنَاكَ يُوجِبُ اخْتِلَافًا فِي لَفْظٍ»[2] مَعَ أَنَّهُ ثَبتَ اخْتلافُهُمْ، وَثَبتَ أَمْرُ النبيِّ ﷺ لِلْمُتَخَاصِمِيْنِ إِلَيْهِ أَنْ يَقْرَأَهُ كُلٌّ مِنْهُمْ عَلَىٰ مَا عُلِّمَ[3].

---

(١) تفسير الطبري (شاكر) ١/ ٥٦ .

(٢) ذاته .

(٣) انظر الطبري ١/ ٥٦ ثم انظره في ١/ ٢٣، ٢٤، ٢٨، ٤٨- ٥٢، ٥٤، ٥٥ فهناك أحاديث عن الرسول ﷺ وأصحابه تأمر كل قارئ أن يقرأ كما علم، وفي ١/ ٢٨، ٤٤، ٥٢، ٥٤، ٥٥ أن إنكار قراءة ما (أي صحت روايتها وسندها إلى النبي ﷺ ) كفر .

٢ـ نَاقَشَ الطَّبَرِيُّ هَـٰذَا الْقَوْلَ أَيْضًا بِأَنَّ بَعْضَ مَنِ احْتَجَّ لِهَـٰذَا الْقَوْلِ كَانَتْ حُجَّتُهُ الرِوَايَةَ الصحِيحَةَ بِأَنَّ الْأَحْرُفَ السبْعَةَ هِيَ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ:«تَعَالَ» وَ«أَقْبِلْ» وَ«هَلُمَّ»، وَهِيَ بِمَنْزِلَةِ قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّـهِ «إِلَّا زَقْيَةً» وَهِيَ فِي قِرَاءَتِنَا «إِلَّا صَيْحَةً».

وَيَقُولُ الطبرِيُّ: «إِنَّ هَـٰذِهِ الْحُجَّةَ تُفْسِدُ هَـٰذَا الْقَوْلَ، وَإِنَّ الْقَوْلَ فِيهِ (فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مُعَيَّنٍ) مُضَادَّةٌ لِلْحُجَّةِ، لِأَنَّ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ عِنْدَ قَائِلِ هَـٰذَا الْقَوْلِ هُوَ إِحْدَىٰ الْقِرَاءَتَيْنِ: إِمَّا «صَيْحَة» وَإِمَّا «زَقْيَة»، إِمَّا «تَعَالَ» أَوْ «أَقْبِلْ» أَوْ «هَلُمَّ» لَا جَمِيعُ ذَلِكَ، لِأَنَّ كُلَّ لُغَةٍ مِنَ اللغَاتِ السبْعِ عِنْدَهُ فِي كَلِمَةٍ أَوْ حَرْفٍ مِنَ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْكَلِمَةِ أَوِ الْحَرْفِ الَّذِي فِيهِ الْأُخْرَىٰ»[1] وَبِاخْتِصَارٍ فَالمسْأَلَةُ فِي رَأْيِ الطبَرِيِّ هِيَ أَنَّ دَلَالَةَ حَدِيثِ :«كَقَوْلِكَ: «هَلُمَّ» وَ«تَعَالَ» هِيَ قِرَاءَةُ كَلِمَةٍ بَدَلَ كَلِمَةٍ فِي الموْضِعِ نَفْسِهِ. أَمَّا قِرَاءَةُ كَلِمَةٍ مِنْ لُغَةٍ بَدَلَ كَلِمَةٍ بِمَعْنَاهَا مِنْ لُغَةٍ أُخْرَىٰ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ بِحَيْثُ تَكُونُ هَـٰذِهِ فِي آيَةٍ وَتِلْكَ فِي آيَةٍ أُخْرَىٰ مِثْل ﴿انْبَجَسَتْ﴾ [في الأعراف: ١٦٠]، و﴿ فَانْفَجَرَتْ ﴾ [في البقرة: ٦٠]. فَهُوَ أَمْرٌ لَا يُثِيرُ خِلَافًا، وَلَا يُحْتَجُّ لَهُ بِحَدِيثِ :«كَقَوْلِكَ : «هَلُمَّ» وَ«تَعَالَ»» فَالْقَوْلُ بِأَنَّ الْأَحْرُفَ السبْعَةَ لُغَاتٌ مُفَرَّقَةٌ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَوْلٌ بَاطِلٌ.

٣ـ يُنَاقِشُ حَدِيثَ اللغَاتِ المفَرَّقَةِ أَيْضًا بِأَنَّ لُغَاتِ الْعَرَبِ «أَكْثَرُ مِنْ سَبْعٍ بِمَا يُعْجِزُ عَنْ إِحْصَائِهِ»[2] كَمَا أَسْلَفْنَا عَنِ الطبرِيِّ، وَأَنَّ فِي اخْتِيَارِ السبْعِ تَحَكُّمًا، وَأَنَّ فِي اسْتِبْعَادِ اللغَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْفَصِيحَةِ الْأُخْرَىٰ تَحَكُّمًا وَعَصَبِيَّةً يَأْبَاهُمَا الْإِسْلَامُ .

٤ـ يُنَاقَشُ هَـٰذَا الْقَوْلُ أَيْضًا بِأَنَّهُ وَقَعَتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِعْلًا أَلْفَاظٌ مِنْ لُغَاتٍ

---

(١) الطبري (شاكر) ١/ ٥٧.

(٢) تفسير الطبري (شاكر) ١/ ٤٧، وقال أبو منصور الأزهري، وهو إمام لغوي (ت ٣٧٠هـ) «إن اللغات (يعني اللهجات) أكثر من أن يحيط بها رجل واحد» تهذيب اللغة ولسان العرب (فخخ).

عَرَبِيَّةٍ تُقَارَبَ الْأَرْبَعِينَ مَنْسُوبَةٌ إِلَىٰ قَبَائِلَ وَإِلَىٰ أَمْكِنَةٍ. وَجَاءَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللغَاتِ فِي الْقُرْآنِ لِابْنِ حَسْنُونٍ (المتَوَفَّى سنة ٣٨٦هـ) فَنُسِبَتْ فِيهِ أَلْفَاظٌ إِلَىٰ الْأَزْدِ، أَزْدِ شَنُوءَة، أَشْعَر، الْأَوْسِ، جُذَام، جُرْهُم، حِمْير، خَثْعَم، خُزَاعَة، الخَزْرَج، سَبأ، سَدُوس، سَعْد الْعَشِيرَة،/ طَيِّئ، الْعَمالِقة، كِنَانَة، كِنْدَة، لخم، مَذْحَج، همَدَان، أَنْمار، تَغْلِب، تميم، ثَقِيف، حَنِيفَة، عَامِر، عُذْرَة، غَسَّان، قُرَيْش، قَيْس عَيْلَان، مُزَيْنَة، هُذَيْل، همَدَان، وَهُنَاكَ أَلْفَاظٌ مَنْسُوبَةٌ إِلَىٰ أَمَاكِنَ: حَضْرَمَوْت، عُمان، مَدْيَن، اليمامة، الْيَمَن[1].. وَفِي هَـٰذَا وَحْدَهُ تَفْنِيدٌ لِلْقَوْلِ بِأَنَّ الْأَحْرُفَ السبْعَةَ أَلْفَاظٌ مِنْ سَبْعِ لُغَاتٍ مُفَرَّقَةٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

٥ـ وَأَخِيرًا فَإِنَّ هَـٰذِهِ الصورَةَ أَي وُجُود أَلْفَاظٍ مِنْ لُغَاتٍ سَبْعٍ مُفَرَّقَةٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لَا يُحَقِّقُ التخْفِيفَ وَالتيْسِيرَ المقْصُودَ مِنْ نُزُولِ الْقُرْآنِ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ كَمَا سَيَتَبَيَّنُ فِيمَا بَعْدُ، إِذْ سَيَحْمِلُ كُلُّ قَارِئٍ ـ مُقَابِلَ الْأَلْفَاظِ الْوَارِدَةِ مِنْ لُغَتِهِ ـ أَضْعَافَ أَضْعَافِهَا مِنَ الْأَلْفَاظِ الْوَارِدَةِ بِلُغَاتِ الْقَبَائِلِ الْأُخْرَىٰ.

* * *

أَمَّا المجْمُوعَةُ الثالِثَةُ وَهِيَ الْقَائِلَةُ بِأَنَّ المُرَادَ بِالْأَحْرُفِ السبْعَةِ هِيَ لُغَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ بِاتِّفَاق[2] مَعْنَىٰ (أَي المرَادِف) فَسَنَتَعَرَّضُ لَهُ عِنْدَ تحْلِيلِ الحَدِيثِ.

* * *

وَأَمَّا المجْمُوعَةُ الرابِعَةُ وَهِي مَجْمُوعَةُ مُسْتَوَيَات اسْتِعْمالِ (الْأَلْفَاظِ) الْقُرْآنِيَّةِ فَهِيَ كُلُّهَا تَسْبِيعَاتٌ مِنْ مُصْطَلَحَاتٍ فَنِيَّةٍ مُتَأَخِّرَةٍ لَوْلَا حُسْنُ الظنِّ بِالمتَقَدِّمِينَ وَالْأَدَبِ

---

(١) انظر كتاب اللغات في القرآن لابن حسنون، والنوع ٣٧ في الإتقان (في ما وقع في القرآن بغير لغة الحجاز). وبإضافة ما فى المعجم اللهجى الدلالى د. الموافى البيلى تبلغ اللهجات ١٢٠ لهجة.

(٢) انظر الطبرى ١/ ٥٧.

مَعَهُمْ لَقُلْنَا إِنَّهُمْ كَانُوا عَابِثِينَ حِينَ فَسَّرُوا الحَدِيثَ الشرِيفَ بِهَـٰذِهِ المُصْطَلَحَاتِ الْفَنِّيَّةِ. وَإِلَّا فَمَا مَعْنَىٰ أَنْ يُقَالَ إِنَّ المرَادَ بِالْأَحْرُفِ السبْعَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرآنُ هُوَ الحَذْفُ وَالصلَةُ، والتقْدِيمُ وَالتأْخِيرُ، وَالاسْتِعَارَةُ، وَالتَّكْرَارُ، وَالْكِنَايَةُ، وَالحَقِيقَةُ وَالمَجَازُ، وَالمجْمَلُ والمفَسَّرُ، وَالظاهِرُ وَالْغَرِيبُ- وَحُكِي هَـٰذَا الْقَوْلُ عَنْ أَهْلِ (اللغَةِ[1]) كَذَا؟

إِنَّ الْقَوْلَ بِهَـٰذَا يَعْنِي الْكَثِيرَ مِمَّا لَا يُمْكِنُ قَبُولُهُ: كَأَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ نَازِلًا لِيُحَدِّدَ (أَبْوَابَ) عِلْمِ الْبَلَاغَةِ، وَأَنَّ (أَبْوَابَ) هَـٰذَا الْعِلْمِ لَا تَقْبَلُ المزِيدَ، وَأَنَّ هَـٰذَا الْعِلْمَ كَانَ الشغْلَ الشاغِلَ لِلْجِيلِ الَّذِي عَاصَرَ نُزُولَ الْقُرْآنِ.. إِلَخ. ثُمَّ مَا صِلَةُ هَـٰذَا كُلِّهِ بِالْأَحْرُفِ؟ وَكَيْفَ وَفِي أَيِّ مَوْضُوعٍ مِنْهُ يَخْتَلِفُ الصحَابَةُ ـ وَهُمْ كَانُوا بُلَغَاء بِالسلِيقَةِ وَلَا يَعْرِفُونَ مِنْ مُصْطَلَحَاتِ الْبَلَاغَةِ كَثِيرًا وَلَا قَلِيلًا؟

لَقَدْ نَدَّدَ الْعُلَمَاءُ قَدِيمًا بِطَبِيعَةِ هَـٰذِهِ الْأَقْوَالِ، وَيَكْفِي أَنْ أُورِدَ هُنَا مَا قِيلَ بَعْدَ سَرْدِ مَجْمُوعَةِ الْأَقْوَالِ الَّتِي حَكَاهَا ابْنُ حبَّانَ الَّتِي بَلَغَتْ خَمْسًا وَثَلَاثِينَ قَوْلًا، وَبَعْدَ سَرْدِ مَا يُشْبِهُهَا مِنْ مَجْمُوعَةِ السيُوطِيِّ قَبْلَ ذَلِكَ: قَالَ ابْنُ حبَّانَ: «فَهَـٰذِهِ خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ قَوْلًا لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَاللغَةِ فِي مَعْنَىٰ إِنْزَالِ الْقُرْآنِ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، وَهِيَ أَقَاوِيلُ يُشْبِهُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَكُلُّهَا مُحْتَمَلَةٌ وَيُحْتَمَلُ غَيْرُهَا، وَقَالَ المرْسِيُّ: هَـٰذِهِ الْوُجُوهُ أَكْثَرُهَا مُتَدَاخِلَةٌ، وَلَا أَدْرِي مُسْتَنَدَهَا، وَلَا عَمَّنْ نُقِلَتْ، وَلَا أَدْرِي لِمَ خَصَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ هَـٰذِهِ الْأَحْرُفَ السبْعَةَ بِمَا ذَكَرَ، مَعَ أَنَّ كُلَّهَا مَوْجُودَةٌ فِي الْقُرْآنِ، فَلَا أَدْرِي مَعْنًىٰ للتخْصِيصِ. وَفِيهَا أَشْيَاءُ لَا أَفْهَمُ مَعْنَاهَا عَلَىٰ الحَقِيقَةِ، وَأَكْثَرُهَا يُعَارِضُهُ حَدِيثُ عُمَرَ مَعَ هِشَامِ بْنِ حَكِيمٍ الَّذِي فِي الصحِيحِ، فَإِنَّهُمَا لَمْ يَخْتَلِفَا فِي تَفْسِيرِهِ وَلَا أَحْكَامِهِ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفَا فِي قِرَاءَةِ حُرُوفِهِ» اهـ[2].

---

(١) الإتقان (أبو الفضل) ١/ ١٧٢.

(٢) ذاته ١/ ١٧٦.

أَمَّا المجْمُوعَةُ الخَامِسَةُ، وَهِيَ الَّتِي تُقَسِّمُ تعَالِيمَ (: مَعَانِي) الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِلَىٰ أَصْنَافٍ: زَجْرٍ وَأَمْرٍ وَحَلَالٍ وَحَرَامٍ ..إِلَخ. فَقَدْ نُوقِشَتْ تَسْبِيعَاتُ هَـٰذِهِ المجْمُوعَةِ مِنْ قَدِيمٍ بِمَا يَلِي:

١ـ أَنَّ سِيَاقَ أَحَادِيثِ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ يَأْبَىٰ حَمْلَهَا عَلَىٰ الْأَصْنَافِ السبْعَةِ، بَلْ هُوَ ظَاهِرٌ فِي أَنَّ المرَادَ أَنَّ الْكَلِمَةَ تُقْرَأُ عَلَىٰ وَجْهَيْنِ وَثَلَاثَةٍ إِلَىٰ سَبْعَةٍ تَيْسِيرًا وَتَهْوِينًا، وَالشيْءُ الْوَاحِدُ لَا يَكُونُ حَلَالًا وَحَرَامًا فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ[١].

٢ـ مِنَ المحَالِ أَنْ يَكُونَ الحَرْفُ مِنَ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ حَرَامًا لَا مَا سِوَاهُ، أَوْ حَلَالًا لَا مَا سِوَاهُ. وَكَذَٰلِكَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقْرَأَ الْقُرْآنُ عَلَىٰ أَنَّهُ حَلَالٌ كُلُّهُ أَوْ حَرَامٌ كُلُّهُ، أَوْ أَمْثَالٌ كُلُّهُ[٢].

٣ـ أَنَّ الْإِجْمَاعَ انْعَقَدَ عَلَىٰ أَنَّ التوْسِعَةَ بِحَدِيثِ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ لَمْ تَقَعْ فِي تَحْرِيمِ حلَالٍ وَلَا تَحْلِيلِ حَرَامٍ، وَلَا فِي تَغْيِيرِ شَيْءٍ مِنَ المعَانِي المذْكُورَةِ[٣].

٤ـ أَنَّ رِوَايَاتِ حَدِيثِ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ أَشَارَتْ إِلَىٰ جَوَازِ الْقِرَاءَةِ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الحُرُوفِ وَإِبْدَالِ حَرْفٍ بِحَرْفٍ، وَقَدْ أَجْمَعَ المسْلِمُونَ عَلَىٰ تَحْرِيمِ إِبْدَالِ آيَةِ أَمْثَالٍ بِآيَةِ أَحْكَامٍ[٤].

٥ـ أَنَّ النبِيَّ ﷺ صَوَّبَ قِرَاءَاتِ جَمِيعِ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْقِرَاءَةِ وَاحتَكَمُوا إِلَيْهِ ـ وَلَوْ كَانَ الاخْتِلَافُ فِي المعَانِي (الزجْرِ وَالْأَمرِ وَالحَلَالِ وَالحَرَامِ ...إلخ). لَكَانَ مُسْتَحِيلًا

---

(١) الإتقان (أبو الفضل) ١/ ١٧١ (بتصرف يسير).

(٢) ذاته (بتصرف يسير).

(٣) ذاته بتصرف يسير. وهٰذا نقد ابن عطية .

(٤) ذاته بتصرف يسير. وهٰذا نقد الماوردي.

أَنْ يُصَوِّبَ النبيُّ قِرَاءَةَ كُلٍّ مِنْهُمْ، لِلتناقُضِ بَيْنَ مَنْ يُحَلِّلُ وَمَنْ يُحَرِّمُ الشيْءَ نَفْسَهُ ـ مَثَلًا.

٦ـ ثُمَّ إِنَّهُ جَاءَ فِي عِدَّةِ رُوَايَاتٍ أَنَّ مَنْ قَرَأَ بِحَرْفٍ فَلَا يَتَحَوَّلَنَّ عَنْهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ، وَلَوْ كَانَ المُرَادُ بِالحُرُوفِ المعَانِي لَكَانَ مَعْنَىٰ عَدَمِ التحَوُّلِ هُوَ أَنَّ مَنْ قَرَأَ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْأَمْرِ وَالنهْيِ مَثَلًا فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَتَحَوَّلَ عَنْهُ إِلَىٰ مَا فِيهِ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ.

٧ـ وَأَخِيرًا فَإِنَّ الْأُمَّةَ مُخَيَّرُونَ فِي الْأَخْذِ بِأَيِّ حَرْفٍ مِنْهَا أَيْ فِي الاكْتِفَاءِ بِهِ عَنْ سَائِرِهَا، وَلَوْ كَانَتِ الحُرُوفُ هِيَ تِلْكَ المعَانِي لَكَانَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنْ تَخْتَارَ الْأُمَّةُ جُزْءًا مِنَ الدينِ وَتَتْرُكَ سَائِرَهُ[1].

* * *

وَيَنْبَغِي أَنْ نُبَيِّنَ أَنَّ لِذَلِكَ النَّوْعِ مِنَ التسْبِيعَاتِ أَصْلًا فِي حَدِيثٍ نُسِبَ إِلَىٰ النبيِّ ﷺ وَتَرَدَّدَ فِي تَفْسِيرِ الطبَرِيِّ (حَيْثُ عَقَدَ لَهُ فَصْلًا)، وَفِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِ المبَانِي، وَفِي نُكَتِ الانْتِصَارِ لِلْبَاقِلَّانِيِّ، وَفِي الجَامِعِ الْكَبِيرِ وَالْإِتْقَانِ للسيُوطِيِّ. وَيُمْكِنُ أَنْ نُمَثِّلَ لِتِلْكَ الروَايَاتِ بِاثْنَتَيْنِ: الْأُولَىٰ: «كَانَ الْكِتَابُ يَنْزِلُ أَوَّلًا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ عَلَىٰ حَرْفٍ وَاحِدٍ وَنَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ: زَاجِرٍ وَآمِرٍ، وَحَلَالٍ وَحَرَامٍ، وَمُحْكَمٍ وَمُتَشَابِهٍ، وَأَمْثَالٍ. فَأَحِلُّوا حَلَالَهُ، وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَافْعَلُوا مَا أُمِرْتُمْ بِهِ، وَانْتَهوا عَمَّا نُهِيتُمْ عَنْهُ، وَاعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ، وَاعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ، وَآمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ، وَقُولُوا آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا»[2] وَالثانِيَةُ قَوْلُ النبيِّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَقُلْتُ اللَّهُمَّ

---

(١) هٰذا من نقد الطبري في تفسيره ١/ ٤٨، ٥٢، ٥٨ مع إضافة يسيرة علىٰ ما في ص ١/ ٥٨.

(٢) الجامع الكبير (مخطوط) ١/ ٦١٨ عن ابن جرير في (تهذيب الآثار) والحاكم في (المستدرك)، وأبي نصر السجزي عن ابن مسعود. وفي ١/ ٢٠٩ (إن الكتب).. باختلاف يسير- عن الطبراني (الكبير) عن عمر بن أبي سلمة. وهو في (نكت الانتصار) للباقلاني ١١٤. وفي (مقدمتان في علوم القرآن) ٢٠٨. وفي (الإتقان) ١/ ١٧٠ أخرجه الحاكم والبيهقي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ. وهو في (تفسير الطبري) ١/ ٦٨ برقم ٦٧ عن

رَبِّ خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي، قَالَ اقْرَأْهُ عَلَىٰ حَرْفَيْنِ - فَأَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَهُ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ مِنَ الجَنَّةِ كُلّهَا شَافٍ كَافٍ[1] وَالروَايَةُ الْأُولَىٰ ضَعِيفَةٌ مُرْسَلَةٌ وَالثانِيَةُ صَحِيحَةٌ[2] وَقَدْ رَبَطَ الطبرِيُّ الْأَبْوَابَ السبْعَةَ (الزجْر وَالأَمْر، وَالحَلَال وَالحَرَام،... إلخ) وَسَبْعَة أَبْوَابِ الجنةِ عَلَىٰ أَسَاسِ أَنَّ الْعَامِلَ بِأَيِّ وَجْهٍ (يَنْتَهِي عَنِ الزوَاجِرِ أَوْ يُنَفِّذُ الْأَوَامِرَ أَوْ يَأْتِي الحَلَالَ أَوْ يَدَعُ الحَرَامَ إلخ)، هُوَ«عَامِلٌ فِي بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ وَطَالِبٌ مِنْ قِبَلِهِ الْفَوْزَ بِهَا»[3] وَتَوْجِيهُ الطبرِيِّ هَـٰذَا لِحَدِيثِ الْأَبْوَابِ السبْعَةِ هَـٰذَا هُوَ مِمَّا يُمْكِنُ قَبُولُهُ فِي هَـٰذَا الحَدِيثِ خَاصَّةً لَكِنَّهَا لَيْسَتْ مَوْضُوعَنَا، فَنَحْنُ نَسْتَبْعِدُهَا.

وَنَسْتَبْعِدُ التسْبِيعَاتِ الَّتِي أَلِفَهَا الْبَاحِثُونَ مِنَ اصْطِلَاحَاتِهِمْ كُلٌّ فِي مَجَالِهِ كَالْأُصُولِيِّينَ وَالنحَاةِ وَالْبَلَاغِيِّينَ وَالمتكَلِّمِينَ وَغَيْرِهِمْ[4]. فَإِنَّ تَفْسِيرَ حَدِيثِ الْأَبْوَابِ بِهَـٰذِهِ التسْبِيعَاتِ الاصْطِلَاحِيَّةِ تَكَلُّفٌ وَاضِحٌ لَا شَكَّ فِيهِ.

---

ابن مسعود مرفوعا، وبرقم ٧٠ موقوفا علىٰ ابن مسعود بلفظ «إن الله أنزل القرآن علىٰ خمسة أحرف حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال».. وذكر أيضا في (مقدمتان) ص٢٠٨ قال محقق تفسير الطبري عن الحديث رقم ٦٧ قال ابن عبد البر: هذا حديث لا يثبت.لانقطاعه بين أبي سلمة وابن مسعود، وقد أخرجه البيهقي من وجه آخر عن الزهري مرسلا. وقال عن الحديث رقم ٧٠ إنه موقوف علىٰ ابن مسعود من كلامه .

(١) الطبري ١/ ٣٧ برقم ٣١ وإسناده صحيح وأشار إليه في ١/ ٤٧، وذكره في ١/ ٦٩ برقم ٦٩ وهو في الجامع الكبير ١/ ١٦٢ لابن جرير عن أبي في جميعها .

(٢) انظر التعليقين السابقين .

(٣) تفسير الطبري ١/ ٧١.

(٤) بالنسبة للطبري ميز بين السبعة أحرف والسبعة أبواب في ١/ ٤٧، وفي ١/ ٧٠- ٧٢ كاد يوحد بينهما. وفي نكت الانتصار للباقلاني جعل تلك المعاني ضربا من السبعات غير الأحرف، وفي الإتقان ١/ ١٧٠- ١٧١ ميز بينهما وذكر مناقشاتٍ وتفنيدَ من وحّد بينهما، وفي (مقدمتان ص٢٠٨- ٢١٠) استبعد التوحيد بينهما وناقشه. أما القرطبي فذكر الأبواب قولا خامسًا (١/ ٤٦). وارتضىٰ قول الباقلاني وقول ابن عطية الآتي .

وَالذَّي يُهِمّنا هُنَا أَنَّ الْأَئِمَّةَ الْأَكَابِرَ: الطبرِيَّ، وَصَاحِبَ كِتَابِ المبَانِي، وَالْبَاقِلَّانِيَّ، والسيُوطِيَّ، والْقُرْطُبِيَّ بِمُقْتَضَىٰ صَنِيعِهِ- مَيَّزُوا بَيْنَ السبْعَتَيْنِ سَبْعَةِ الْأَحْرُفِ وَسَبْعَةِ الأَبْوَابِ. فَسَبْعَةُ الْأَبْوَابِ هِيَ الْأَمْرُ وَالنهْيُ إِلَخ (وَيُسَمِّيهَا بَعْض الْقُدَمَاءِ (المعَانِي)[1]، وَسَبْعَةُ الْأَحْرُفِ هِي اخْتِلَافَاتٌ مِنْ جِنْسِ الْقِرَاءَةِ وَهِيَ مَوْضُوعُنَا. وَقَدْ أَنْحَىٰ الْأَئِمَّةُ عَلَىٰ الَّذِينَ خَلَطُوا بَيْنَ السبْعَتَيْنِ فَفَسَّرُوا سَبْعَةَ الْأَحْرُفِ بِسَبْعَةِ الْأَبْوَابِ.

أَمَّا مَا زَادَهُ الْبَاقِلَّانِيُّ مِنْ سَبْعَاتٍ أُخَرَ[2]. فَنَرَىٰ أَنَّهَا تَشْقِيقَاتٌ تَدْخُلُ تَحْتَ هَـٰذَيْنِ.

**أَمَّا المجْمُوعَةُ السادِسَةُ** وَهِي الَّتِي تَتَرَدَّدُ الْأَقْوَالُ فِيهَا مِنْ نَوْعَي المجْمُوعَتَيْنِ الرابِعَةِ وَالخَامِسَةِ فَتُنَاقَشُ بِمَا نُوقِشَتَا بِهِ.

**وَأَمَّا المجْمُوعَةُ السابِعَةُ** ـ مَجْمُوعَةُ الْأَقْوَالِ المتَنَاثِرَةِ. فَهِيَ غَرِيبَةٌ. فَالْقَوْلُ بِأَنَّ الْأَحْرُفَ السبْعَةَ هِي أُمَّهَاتُ حُرُوفِ الهِجَاءِ (أَبْجَد رسع) الَّتِي عَلَيْهَا تَدُورُ جَوَامِعُ كَلَامِ الْعَرَبِ قَوْلٌ يَبْدُو فِي صُورَةِ دَعْوَىٰ عَرِيضَةٍ، لَا يَبْدُو لَـهَا وَجْهٌ مَفْهُومٌ تُقْبَلُ بِهِ وَيَرْتَبِطُ بِحَدِيثِ نُزُولِ الْقُرْآنِ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ. ثُمَّ إِنَّهَا لَا يَدْعَمُهَا دَلِيلٌ.

وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ بِأَنَّهَا قِرَاءَاتٌ لِلصَّحَابَةِ السبْعَةِ (الخُلَفَاءُ الْأَرْبَعَةُ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ) لَا يَبْدُو لَهُ وَجْهٌ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الخُلَفَاءِ إِقْرَاءً هُمْ: عُثْمَانُ وَعَلِيٌّ ثُمَّ عُمَرُ،

---

(١) انظر تلك السبعات الاصطلاحية في الإتقان ١/ ١٧٢ - ١٧٤.

(٢) القاضي أبو بكر الباقلاني عقد لموضوع نزول القرآن علىٰ سبعة أحرف ثلاثة أبواب وفي الباب الأوسط منها قال: إن الأحرف السبعة أربعة ضروب (يعني أربعة أنواع من التسبيعات) فالضرب الأول هو ما جاء في حديث الأبواب السبعة وذكر النهي بدل الزجر، والثانية سبعة من أسماء الله كان رخص في إبدالها في خواتيم الآيات مثل: «غفور رحيم بدل سميع عليم» ثم نُسِخ ذلك. السبعة الثالثة- وهي عن التابعين (حسب صنيعه): إبدال بعض الكلمات بمرادفها كـ«هَلُمَّ» و«تَعَالَ»، السبعة الرابعة سبعة أوجه وسبع قراءات وذكر فيها حوالي ثمانية أقوال وانتهىٰ في الباب الثالث إلىٰ سبعة كسبعة ابن قتيبة دون أن ينسبها إليه. انظر نكت الانتصار لنقل القرآن تحقيق د. محمد زغلول سلام ١٠٩ - ١٢٣.

وَالْإِسْنَادُ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ رضى الله عنه عَزِيزٌ. وَالَّذِي اشْتَهَرَ أَنَّ لَهُ حَرْفًا مُتَمَيِّزًا هُوَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَعَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ وَأُبَيّ بْنِ كَعْبٍ. وَلَمْ يُذْكَرْ أَنَّ لِأَيٍّ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَابْنِ عَبَّاسٍ حَرْفًا. وَقد أَغْفَلَ هَـٰذَا الْقَوْلُ أَشْهَرَ مَنْ لَهُ حَرْفٌ وَهُوَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ .

ثُمَّ إِنَّ قِرَاءَةَ أَيٍّ مِنْ هَـٰؤُلَاءِ لَمْ تَتَمَيَّزْ عَنِ الْقِرَاءَةِ الْبَاقِيَةِ المجْمَعِ عَلَيْهَا وَتركت الحُروف الَّتِي لَمْ يجمعْ عَلَيْهَا مِنْ حُرُوفِ هَـٰؤُلَاءِ أَوْ غَيْرِهِمْ. وَهَـٰذَا الْقَوْلُ غَرِيبٌ جِدًّا، بَلْ مُرِيبٌ يَبْغِي الْإِزَاغَةَ عَنِ الْعَقِيدَةِ الصحِيحَةِ وَهِيَ أَنَّ الْقُرْآنَ إِنَّمَا نَزَلَ عَلَىٰ قَلْبِ الرَّسُولِ ﷺ وَحْدَهُ لِلْأُمَّةِ كُلِّهَا.

وَأَمَّا الْقَوْلُ بِأَنَّ السبْعَةَ فِي الحَدِيثِ لَا يُرَادُ بِهَا حَقِيقَةُ الْعَدَدِ فَسَوْفَ يُنَاقَشُ بِاتِّسَاعٍ فِيمَا بَعْدُ.

وَأَخِيرًا فَالْقَوْلُ بِأَنَّ الحَدِيثَ مِنَ المشْكِلِ الَّذِي لَا يُدْرَىٰ مَعْنَاهُ = يَرُدُّهُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الصَّحَابَةِ كَابْنِ مَسْعُودٍ وَأَنَسٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَرَدَتْ عَنْهُمْ آراء فِيهِ ـ وَلَوْ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مُشْكِلٌ مَا تَكَلَّمُوا فِيهِ. وَنَحْنُ مُطَالَبُونَ بِالاجْتِهَادِ بِقَدْرِ مَا تطيقُ عُقُولُنَا. وَبِالله الْهُدَىٰ وَعَلَيْهِ قَصْدُ السبِيلِ .

## مُنَاقَشَةُ رَأْيِ الْإِمَامِ الدانِيِّ

نَقُولُ إِنَّ الْإِمَامَ الدانِيَّ ~ أَسْعَفَهُ تَبَحُّرُهُ فِي الْقِرَاءَاتِ بِأَمْثِلَةٍ كَثِيرَةٍ لِكُلٍّ مِنْ أَنْوَاعِ الاخْتِلَافَاتِ التسْعَةَ عَشَرَ التى مَيَّزَ بينها هو. فَكَثِيرٌ مِنْهَا تَبْلُغُ أَمْثِلَتُهُ عَشْرَةً أَوْ تَزِيدُ ، وَقَلِيلٌ مِنْهَا مَا لَهُ خَمْسَةُ أَمْثِلَةٍ ، وَهَـٰذَا أَمْرٌ جَيِّدٌ مَطْلُوبٌ .

٢ـ وَنُلَاحِظُ أَنَّ الْأَنْوَاعَ رَقْم (٥) ، (٧) ، ثُمَّ مِنْ (١٣) إِلَىٰ آخِرِ الْأَنْوَاعِ هِيَ بَيْنَ اللَّهجَاتِ وَسُنَنِ الْعَرَبِ فِي كَلَامِهِمْ . وَقَدْ كَرَّرْنَا أَنَّ اللهجَاتِ ( وَكَذَا سنَنَ الْعَرَبِ فِي كَلَامِهَا) الْأَخْذُ بِهَا طَبَعِيٌّ لِكُلِّ عَرَبِيٍّ أَيْ لَا تَحْتَاجُ تَرْخِيصًا خَاصًّا ، وَحَتَّىٰ لَوِ احْتَاجَتْ

فَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ صَدَرَ بِهَا إِذْنٌ خَاصٌّ مِنَ الرسُولِ ﷺ أَوْ أَمْرٌ مِنَ الله ﷻ إِلَيْهِ ﷺ أَنْ يُقْرِئَ كُلَّ قَوْمٍ بِلُغَتِهِمْ[1]. أَيْ أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مِنْ مَجَالِ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ .

٢ـ كَذَلِكَ نَلْحَظُ أَنَّ الاتِّكَاءَ فِي التنوِيعِ عَلَىٰ تَغَيُّرِ إِعْجَامِ الحُرُوفِ وَتَشْكِيلِهَا شَائِعٌ جِدًّا . وَالحَالُ أَنَّ حَدِيثَ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ صَدَرَ ،وَجُمْهُورُ المسْلِمِينَ حِينَئِذٍ أُمِّيُّونَ لَا يَلْفِتُهُمُ النقْطُ وَالشكْلُ وَلَا تَتَوَقَّفُ قِرَاءَتُهُمْ عَلَىٰ مُلَاحَظَتِهِ . وَهَـٰذَا مَا نَقَدَ بِهِ قَاسِمُ بْنُ ثَابِتٍ قَوْلَ ابْنِ قُتَيْبَةَ . وَهُوَ نَقْدٌ صَحِيحٌ .

٣ـ وَالْأَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنَّ هَـٰذَا الْفَهْمَ لِلْحَدِيثِ ـ مَعَ اتِّسَاعِهِ لِاخْتِلَافَاتٍ كَثِيرَةٍ فِي الْقِرَاءَةِ - لَا يُعَالِجُ المشْكِلَةَ الْأُولَىٰ الَّتِي يُؤْخَذُ مِنَ الْآثَارِ أَنَّ الحَدِيثَ كَانَ يَحْمِلُ رُخْصَةً مُؤَقَّتَةً لمعَالجَتِهَا ، وَهِيَ صُعُوبَةُ الحِفْظِ أَيِ الاسْتِظْهَارِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُهُ الْأُمِّيُّ والشيْخُ الْفَانِي وَالْعَجُوزُ ، وَلَا يَجِدُ فُرْصَةً لَهُ الْعَبْدُ وَالجَارِيَةُ وَالخَادِمُ .

فَرَأْيُ الدانِيِّ هَـٰذَا إِنَّمَا يُقَدِّمُ مِسَاحَةً تَتَّسِعُ لِلاخْتِلَافَاتِ شِبْهِ الْأَدَائِيَّةِ الْوَاقِعَةِ فِعْلًا فِي الْقِرَاءَاتِ السبْعِ ـ وَهُوَ مُسْتَمَدٌّ مِنْهَا ، وَلَا يُقَدِّمُ فُرْصَةً أَوْ حَلًّا لمشْكِلَةِ مَنْ يَعْسُرُ عَلَيْهِ الالْتِزَامُ بِذِكْرِ كَلِمَاتِ النصِّ الكَرِيمِ بِأَعْيُنِهَا مَهْمَا كَانَتْ كَيْفِيَّةُ الْأَدَاءِ .

وَيَكْفِينَا مِنْ قَوْلِ الدانِيِّ اتِّسَاعُهُ لاخْتِلَافِ الْقِرَاءَاتِ ، أَعْنِي ( إِفْتَاءَهُ) الضمْنِيَّ بِأَنَّ الاخْتِلَافَاتِ الْقِرَائِيَّةَ سَائِغَةٌ مَهْمَا اتَّسَعْنَ ـ مَا دَامَتْ صَحِيحَةَ السنَدِ ، وَلَا تُخَالِفُ الرسْمَ مُخَالَفَةً يَرْفُضُهَا أَئِمَّةُ الْقِرَاءَاتِ .

وَقَدْ أَخَذْنَا هَـٰذَيْنِ الشرْطَيْنِ ( صِحَّةَ السنَدِ ، وَعَدَمَ مُخَالَفَةِ الرسْمِ ، وَيُمْكِنُ أَنْ نَأْخُذَ مَعَهُمَا ثَالِثًا كَالْبَدَهِيِّ وَهُوَ مُوَافَقَةُ الْعَرَبِيَّةِ وَلَوْ بِوَجْهٍ ).أَخَذْنَا تِلْكَ الشرُوطَ مِنْ كَوْنِ الدانِيِّ إِمَامَ السبْعِ فِي الْقِرَاءَاتِ .وَهَـٰذِهِ شُرُوطُ أَئِمَّةِ الْقِرَاءَاتِ لِلْقِرَاءَةِ المقْبُولَةِ .

❋ ❋ ❋

---

(١) ينظر ( تأويل مشكل القرآن ) لابن قتيبة.٣٩، والمرشد الوجيز لأبي شامة : ٩٦ ، ٩٧ .

# الباب الثاني

# فصول تحليلية

## الفصل الأول

## أولاً: تحليل لغوي لكلمة «القرآن»

### أ- مِنْ حَيْثُ مَعْنَىٰ تَرْكِيبِهَا (:مَادَّتِهَا):

هَـٰذِهِ الْكَلِمَةُ الشريفَةُ (الْقُرْآنُ) مِنَ التَرْكِيبِ المعْجَمِيِّ (قَرَأَ). وَقَدْ جَاءَ مِنَ الاسْتِعْمَالَاتِ اللغَوِيَّةِ لِهَـٰذَا التَرْكِيب :«قَرَأَتِ الشَاةُ وَالناقَةُ: حَمَلَتْ، وَأَقْرَأَت الشَاةُ وَالناقَةَ: اسْتقَرَّ المَاءُ فِي رَحِمِهَا، وَأَقْرَأْتِ الحَيَّةُ إِقْرَاءً: إِذَا جَمَعَتِ السمَّ شَهْرًا، فَإِذَا وَفَىٰ لَـهَا شَهْرٌ مَجَّتْهُ، وَإِذَا لَدَغَتْ فِي إِقْرَائِهَا ذَا رُوحٍ لَمْ تُطْنِهِ أَيْ لَمْ تُلْبِثْهُ»...[1].

وَيُؤْخَذُ مِنْ هَـٰذِهِ الاسْتِعْمَالَاتِ أَنَّ المعْنَىٰ الْعَامَّ لِلتَرْكِيبِ (قَرَأَ) هُوَ امْتِلَاءُ الْبَاطِنِ امْتِلَاءً تَامًّا بِشَيْءٍ قَوِيٍّ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَفِيضَ أَوْ يَخْرُجَ. كَالحَمْلِ، إِذْ يَمْلَأُ الجَنِينُ الرحِمَ تَمَامًا وَيَخْرُجُ بِالْوِلادَةِ فِي مَوْعِدِهَا، وَكَالسمِّ الَّذِي يَمْلَأُ كِيسَهُ فِي بَدَنِ الحَيَّةِ ثُمَّ تَمُجُّهُ بَعْدَ شَهْرٍ. وَمِنْ هَـٰذَا المعْنَىٰ قِرَاءَةُ الْكِتَابِ وَنَحْوِهِ: فَالْقِرَاءَةُ تَعْبِيرَاتٌ لَفْظِيَّةٌ عَنْ مَعَانٍ أَوْ مَعْلُومَاتٍ مُخْتَزَنَةٍ فِي (الذهْنِ)، سَوَاءَ كَانَتْ تِلْكَ المعَانِي مَأْخُوذَةً مِنْ كِتَابٍ أَوْ مِنْ سَمَاعٍ أَوْ مِنْ وَحْيٍ، أَوْ

---

(١) هذه الاستعمالات من لسان العرب (قرأ).

مُتَوَلِّدَةً بِتَفْكِيرٍ. وَهِيَ تُخْتَزَنُ حَتَّىٰ يَحِينَ إِخْرَاجُهَا. فَلَفْظُ (قَرَأَ) يَصْلُحُ لِلتعْبِيرِ عَنْ اخْتِزَانِ الْأَلْفَاظِ فِي الذهْنِ كَمَا فِي قِرَاءَةِ مَوْضُوعٍ مِنْ وَرَقَةٍ نَظَرًا بِلَا صَوْتٍ، وَللتعْبِيرِ عَنِ النطْقِ[1] بِأَلْفَاظٍ تَتَضَمَّنُ المعَانِي أَوِ المعْلُومَاتِ. وَلَفْظُ(قَرَأَ) فِي الاسْتِعْمَالِ الْأَخِيرِ مَأْخُوذٌ مِنَ الْفَيْضِ أَوِ الْإِخْرَاجِ الَّذِي فِي مَعْنَىٰ التَرْكِيبِ؛ مِنْ حَيْثُ إِنَّ هَـٰذَا النطْقَ لَازِمٌ وَمُتَرَتِّبٌ عَلَىٰ وُجُودِ المعَانِي فِي الذهْنِ؛ لِأَنَّهُ لَا تَكُونُ قِرَاءَةٌ إِلَّا عَنْ مَعَانٍ أَوْ مَعْلُومَاتٍ مُخْتَزَنَةٍ فِي الذهْنِ، يُعَبَّرُ عَنْهَا بِأَصْوَاتٍ تَخْرُجُ فَتُسَمَّىٰ قِرَاءَةً كَذَٰلِكَ. وَقَدْ رَدَّ ابْنُ عَبَّاسٍ رضى الله عنه لَفظَ (الْقُرْآنِ) إِلَىٰ الْقِرَاءَةِ.

وَعَلَىٰ ذَٰلِكَ فَلَفْظُ الْقُرْآنِ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ (أ) المقْرُوءُ أَيِ المنْطُوقُ مُتَوالِيًا، وَهُوَ المظْهَرُ المادِّيُّ لِلقِرَاءَةِ، وَهَـٰذَا أَقْرَبُ المعَانِي. (ب) الْعِلْمُ الَّذِي مُلِئَ بِهِ قَلْبُ النَّبِيِّ ﷺ وَحْيًا مِنَ الله. (جـ) كَمَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ الْبيَانُ وَالْإِعْلَامُ وَالْإِبْلَاغُ (بِمَا كَانَ مَخْزُونًا فِي الْغَيْبِ). وَقَدْ أُشِيرَ إِلَىٰ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِهَـٰذَا فِي بَعْضِ آيَاتٍ مِنْهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَـٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًىٰ وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَـٰذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]. وَقَدْ جَاءَ تَفْسِيرُ بَعْضِ اسْتِعْمَالَاتِ التَرْكِيبِ بِالْبَلَاغِ. يُقَالُ: قَرَأَ عَلَيْهِ السلَامُ أَي أَبْلَغَهُ إِيَّاهُ، وَفَسَّرَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَه﴾ بِقَوْلِهِ: فَإِذَا بَيَّنَّاهُ لَكَ بِالْقِرَاءَةِ فَاعْمَلْ بِمَا بَيَّنَّاهُ لَكَ. أَيْ أَنَّ الْبيَانَ مِمَّا يُفَسَّرُ بِهِ التَرْكِيبُ. وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ أَبِي الحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَىٰ الرُّمَانِي (المتَوَفَّىٰ ٣٨٦هـ وَلَهُ خَمْسَةُ كُتُبٍ فِي التفْسِيرِ وَعُلُومِ الْقُرْآنِ وَإِعْجَازِهِ)- أَنَّهُ سُئِلَ: كُلُّ كِتَابٍ لَهُ تَرْجَمَةٌ(:عُنْوَانٌ)، فَمَا تَرْجَمَةُ كِتَابِ الله؟ فَقَالَ: ﴿هَـٰذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ﴾.

---

(١)جاء فى حديث لابن عباس أنه كان لا يقرأ فى الظهر والعصر أى لا يجهر بالقراءة فيهما أو لا يُسْمِعُ غيرَه قراءته (فهذا يعنى أنه سمى الإلقاء أو التلفظ الجهرى قراءة). وهذا الحديث فى اللسان (قرأ).

وَتَكْمِلَةً لِبَيَانِ المعْنَىٰ العَامِّ لِلْتَرْكِيبِ نَقُولُ: إِنَّ قَوْلَـهُمْ (قَرَأَ) و(تَقَرَأُ) بِمَعْنَىٰ تَفَقَّهَ هُوَ مِنْ ذَلِكَ المعْنَىٰ الْعَامِّ؛ لِأَنَّ الْفِقْهَ فَهْمٌ عَمِيقٌ يَسْتَوْعِبُ الشيْءَ فِي الْبَاطِنِ. وَالْقَارِئُ الْفَقِيهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ.

أَمَّا قَوهُمْ قَرَأَ وَتَقَرَّأَ: بِمَعْنَىٰ تَنَسَّكَ فَإِنَّهُ يَتَأَتَّىٰ مِنِ امْتِلَاءِ الْبَاطِنِ أَيْضًا، لَكِنْ بِشَيءٍ قَوِيٍّ (حَادٍّ). وَمِنْ صُوَرِ الحِدَّةِ الجَفَافُ فَالمتَنَسِّكُ جَافُّ الْبَاطِنِ إِزَاءَ الرغَبَاتِ وَالشهَوَاتِ فَهُوَ زَاهِدٌ فِيهَا. وَيَتَأَتَّىٰ أَنْ يُفَسَّرَ هَـٰذَا الاسْتِعْمَالُ بِالامْتِلَاءِ بِالمقْرُوءِ قُرْآنًا أَوْ عِلْمًا.

* * *

بَعْدَ هَـٰذِهِ الجَوْلَةِ نَقُولُ: إِنَّ الَّذِي نَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ فِي مَعْنَىٰ تَسْمِيَةِ كِتَابِ الله المنَزَّلِ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ بِأَنَّهُ «قُرْآنٌ» هُوَ أَنَّهُ مِنَ الْقِرَاءَةِ بِمَعْنَىٰ نُطْقِ كَلَامٍ كَثِيرٍ (يُسْتَدَلُّ مِنْ كَثْرَتِهِ عَلَىٰ أَنَّهُ لَهُ رَافِدٌ عَظِيمٌ). وَذَلِكَ: (أ) لِأَنَّ هَـٰذَا هُوَ المعْنَىٰ الظاهِرُ الْقَرِيبُ لِلَفْظِ الْقُرْآنِ مِنْ حَيْثُ هُوَ مَصْدَرٌ لِلْفِعْلِ (قَرَأَ).

(ب) أَنَّهُ جَاءَ فِي سِيَاقَاتٍ قُرْآنِيَّةٍ كَثِيرَةٍ بِمَعْنَىٰ الْقِرَاءَةِ الَّتِي هِي نُطْقُ كَلَامٍ نُطْقًا مُنَظَّمًا لَا هَرجًا مُتَبَادَلًا ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الأحقاف: ٢٩] ﴿سَمِعْنَا قُرْآنًا﴾ [الجن: ١] ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، ﴿وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾ . [يونس: ٦١]، ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ [الإسراء: ٤٥] ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل: ٢٠]، ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ [الانشقاق: ٢١].

﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا﴾ [الإسراء: ٤٦]، ﴿وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُه﴾ [طه: ١١٤]، ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾ [النمل: ٩٢]، ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

(جـ) أَنَّ الجِنَّ سَمَّوهُ بِهَـٰذَا اللفْظِ، وَالمعْنَىٰ الظاهِرُ أَقْرَبُ إِلَيْهِمْ ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١].

(د) أَنَّ الْكُفَّارَ اسْتَعْمَلُوا هَـٰذِهِ التسْمِيَةَ. وَأَشْهَرُ كُفَّارِ الْعَهْدِ الْأَوَّلِ لِلْبَعْثَةِ كَانُوا أَهْلَ مَكَّةَ، وَكَانَ جُمْهُورُهُمْ الْأَعْظَمُ عَرَبًا خُلَّصًا. وَهَـٰذَا يَعْنِي أَنَّهَا عَنْدَهُمْ تَسْمِيَةٌ عَرَبِيَّةٌ لِـمَعْنًىٰ عَرَبِيٍّ. وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِمْ قَبُولُهَا وَاسْتِعْمَالُهَا بِغَيْرِ هَـٰذَا المَعْنَىٰ الْعَرَبِيِّ الظاهِرِ الْقَرِيبِ (نُطْقُ كَلَامٍ ذِي نَسَقٍ خَاصٍّ نُطْقًا مُتَوَالِيًا)، أَيْ لَا بِأَيِّ مَعْنًىٰ آخَرَ طَيِّبٍ كَالجَمْعِ مَثَلًا (لأنهم كفار لا يؤمنون به): ﴿قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـٰذَا﴾ [يونس: ١]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَـٰذَا الْقُرْآنِ﴾ [سبأ :٣١]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَـٰذَا الْقُرْآنِ﴾ [فصلت: ٢٦]، ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[الزخرف: ٣١]. فَكُلُّ هَـٰذَا عِنْدَهُمْ بِمَعْنَىٰ المَقْرُوءِ الصوْتِيِّ[1].

(هـ) وَهَـٰذَا كُلُّهُ يُصَحِّحُ مَا سَبَقَ بِهِ ابْنُ عَبَّاسٍ رضى الله عنه أَنَّ الْقُرْآنَ مَعْنَاهُ الْقِرَاءَةُ.

## ب- مِنْ حَيْثُ الصيغَةِ:

وَمِنْ حَيْثُ الصيغَةُ فَإِنَّ لَفْظَ (الْقُرْآنِ) هُوَ عِنْدَ جُمْهُورِ الَّذِينَ بَحَثُوا هَـٰذَا اللفْظَ- عَلَىٰ وَزْنِ «فَعْلَان». وَهَـٰذَا الْوَزْنُ جَاءَ مِنْهُ فِي (دِيوَانِ الْأَدَبِ) نَحْوُ خَمْسِينَ لَفْظًا- بَعْدَ اسْتِبْعَادِ الجُمُوعِ الَّتِي عَلَىٰ هَـٰذَا الْوَزْنِ. وَمِنْ هَـٰذِهِ الخَمْسِينَ نَحْوُ عِشْرِينَ لَفْظًا هِيَ مَصَادِرُ كَالْفُرْقَانِ وَالْغُفْرَانِ وَالشُّكْرَانِ وَالْكُفْرَانِ وَالخُسْرَانِ، وَنَحْو عِشْرِينَ أُخْرَىٰ هِيَ أَسْمَاءٌ كَالثُّعْبَانِ وَالخُطْبَانِ :(الحَنْظَلُ)، وَالسُّلْطَانِ، وَالْقُرْبَانِ، وَبِضْعَةُ أَلْفَاظٍ هِيَ صِفَاتٌ

---

(١) وأما المسمى القلبي أو الذهني أي المجموع في القلب الذي ذكرناه أولا فلم يكن من همهم، مع أنه صحيح اشتقاقيًّا واستعماليًّا- كما بينا في التمثيل بقراءة مكتوب في ورقة أو غيرها قراءة بالعين بلا صوت.

كَالْقُرْحَانِ مِنَ الْإِبِلِ الَّذِي لَمْ يُصِبْهُ الجَرَبُ، وَالدُّغْمَانِ مِنَ الرجَالِ: الْأَسْوَدُ، وَهُوَ خُلْصَانِيٌّ أَيْ خَالِصَتِي[1]. وَالمَصْدَرُ أَكْثَرُ مِنَ الْأَسمَاءِ وَالصفَاتِ اسْتِعْمَالًا فِي غَيْرِ مَعْنَاهُ الْأَصْلِيِّ الخَاصِّ، أَعْنِي فِي غَيْرِ المَصْدَرِيَّةِ. فَالمَصْدَرُ قَدْ يُسَمَّىٰ بِهِ كَالتمْتَين: خُيُوطُ الخِيَامِ، وَالتنْوِيرُ: نُورُ النبَاتِ، وَالتصْبِيحُ: الْغَدَاء[2]. وَقَدْ يُطْلَقُ المَصْدَرُ وَيُرَادُ بِهِ الْوَصْفُ بِمَعْنَىٰ اسْم الْفَاعِلِ وَبِمَعْنَىٰ اسْمِ المَفْعُولِ، كَمَا يُقَالُ رَجلٌ عَدْلٌ رِضًا أَيْ عَادِلٌ مَرْضِيٌّ، وَكَمَا يُطْلَقُ النبْتُ والزرْعُ وَالْكِتَابُ وَالْقَوْلُ ـ وَكُلُّهَا مَصَادِرُ ـ عَلَىٰ النابِتِ والمَزْرُوعِ وَالمَكْتُوبِ وَالمَقُولِ. كَمَا أَنَّنَا نَرَىٰ أَنَّ الْأَسْمَاءَ بَدَأَتْ صِفَاتٍ تَصِفُ مُسَمَّيَاتِهَا بِمَعَانِيهَا (كَالشجَرَةِ تَعْنِي النبتَ المتفَرِّعَ، وَالدار تَعْنِي المكَانَ الَّذِي يَدُورُ حَوْلَهُ جدارٌ أَي يُحِيطُ بِهِ أَوِ المكَان الَّذِي يُحِيطُ بِسَاكِنِهِ) ثُمَّ لَزِمَتْ جِنْسًا مُعَيَّنًا مِنْ مَوْصُوفَاتِهَا فَصَارَتْ أَسْمَاءً[3].

وَهُنَا- فِي كَلِمَةِ «قُرْآن» فَإِنَّنَا نَرَىٰ أَنَّهَا «مَصْدَرٌ» بِمَعْنَىٰ «الَّذِي يُقْرَأُ» أَو «الَّذِي شَأْنُهُ أَنْ يُقْرَأَ» أَي المَقْرُوء أَي أَنَّهَا مَصْدَرٌ بِمَعْنَىٰ اسْمِ المَفْعُولِ.

* * *

أَمَّا الْقُدَمَاءُ فَانْقَسَمُوا فِي هَـٰذِهِ النقْطَةِ فَرِيقَيْنِ: فَالجُمْهُورُ عَلَىٰ أَنَّ لَفظَ الْقُرْآنِ عَلَىٰ وَزْنِ «فُعْلَان» مَصْدَرٌ بِمَعْنَىٰ الْقِرَاءَةِ، وَنَسَبَ السيُوطِيُّ هَـٰذَا إِلَىٰ «قَوْم مِنْهُمُ اللحْيَانِيُّ»[4]، وَقَالَ الزجَّاجُ وَآخَرُونَ: مَصْدَرٌ بِمَعْنَىٰ الجَمْعِ[5]. وَبَذرَةُ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ عِنْدَ

---

(١) انظر ديوان الأدب ٢/ ٣٥١٦، ٢٤٥، ٤/ ١٩٧.

(٢) انظر حواشي القاموس المحيط (متن).

(٣) انظر المعنىٰ اللغوي د. محمد حسن جبل ط أولى ١٠٧-١٠٨. (ط .الآداب ١٢٥).

(٤) ينظر الإتقان النوع السابع عشر (عالم الكتب) ١/ ٥١.

(٥) ينظر (معاني القرآن وإعرابه) للزجاج (تح. د. عبد الجليل شلبي) ١/ ٣٠٥ و(تهذيب اللغة) للأزهري (تح. د. رياض ٣/ ٢٩١٢) و(لسان العرب) (قرأ) وعليه السخاوي (جمال القراء). (تح. د. علي البواب) ١/ ٢٣.

ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه إِذْ فَسَّرَ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَه ﴾. قَالَ: أَنْ نُقْرِئَكَ فَلَا تَنْسَىٰ (كَأَنَّهُ يَعْنِي أَنَّ «قُرْآنَهُ» هُنَا اسْمُ مَصْدَرٍ مِنْ أَقْرَأَ. أَيْ إِنَّ عَلينا أَنْ نُقرِئَكَهُ) ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاه ﴾ عَلَيْكَ ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَه ﴾. يَقُولُ: إِذَا تُلِيَ عَلَيْكَ فَاتْبَعْ مَا فِيهِ. وَفِي رِوَايَةٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاه ﴾ : بَيَّنَّاهُ. قَالَ الطبَرِيُّ: «وَمَعْنَىٰ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ هَـٰذَا: فَإِذَا بَيَّنَّاهُ بِالْقِرَاءَةِ». ثُمَّ قَالَ: فَقَدْ صَرَّحَ هَـٰذَا الخَبَرُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ مَعْنَىٰ الْقُرْآنِ عِنْدَهُ: الْقِرَاءَةُ- مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ قَرَأْتُ- عَلَىٰ مَا بَيَّنَّاهُ» اهـ. فَلَفْظُ «قُرْآن» عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ رضى الله عنه وَعِنْدَ الطبَرِيِّ وَاللحيَانِيِّ مَصْدَرٌ بِمَعْنَىٰ الْقِرَاءَةِ. وَعِنْدَ قَتَادَةَ أَنَّهُ مَصْدَرٌ أَيْضًا لَكِنْ بِمَعْنَىٰ التأْلِيفِ (أَي الجَمْع) حَيْثُ قَالَ: «﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَه ﴾ يَقُولُ: حِفْظَهُ وَتَأْلِيفَهُ ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَه ﴾: اتَّبِعْ حَلَالَهُ، وَاجْتَنِبْ حَرَامَهُ». اهـ. قَالَ الطبَرِيُّ: «وَأَمَّا عَلَىٰ قَوْلِ قَتَادَةَ فَإِنَّ الْوَاجِبَ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ قَرَأْتُ الشَّيْءَ إِذَا جَمَعْتَهُ وَضَمَمْتَ بَعْضَهُ إِلَىٰ بَعْضٍ. كَقَوْلِكَ: مَا قَرَأَتْ هَـٰذِهِ النَاقَةُ سَلًىٰ قَطُّ»[1]. وَكَوْنُ لَفْظِ الْقُرْآنِ مَصْدَرًا وَرَدَ فِي المحْكَمِ (وَاللسَانِ) وَالْقَامُوسِ، وَوَرَدَ مَعْنَاهُ فِي (التهْذِيبِ) عَنِ الزجَّاجِ فِي قَوْلِهِ :«وَمَعْنَىٰ قُرْآن مَعْنَىٰ الجَمْعِ»[2]. وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ السالِفُ، وَبِهِ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ[3]. وَيُنْسَبُ أَيْضًا إِلَىٰ ابْنِ الْأَثِيرِ وَالراغِبِ[4]. وَالمرَادُ بِالجَمْعِ عِنْدَهُمْ جَمْعُ السور بَعْضِهَا إِلَىٰ بَعْضٍ، أَوْ لِكَوْنِهِ جَمَعَ ثَمَرَاتِ الْكُتُبِ السَّالِفَةِ المنزَّلَةِ، وَقِيلَ :لِأَنَّهُ جَمَعَ أَنْوَاعَ الْعُلُومِ كُلِّهَا[5]، أَوْ لِأَنَّهُ جَمَعَ الْقَصَصَ وَالْأَمْرَ وَالنَّهْيَ وَالْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ وَالْآيَاتِ وَالسوَرَ

---

(١) تفسير الطبرى (شاكر) ١/ ٩٥- ٩٦.

(٢) تنظر المعاجم المذكورة (قرأ)، ولم يشر لانفراد أحد بذكره.

(٣) مجاز القرآن لأبى عبيدة ٢٠/ ٢٧٨.

(٤) ينظر اللسان، والمفردات للراغب (قرأ).

(٥) الإتقان النوع ١٧ (تح. أبوالفضل) (١/ ١٨٢).

بَعْضَهَا إِلَىٰ بَعْضٍ[1]. وَنُسِبَ إِلَى الزجَّاجِ أَنَّهُ قَالَ هُوَ وَصفٌ عَلَىٰ «فُعْلَان» مُشْتَقٌّ مِنَ الْقَرْءِ بِمَعْنَىٰ الجَمْعِ، وَمِنْهُ قَرَأْتُ الماءَ فِي الحَوْضِ أَي جَمَعْتَهُ[2]. وَلَعَلَّهُ يَقصِدُ بِقَوْلِهِ «وَصْف» أَنَّهُ بِمَعْنَىٰ الجَامِعِ أو المجْمُوعِ. وَحَكَىٰ قُطْرُبٌ أَنَّهُ سُمِّيَ قُرْآناً لِأَنَّ الْقَارِئَ يُظْهِرُهُ وَيُبَيِّنُهُ مِنْ فِيهِ (أَي يُلْقِيهِ أَوْ يَتْلُوهُ) أَخْذًا مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: «مَا قَرَأَتِ الناقَةُ سَلَىٰ قَطُّ» حَيْث فَسَّرَهَا هُوَ بـ«مَا أَلْقَت»[3]. وَالصوَابُ تفسِيرُهَا بـ«مَا حَمَلَتْ» فَإِنَّ هَـٰذَا آصَلُ فِي المعْنَىٰ عِنْدَهُمْ أَيْ أَنَّ المقْصُودَ الأَصْلِيَّ عِنْدَ الْعَرَبِ هُوَ نَفْيُ الحَملِ، لِأَنَّ الحملَ، يُضْعِفُ الناقَةَ. وَأَيْضًا فَإِنَّ هَـٰذَا هُوَ الموَافِقُ لِلْمَعْنَىٰ المحْوَرِي للتَرْكِيبِ.

أَمَّا الْفَرِيقُ الثَّانِي فَيُنْسَبُ إِلَىٰ الْإِمَامِ الشَّافِعِي رضى الله عنه إِذْ كَانَ لَا يَهْمِزُ كَلِمَةَ «الْقُرْآن»، فَيَنْطِقُهَا بِوَزْنِ الجُمَانِ. وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ الْقُرانُ اسْمٌ وَلَيْس بِمَهْمُوزٍ، وَلَمْ يُؤْخَذْ مِنْ قَرَأْتُ، وَلَكِنَّهُ اسْمٌ لِكِتَابِ الله مِثْل التَوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ. وَيَهْمِزُ قَرَأْتُ وَلَا يَهْمِزُ الْقُرْآنَ»[4]. وَقَدْ تبَيَّنَ أَنَّ أَصْلَ هَـٰذَا الرَّأْي إنما هو لِشَيْخ الشافِعِيِّ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ إِسْمَاعِيلَ ابْنِ قُسْطَنْطِينَ[5]. فَقُصَارَىٰ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُنْسَبَ إِلَىٰ الشافِعِيِّ هُوَ نُطْقُ كَلِمَةِ «قُرَان» بِلَا هَمْزٍ تبعًا لِشَيْخِهِ. وَهَـٰذَا يَتَأَتَّىٰ عَلَىٰ أَخْذِهَا مِنْ (قَرَأَ) أَيْضًا بِحَذْفِ الهَمْزَةِ وَنَقْلِ حَرَكَتِهَا إِلَىٰ السَّاكِنِ قَبْلَهَا. فَالْقِرَاءَةُ بِدُونِ هَمْزٍ لَيسَتْ دَلِيلًا لِعَدَمِ الاشْتِقَاقِ.

---

(١) اللسان (رأى ابن الأثير).

(٢) الإتقان نوع ١٧. (المحقق ٢/ ١٨٢).

(٣) ينظر السابق نفسه (عالم الكتب) ١/ ٥٠- ٥١.

(٤) ينظر لسان العرب (قرأ)، والإتقان (عالم الكتب) ١/ ٥٠-٥١.

(٥) ينظر تهذيب اللغة ٩/ ٢٧١، وهو فى اللسان (قرأ)، وينظر أيضاً ترجمة إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين قسطنطين في غاية النهاية لابن الجزري ١/ ١٦٥- ١٦٦، ترجمة رقم ٧٧١ حيث التصريح بأن صاحب هـٰذا القول هو إسماعيل هـٰذا.

وَالْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ أَجَلُّ وَأَعْرَفُ بِاللغَةِ مِنْ أَنْ يَسْتَدِلَّ بِذَلِكَ، وَإِنَّمَا نَاظَرَ شَيْخُهُ اسْمَ الْقُرْآنِ بِاسْمِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ. وَمِمَّا هُوَ قَرِيبٌ مِنْ هَـٰذَا الموْقِفِ لَكِنْ مَعَ التَّصْرِيحِ بِالاشْتِقَاقِ قَوْلُ الْفَرَّاءِ «إِنَّ الْقُرَانَ ـ بِلَا هَمْزٍ أَيْضًا ـ مُشْتَقٌّ مِنَ الْقَرَائِنِ. قَالَ: لِأَنَّ الْآيَاتِ مِنْهُ يُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيُشَابِهُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَهِيَ قَرَائِنُ، وَقَوْلُ قَوْمٍ مِنْهُمُ الْإِمَامُ الْأَشْعَرِيُّ (ت٣٢٤هـ) هُوَ مُشْتَقٌّ مِنْ قَرَنْتُ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ إِذَا ضَمَمْتَ أَحَدَهُمَا إِلَىٰ الْآخَرِ، وَسُمِّيَ بِهِ لِقِرَانِ السوَرِ وَالآيات والحروف فيه»[1].

قَالَ الزَّجَّاجُ ـ مُشِيرًا إِلَىٰ قِرَاءَةِ التخْفِيفِ تِلْكَ وَإِعَادَةِ اسْمِ الْقُرْآنِ (بِنَاءً عَلَىٰ تِلْكَ الْقِرَاءَةِ) إِلَىٰ تَرْكِيبِ (قَرَنَ) صَرَاحَةً أَوْ ضِمْنًا: «هَـٰذَا الْقَوْلُ سَهْوٌ. وَالصَّحِيحُ أَنَّ تَرْكَ الهَمْزَةِ فِيهِ هُوَ مِنْ بَابِ التخْفِيفِ وَنَقْلِ حَرَكَةِ الهَمْزَةِ إِلَىٰ السَّاكِنِ قَبْلَهَا»[2]. وَلَا أَسَاسَ لِلاتِّهَامِ بِالسَّهْوِ لِأَنَّهُم لَا يَغْفُلُونَ عَنْ تَخْفِيفِ الهَمْزِ. وَإِنَّمَا هُوَ تَحْلِيلُهُمْ لِلَفْظِ وَاجْتِهَادُهُمْ فِي تَوْجِيهِهِ. وَقَدْ أَخْطَئُوا. وَالصوَابُ أَنَّهُ مِنَ الْقِرَاءَةِ أَي النطْقُ بِالْكَلَامِ – غفر الله لنا ولهم.

## جـ - نَوْعُ لَفْظِ الْقُرْآنِ (نَحوِيًّا):

أَمَّا عَنْ نَوْعِ لَفْظِ «الْقُرْآنِ» فَإِنَّهُ عَلَمٌ بِالْغَلَبَةِ فِي الْعُرْفِ الْعَامِّ عَلَىٰ مَا نَزَلَ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ إِلَىٰ سُورَةِ الناسِ. وَقَدْ صَرَّحَ بِذَلِكَ شُرَّاحُ جَمْعِ الجَوَامِعِ التَّاج المحَلِّيُّ والْبَنَّانِيّ وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ الشربيني[3]. وَمَعْنَىٰ الْعَلَمِ بِالْغَلَبَةِ أَنْ يَغْلِبَ اللفْظُ عَلَىٰ بَعْضِ أَفْرَادِ مَا وُضِعَ لَهُ. وَهَـٰذِهِ الْغَلَبَةُ تَكُونُ تَحْقِيقِيَّةً إِنِ اسْتُعْمِلَ اللفْظُ بِالْفِعْلِ فِي غَيْرِ مَا غَلَبَ عَلَيْهِ وَإِلَّا فَتَقْدِيرِيَّةٌ[4].

---

(١) ينظر الإتقان (عالم الكتب) ١/ ٥١ (قول الفراء وقول الأشعري).

(٢) الإتقان نوع ١٧/ (١/ ١٨٢ تحقيق محمد أبي الفضل).

(٣) جمع الجوامع وشروحه ١/ ٢٢٣ وانظر تفسير القرطبي ٢/ ٢٩٨.

(٤) ينظر حاشية الصبان علىٰ الأشموني ١/ ١٨٤ عند شرح قول ابن مالك: «وقد يصير علماً بالغلبة».

وَعَلَىٰ هَـٰذَا فَإِنَّهُ فِي ضَوْءِ مَا أَوْرَدَهُ السيُوطِيُّ مِنْ قَوْلِه ﷺ: «خُفِّفَ عَلَىٰ دَاوُدَ الْقُرْآنُ» أَيِ الزبُورُ[1]- فَسمِّي الزَّبُورُ قُرْآنًا، وَمِن اسْتِعْمَالِ لَفْظِ قُرْآن مَصْدَرًا بِمَعْنَىٰ الْقِرَاءَةِ فِي الحَدِيثِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ «إِنَّ فِي الْبَحْرِ شَيَاطِينَ مَسْجُونَةً أَوْثَقَهَا سُلَيْمَانُ ﷺ يُوشِكُ أَنْ تَخْرُجَ فَتَقْرَأَ عَلَىٰ النَّاسِ قُرْآنًا: أَيْ قِرَاءَةً، وَفِي قَوْلِ الشَّاعِرِ:

ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ عُنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ ... يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنَا

أَيْ قِرَاءَةً، كَمَا فُسِّرَتْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾. قَالُوا أَي قِرَاءَة الْفَجْرِ. وَفِي الحَدِيثِ «لَا تُسَافِرُوا بِالْقُرْآنِ إِلَىٰ أَرْضِ الْعَدُوِّ» قَالُوا أَرَادَ بِهِ المصْحَفَ[2]. وَكَذَلِكَ مَا قِيلَ وَاشْتَهَرَ مِنْ تَسْمِيَةِ النَّاسِ كِتَابَ سِيبَوَيْهِ «قُرْآنَ النَّحْوِ»[3]- وَإِنْ كَانَ هَـٰذَا مُقَيَّدًا وَجَارِيًا عَلَىٰ سَبِيلِ التَّشْبِيهِ- فِي ضَوْءِ ذَلِكَ كُلِّهِ يُمْكِنُ أَنْ نَحْكُمَ بِأَن الْغَلَبَةَ فِي لَفْظِ الْقُرْآنِ حَقِيقِيَّةٌ.

ثُمَّ إِنَّ (الْ) فِي لَفْظِ «الْقُرْآنِ» كَانَتْ مُعَرِّفَةً لِلْعَهْدِ، ثُمَّ انْسَلَخَ مَعْنَىٰ الْعَهْدِ عَنِ (الْ)، إِذِ اسْتُغْنِيَ عَنْهُ بِالْغَلَبَةِ أي الشُّهْرَةِ فِي المعْنَىٰ الخَاصِّ، فَصَارَتْ (الـ) زَائِدَةً لَازِمَةً. إِلَّا أَنَّ دَرَجَةَ لُزُومِ (الْ) هُنَا لَيْسَتْ كَلُزُومِهَا فِي الْأَعْلَامِ الَّتِي قَارَنَتْ (الْ) وَضْعَهَا كَاللَّاتِ وَالْيَسَعِ وَالْآنَ وَأَسْمَاءِ الموْصُولِ[4]. وَلِذَلِكَ تَسْقُطُ «ال» الَّتِي فِي الْعَلَمِ بِالْغَلَبَةِ عِنْدَ النِّدَاءِ وَالْإِضَافَةِ. أَمَّا فِي ذَوَاتِ اللامِ اللازِمَةِ الَّتِي قَارَنَت الْوَضْعَ فَيُتَوَصَّلُ إِلَىٰ نِدَائِهَا بِـ«أَي» و«ذَا»[5].

---

(١) الإتقان نوع ١٧ (١/ ١٨٥ تحقيق محمد أبى الفضل).

(٢) تفسير القرطبي ٢/ ٢٩٨.

(٣) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ٦٥.

(٤) شرح الأشموني ١/ ١٨٥.

(٥) ينظر حاشية الصبان علىٰ الأشموني ١/ ١٨٥، وانظر معالجة للفظ «القرآن» في القرطبي ٢/ ١٩٨.

# الفَصْلُ الثَّانِي

## مَعنَى النزُولِ وَالإِنزَالِ

النزُولُ وَالْإِنْزَالُ يُسْتَعْمَلَانِ فِي الهُبُوطِ مِنْ عُلْوٍ إِلَىٰ سُفْلٍ. وَهُوَ الاسْتِعْمَالُ الشائِعُ. وَلَكِنَّ تَرْكِيبَ (نَزَلَ) يُسْتَعْمَلُ فِي مَا يَعُمُّ ذَلِكَ وَمَا إِلَيْهِ مِنْ دَفْعِ الشَّيْءِ (إِهْبَاطًا أَوْ إِخْرَاجًا أَوْ إِيجَادًا) إِلَىٰ مَقَرٍّ لَهُ: مَكَانٍ أَوْ حوزةٍ. جَاءَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيد﴾[1]. «وَقِيلَ أَيْ أَنْشَأْنَاهُ وَخَلَقْنَاهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاج﴾[2]. وَهَـٰذَا قَوْلُ الحَسَنِ. فَيَكُونُ مِنَ الْأَرْضِ غَيْرَ مُنَزَّلٍ مِنَ السماءِ. وَقَالَ أَهْلُ المعَانِي: أَي أَخْرَجَ الحَدِيدَ مِنَ المعَادِنِ وَعَلَّمَهُمْ صَنْعَتَهُ بِوَحْيِهِ»[3]. اهـ. وَجَاءَ فِيهِ فِي مَعْنَىٰ ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاج﴾: "وَقِيلَ أَنْزَلَ: أَنْشَأَ وَجَعَلَ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: خَلَقَ، وَقِيلَ: أَعْطَاكُمْ"[4]. وَفِي قَوْلِهِ

---

(١) س الحديد ٢٥.

(٢) س الزمر ٦.

(٣) القرطبي ١٧/ ٢٦١ وأورد هناك حديثا «إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض: الحديد والنار والماء والملح» فإن صح الحديث وفُهِم علىٰ نزول الحديد نفسه من السماء إلىٰ الأرض فقد يعني به حال الفتق بعد الرتق. وينظر: من دلائل الإعجاز العلمي فى القرآن الكريم والسنة النبوية تأليف د. موسىٰ الخطيب ص٢١٠ حيث قال إن الحديد «قد تم طبخه في الماضي في باطن نجم معين، ثم قذف به عند انفجار النجم (سوبر نوفا) ونزل الحديد إلىٰ الأرض».

(٤) القرطبي ١٥/ ٢٣٥.

تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ﴾[الأعراف: ٢٦]. قَالَ الْإِمَامُ الطَبَرِيُّ: يَعْنِي بِإِنْزَالِهِ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ خَلْقَهُ لَهُمْ وَرِزْقَهُ إِيَّاهُمْ»[1]. وَاقْتَصَرَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَذْكُرْ مَعَهُ أَيَّ تَفْسِيرٍ آخَرَ. وَفِي تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ أَنَّهُ (إِنْزَالُ) «الْـمَطَرِ الَّذِي يُنْبِتُ الْقُطْنَ وَالْكَتَّانَ، وَيُقِيمُ الْبَهَائِمَ الَّتِي مِنْهَا الْأَصْوَافُ وَالْأَوْبَارُ وَالْأَشْعَارُ، فَهُوَ مَجَازٌ» مِثْلُ إِنْزَالِ الْأَنْعَامِ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: «خَلَقْنَا لَكُمْ» وَمَاثَلَهُ بِإِنْزَالِ الْأَنْعَامِ أَيْضًا. وَقِيلَ: «أَلْهَمْنَاكُمْ كَيْفِيَّةَ صَنْعَتِهِ. وَقِيلَ إِنْزَالُ شَيْءٍ مِنَ اللبَاسِ مَعَ آدَمَ وَحَوَّاءَ لِيَكُونَ مِثَالًا لِغَيْرِهِ، وَفِي (الْبَحْرِ) إِضَافَةُ إِنْزَال أَصْلِ كُلِّ شَيْءٍ مَعَ آدَمَ وَحَوَّاءَ، وَإِنْزَالِ الحَدِيدِ الَّذِي تُتَّخَذُ مِنْهُ آلَاتُ الصنائِعِ، وَإِنْزَال مَلَكٍ عَلَّمَ آدَمَ النسْجَ»[2]. وَالْأَقْوَالُ الثلَاثَةُ الْأُولَىٰ - فِي الْقُرْطُبِيِّ - هِيَ مَحَلُّ الاعْتِبَارِ. وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾[يونس: ٥٩]: قَالَ الطبَرِيُّ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنَ الرزق فَخَوَّلَكُمُوهُ وذَلِكَ مَا تَتَغَذَّونَ بِهِ مِنَ الْأَطْعِمَةِ[3]. وفي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللّـهُ﴾[الأنعام: ٩٣]. فُسِّرَ قَوْلُهُ «سَأُنْزِلُ» بِدَعْوَاهُ (أي دَعْوَىٰ عبد الله بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ (أي اخْتَلَقَهُ) هُوَ مِنْ عِنْدِ الله مِثل مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ[4] وَنَزَّهَ اللهُ شَأْنَهُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ. فَهَـٰذَا مَا قَالَهُ المفَسِّرُونَ فِي مَعْنَىٰ الْإِنْزَالِ. أَمَّا اللُّغَوِيُّونَ فَقَدْ ذُكِرَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ المعْنَىٰ المشْهُورَ «نَزَلَ مِنْ عُلْوٍ إِلَىٰ سُفْلٍ: انْحَدَرَ، وَالمنْزِلُ مَوْضِعُ النُّزُولِ». وَسَائِرُ مَا ذَكَرَهُ يَئُولُ إِلَىٰ مَعْنَىٰ الاسْتِقْرَارِ (بَعْدَ انْحِدَارٍ) حَقِيقَةً أَوْ مَجَازًا. وَمِنْ أَقْرَبِ ذَلِكَ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ

(١) تفسير الطبري (شاكر) ١٢/ ٣٦١.

(٢) ينظر تفسير القرطبي ٧/ ١٨٤ والبحر (الكتب العلمية) ٤/ ٢٨٢.

(٣) الطبري ١٥/ ١١١.

(٤) الطبري ١١/ ٥٣٣.

«النزَلُ: الريْعُ وَالْفَضْلُ/ رَيْعُ مَا يُزْرَعُ أَي زَكَاؤُهُ وبَرَكَتُهُ، وَرَجُلٌ ذُو نَزَلٍ: كَثِيرُ الْفَضْلِ وَالْعَطَاءِ وَالْبَرَكَةِ»[1]. فَرَيْعُ الزرْعِ زِيَادَةٌ تَنْشَأُ وَتَتَوَلَّدُ عَنْهُ لِتَقَرَّ فِي حَوْزَةِ صَاحِبِهِ، وَالْعَطَاءُ إِضَافَةٌ إِلَىٰ الحَوْزَةِ، وَالْبَرَكَةُ قَرَارٌ فِيهَا. وَهَـٰذَا كُلُّهُ يُؤَيِّدُ مَا قُلْنَا مِنْ أَوَّلِ هَـٰذِهِ الْفَصْلَةِ عَنْ مَعْنَىٰ النُّزُولِ وَالإِنْزَالِ؛ إِذْ لَيْسَ فِي أَيٍّ مِمَّا أَوْرَدْنَاهُ مَا يَقْتَضِي ضَرُورَةَ الْهُبُوطِ مِنْ عُلْوٍ إِلَىٰ سُفْلٍ لَا مَحَالَةَ. وَعَلَىٰ ذَلِكَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ نُزُولُ الْقُرْآنِ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ يَعْنِي كَوْنَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ، ثُمَّ أَبرزَ مَا قَضَاهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَمَا تَهَيَّأَ السَّبَبُ: صُعُوبَةِ الحِفْظِ بِسَبَبِ كَثْرَةِ مَا أُنْزِلَ، وَتَضَرُّعُ النبِيِّ ﷺ إِلَىٰ اللهِ فِي ذَلِكَ (كَأَسْبَابِ نُزُولِ الْآيَاتِ).

وَيُصَدِّقُ مَا بَيَّنَّاهُ مَا جَاءَ عَنِ الراغِبِ الْأَصْفَهَانِيِّ (ت ٥٠٢هـ) وَالْقُطْبِ الرازِيِّ (ت٧٦٦هـ) عَنْ مَعْنَىٰ الْإِنْزَالِ. قَالَ السيُوطِيُّ: قَالَ الْأَصْفَهَانِيُّ أَوَائِلَ تَفْسِيرِهِ: اتَّفَقَ أَهْلُ السنَّةِ وَالجَمَاعَةِ عَلَىٰ أَنَّ كَلَامَ اللهِ مُنْزَلٌ. – وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَىٰ الْإِنْزَالِ: (أ) فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِظْهَارُ الْقِرَاءَةِ، (ب) وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَلْهَمَ كَلَامَهُ جِبْرِيلَ وَهُوَ فِي السمَاءِ وَهُوَ عَالٍ مِن المكَانِ، وعَلَّمَهُ قِرَاءَتَهُ، ثُمَّ جِبْرِيلُ أَدَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَهُوَ يَهْبِطُ فِي المكَانِ (أَيْ أَنَّ هَـٰذَا الرأي الثاني جَرَىٰ عَلَىٰ مَا هُوَ شَائِعٌ مِنْ مَعْنَىٰ النزُولِ وَهُوَ الْهُبُوطُ مِنْ عُلْوٍ إِلَىٰ سُفْلٍ)، (جـ) وَقَالَ الْقُطْبُ الرازِيُّ فِي حَوَاشِي الكشَّافِ: «وَالْإِنْزَالُ لُغَةً بِمَعْنَىٰ الإِيوَاءِ (أَي إِنْزَالُ المسَافِرِ مَثَلًا بِمَقَرٍّ)، وَبِمَعْنَىٰ تَحْرِيكِ الشيْءِ مِنْ عُلْوٍ إِلَىٰ أَسْفَلَ (وَالمعْنَيَانِ يَئُولَانِ إِلَىٰ الْإِقْرَارِ: أَيْ جَعْلِ الشيْءِ يَسْتَقِرُّ عَلَىٰ مَقَرٍّ لَهُ: الْأَرْضِ أَوْ نَحْوِهَا، بِدَفْعٍ أَوْ تَمْكِينٍ) عَلَىٰ مَا سَبَقَ. وَكِلَاهُمَا لَا يَتَحَقَّقُ فِي الْكَلَامِ، فَهُوَ مُسْتَعْمَلٌ فِيهِ (أَي فَالْإِنْزَالُ مُسْتَعْمَلٌ فِي الْقُرْآنِ) فِي مَعْنًىٰ مَجَازِيٍّ: فَمَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَعْنًىٰ قَائِمٌ بِذَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ، فَإِنْزَالُهُ أَنْ يُوجِدَ الْكَلِمَاتِ وَالْحُرُوفَ الدالَّةَ عَلَىٰ ذَلِكَ المعْنَىٰ وَيُثْبِتَهَا فِي اللوْحِ المحْفُوظِ،

---

(١) لسان العرب (نزل) ١٤/ ١٨٢. ه

وَمَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ هُوَ الْأَلْفَاظُ فَإِنزَالُهُ مُجَرَّدُ إِثْبَاتِهِ فِي اللوْحِ المحْفُوظِ. وَهَـٰذَا المعْنَىٰ مُنَاسِبٌ لِكَوْنِهِ مَنْقُولًا عَنِ المعْنَيَيْنِ اللغَوِيَّيْنِ (أَي عَنِ الْإِيوَاءِ وَالتحْرِيكِ إِلَىٰ أَسْفَلَ - إِلَىٰ الْإِثْبَاتِ)، (د) وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ المرَادُ بِإِنْزَالِهِ إِثْبَاتُهُ فِي السماءِ الدنْيَا بَعْدَ الْإِثْبَاتِ فِي اللوْحِ المحْفُوظِ. وَهَـٰذَا مُنَاسِبٌ لِلْمَعْنَىٰ الثانِي»[1]. «وَالمرَادُ بِإِنْزَالِ الْكُتُبِ عَلَىٰ الرسُلِ أَنْ يَتَلَقَّفَهَا الملَكُ مِنَ الله تَلَقُّفًا رُوحَانِيًّا، أَوْ يَحْفَظَهَا مِنَ اللوْحِ المحْفُوظِ وَيَنْزِلَ بِهَا فَيُلْقِيهَا عَلَيْهِمْ... وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]: يُرِيدُ وَاللهُ أَعْلَمُ: إِنَّا أَسْمَعْنَاهُ الملَكَ وَأَفْهَمْنَاهُ إِيَّاهُ، وَأَنْزَلْنَاهُ بِمَا سَمِعَ. فَيَكُونُ الملَكُ مُنْتَقِلًا مِنْ عُلُوٍّ إِلَىٰ أَسْفَلَ. قَالَ أَبُو شَامَةَ: هَـٰذَا المعْنَىٰ مُطَّرِدٌ فِي جَمِيعِ أَلْفَاظِ الْإِنْزَالِ المضَافَةِ إِلَىٰ الْقُرْآنِ أَوْ إِلَىٰ شَيْءٍ مِنْهُ، يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَهْلُ السنَّةِ المعْتَقِدُونَ قِدَمَ الْقُرْآنِ وَأَنَّهُ صِفَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِ الله تَعَالَىٰ»[2].. وَنَقْتَبِسُ مِمَّا قَالَهُ أَوْ نَقَلَهُ أَبُو شَامَةَ مَا يُبَيِّنُ مَوْقِعَ عِبَارَةِ «عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ» مِنَ الْفِعْلِ «أَنْزَلَ» قَالَ: وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ وَجْهًا آخَرَ وَهُوَ أَنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ مُرَخَّصًا لِلْقَارِئِ وَمُوَسَّعًا عَلَيْهِ أَنْ يَقْرَأَهُ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، أَيْ يُقْرَأُ بِأَيِّ حَرْفٍ شَاءَ مِنْهَا، عَلَىٰ الْبَدَلِ مِنْ صَاحِبِهِ... أَي كَأَنَّهُ أُنْزِلَ عَلَىٰ هَـٰذَا مِنَ الشرْطِ، أَوْ عَلَىٰ هَـٰذَا مِنَ الرُّخْصَةِ وَالتوْسِعَةِ، وَذَلِكَ لِتَسْهُلَ قِرَاءَتُهُ عَلَىٰ الناسِ..»[3]... فَيَكُونُ الْإِنْزَالُ (عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ) هُوَ هَـٰكَذَا مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ، كَمَا سَبَقَ أَنْ قُلْنَا.

---

(١) الإتقان نوع ١٦ (تح. أبو الفضل) ١/ ١٥٧.

(٢) السابق. وهو فى (عالم الكتب) ١/ ٤٣.

(٣) المرشد الوجيز ٨٩.

# الفَصْلُ الثَّالِث

## مَعْنَى السَّبْعَةِ

تَرْكِيبُ (سَبَعَ) يُعَبِّرُ أَصلًا عَنِ الامْتِدَادِ الزائِدِ عَنِ الحَدِّ المعْتَادِ وَالَّذِي لَا يَقِفُ عِنْدَ الحَدِّ المعْتَادِ: كَمَا فِي قَوْلِهِمْ «هُوَ سُباعِيُّ الْبَدَنِ أَي تَامُّ الْبَدَنِ، وَالسُّبَاعِيُّ مِنَ الجِمَالِ: الْعَظِيمُ الطوِيلُ» (فَهَـٰذَا امْتِدَادٌ طُولِيٌّ وَعَرْضِيٌّ وَاضِحٌ)، وَكَمَا فِي قَوْلِهِمْ «أَسْبَعَ عَبْدَهُ أَي أَهْمَلَهُ، وَالْمُسَبَعُ المهْمَلُ الَّذِي لَمْ يُكَفَّ عَنْ جُرْأَتِهِ فَبَقِيَ عَلَيْهَا» (فَهَـٰذِهِ الجُرْأَةُ مُجَاوَزَةٌ لِلْحَدِّ وَعَدَمُ وُقُوفٍ عِنْدَهُ ـ بِسَبَبِ إِهْمَالِهِ أَي تَسْيِيبِهِ وَعَدَمِ كَفِّهِ بِالْأَدَبِ وَالْعُقُوبَةِ)، وَكَمَا فِي قَوْلِهِمْ «أَسْبَعَ ابْنَهُ، دَفَعَهُ إِلَىٰ الظُّؤُورَةِ» (فَهَذَا إِبْعَادٌ مُخَالِفٌ لِلْمُعْتَادِ الطَّبِيعِيِّ الَّذِي هُوَ احْتِفَاظُ الْأُمِّ بِوَلَدِهَا فِي حَوْزَتِهَا لِتُرْضِعَهُ هِيَ)، وَكَمَا هُوَ مَعْنَىٰ تَسْمِيَةِ السبُعِ. «فَالسَّبُعُ مِنَ الْبَهَائِمِ يَقَعُ عَلَىٰ مَا لَهُ نَابٌ وَيَعْدُو عَلَىٰ الناسِ وَالدوابِّ فَيَفْتَرِسُهَا مِثْلُ الْأَسَدِ وَالذئْبِ وَالنمِرِ وَالْفَهْدِ وَمَا أَشْبَهَهَا. وَالثعْلَبُ وَإِنْ كَانَ لَهُ نَابٌ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِسَبُعٍ لِأَنَّهُ لَا يَعْدُو عَلَىٰ صِغَارِ المَوَاشِي وَلَا يُنَيِّبُ فِي شَيْءٍ مِنَ الحَيَوَانِ..»[1] اهـ.

(فَهَـٰذَا الْعُدْوَانُ الَّذِي هُوَ سِرُّ تَسْمِيَةِ السبُعِ: مُجَاوَزَةٌ لِلْحَدِّ وَامْتِدَادٌ لَا يَتَوَقَّفُ عِنْدَ حَدِّ حُرْمَةِ الدوَابِّ وَالناسِ المعْتَدَىٰ عَلَيْهِمْ، وَلَفْظُ الْعُدْوَانِ مَعْنَاهُ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ مِنْ (عَدَا يَعْدُو) بِمَعْنَىٰ أَحْضَرَ أَيْ جَرَىٰ جَرْيًا شَدِيدًا، فَيُعَبَّرُ بِهِ عَنِ التجَاوُزِ وَالتخَطِّي لِلْحُدُودِ

---

(١) لسان العرب (سبع).

وَغَيْرِهَا)[1]. وَمِنْ هُنَا اسْتُعْمِلَ لَفْظُ (السبُعِ) فِي الْعُدْوَانِ كَمَا اسْتُعْمِلَ فِي الافْتِرَاسِ، فَكِلَاهُمَا تَجَاوُزٌ وَامْتِدَادٌ أَيْ تَعَدٍّ عَلَىٰ حُرْمَةِ المعْتَدَىٰ عَلَيْهِ وَالمفْتَرَسِ.

وَمِنْ هَـٰذَا الْأَصْلِ نَشَأَتْ دَلَالَةُ الْعَدَدِ «سَبَعة». فَالَّذِي أُرَجِّحُهُ لُغَوِيًّا أَنَّ السبْعَةَ كَانَتْ ـ فِي أَحْقَابِ نَشْأَةِ اللغَةِ قَبْلَ آلَافِ السنِين ـ تَدُلُّ عَلَىٰ عَدَدٍ كَثِيرٍ فَحَسْبُ أَيْ غَيْر مُحَدَّدٍ بِالحَدِّ المعْرُوفِ الْآنَ وَهُوَ مَا فَوْقَ الستَّةِ بِوَاحِدٍ، وَالْكَثْرَةُ مِنَ الامْتِدَادِ وَالاتِّسَاعِ الَّذِي هُوَ المعْنَىٰ المحْوَرِيِّ للتَّرْكِيبِ. ثُمَّ طَرَأَ التحْدِيدُ فِيمَا بَعْدُ، بِنَاءً عَلَىٰ سُنَّةِ التطَوُّرِ فِي الْأَعْدَادِ[2]. وَلَكِنْ بَقِيَتْ فِي الْعَدَدِ (سَبْعَة) آثارٌ دَلَالِيَّةٌ مِنْ أَصْلِ وَضْعِهِ الَّذِي أَشَرْنَا إِلَيْهِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا قَرَّرَهُ اللغَوِيُّونَ أَنَّ «الْعَرَبَ تَضَعُ السبْعَةَ وَالتسْبِيعَ مَوْضِعَ التضْعِيفِ وَالتكْثِيرِ وَإِنْ جَاوَزَ السبْعَ». وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَعْرَابِيِّ لِرَجُلٍ: «سَبَّعَ اللهُ لَكَ الْأَجْرَ: أَرَادَ التضْعِيفَ، وَيُقَالُ فِي الدعَاءِ سَبَّعَ اللهُ لَكَ أَي ضَعَّفَ لَكَ مَا صَنَعْتَ سَبْعَةَ أَضْعَافٍ»[3].

قَالَ فِي اللسَانِ «وَالْأَصْلُ[4] قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة :٢٦١] ثُمَّ قَالَ النبيُّ ﷺ الحَسَنَةُ بِعَشْرٍ إِلَىٰ سبعمائَةٍ.. قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: وَأَرَىٰ قَوْلَ اللهِ ﷻ لنبيه ﷺ ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّـهُ

---

(١) ينظر لسان العرب (عدا).

(٢) هٰذا اجتهاد مبني علىٰ تتبع نشأة دلالة الأعداد علىٰ معانيها المحددة: كأخذ معنىٰ الاثنين من الثني، والأربعة من الربيعة الحجر أو الربع طرف الجبل.. وهكذا.

(٣) لسان العرب (سبع) مع اختلاف فى الترتيب.

(٤) قوله (الأصل): كأنه يقصد أن أصل دلالة لفظ (سبعة) علىٰ التكثير أن السبع سنابل تحتوي سبعمائة حبة. لكن الأخذ من الاستعمالات العربية المختلفة لألفاظ التركيب- كما فعلنا، لا من استعمال واحد جاء معني الكثرة فيه من التولد (تولد المئة حبة من سنبلة أصلها حبة واحدة)- كما فعل هو الأقرب للمنهج العلمي، لأنه المطرد.

لَهُمْ﴾. [التوبة :٨٠] مِنْ بَابِ التكْثِيرِ وَالتضْعِيفِ لَا مِنْ بَابِ حَصْرِ الْعَدَدِ، وَلَمْ يُرِد الله ﷻ أَنَّهُ عليه السلام إِنْ زادَ عَلَىٰ السبْعِينَ غَفَرَ لهمْ، وَلَكِنَّ المعْنَىٰ إِنِ اسْتَكْثَرْتَ مِنَ الدعَاءِ وَالاسْتِغْفَارِ لِلْمُنَافِقِينَ لَمْ يَغْفِرِ اللهُ لَهُمْ»[1].

وَالخُلاصَةُ مِنْ عَرْضِ اسْتِعْمَالَاتِ التَرْكِيبِ أَنَّ لَفْظَ (سَبْعَة) يَسْتَمِدُّ دَلالَتَهُ الْعَدَدِيَّةَ مِنْ دَلَالَةِ تَرْكِيبِ (سَبَعَ) عَلَىٰ الامْتِدَادِ أَو الاتِّسَاعِ أَيْ عَدَم الْوُقُوفِ عِنْدَ حَدٍّ. وَأَنَّ الْكَثْرَةَ هِيَ مِنْ هَـٰذَا الامْتِدَادِ وَالاتِّسَاعِ، وَهَـٰذِهِ الْكَثْرَةُ هِيَ أَسَاسُ الدلَالَةِ الْعَدَدِيَّةِ لِلَفْظِ (سَبْعَة)، وَالسنَّةُ اللغَوِيَّةُ أَنْ يَكُونَ تَحْدِيدُ دَلَالَةِ (سبْعَة) الْعَدَدِيَّةِ بِمَا فَوْقَ الستَّةِ بِوَاحِدٍ مُتَأَخِّرًا نِسْبِيًّا، وَأَنَّ اللفْظَ قَدْ يُسْتَعْمَلُ وَيُقْصَدُ بِهِ الدلَالَةُ الْعَدَدِيَّةُ المحَدَّدَةُ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ وَيُقْصَدُ بِهِ مُجَرَّدُ التضْعِيفِ وَالتكْثِيرِ. وَعَلَىٰ هَـٰذَا الاسْتِعْمَالِ الْأَخِيرِ يَجُوزُ أَنْ يُقْصَدَ بِنُزُولِ الْقُرْآنِ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ مُجَرَّد التضْعِيفِ وَالتكْثِير لِلْأَحْرُفِ الَّتِي أُنْزِلَ بِهَا الْقُرْآنُ. وَقَدْ قِيلَ بِذَلِكَ، أَيْ بِأَنَّ المرَادَ بِالسبْعَةِ فِي هَـٰذَا الحَدِيثِ لَيْسَ حَقِيقَةَ الْعَدَدِ، بَلِ المرَادُ التيْسِيرُ وَالتسْهِيلُ والسعَةُ[2]. وَرُدَّ عَلَىٰ ذَلِكَ الْقَوْلِ بِأَحَادِيثَ صَحِيحَةٍ ظَاهِرُهَا الْوُقُوفُ عِنْدَ

---

(١)انظر تفسير الطبري (شاكر) ١٤/ ٣٩٥- ٣٩٧ تفسير الآية ٨٠ من سورة التوبة حيث أورد أن رسول الله ﷺ قال- لما نزلت- استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّـهُ لَهُمْ﴾. [التوبة: ٨٠]: «لأزيدن علىٰ السبعين»، ورواية أخرىٰ أنه قال «قد خيّرني ربي فلأزيدنهم علىٰ السبعين». وهـٰذا يعني أن السبعين هنا مقصودة بحدها المعين. والوجه: أن الرسول ﷺ أخذ بظاهر اللفظ، دون المعنىٰ الكنائي الذي ذكره الأزهري فهـٰذا هو الأصل، وهـٰذه هي دَلالة المنطوق، ومن حق التعبير الكنائي أن يستعمل في حقيقته. وقد أخذ النبي ﷺ بذلك استقصاء لمظنة الرحمة ، فقد أرسله الله رحمة للعالمين، ولعل هـٰذا يؤلف ويجذب من تردد عن قبول الدعوة لعصبية أو غياب فطنة. هـٰذا اجتهادي (وينظر البحر ٥/ ٧٧- ٨٠، والتحرير والتنوير جزء ١١/ ٢٧٦- ٢٧٩) وذلك كله بفرض صحة الحديثين.

(٢) الإتقان (أبو الفضل) ١/ ١٦٤ وانظر أيضاً مقدمتان فى علوم القرآن ٢٠٩ حيث نظر لذلك بقوله ﷺ «خمس لا يعلمها إلا الله» حيث لا يجب من ذلك أن يكون ما يختص علمه بالله سبحانه مقصورا علىٰ الخمس.

الْعَدَدِ المحَدَّدِ (بِمَا فَوْقَ السِّتَّةِ بِوَاحِدٍ)، مِنهَا قَوْلُهُ ﷺ :«أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَىٰ حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»[1]. لَكِنَّ الْعِبَارَةَ هُنَا لَيْسَتْ حَاسِمَةً تَمَامًا فِي الْوُقُوفِ عِنْدَ السبْعَةِ المحَدَّدَةِ، لِأَنَّ «انْتَهَىٰ» هُنَا يُمكِنُ أَنْ تُفْهَمَ بِأَنَّهُ بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ وَوَقَف. فَلَا تَصْرِيحَ بِمَنْعِ الزيَادَةِ عَلَىٰ السبْعَةِ، فِي حِينَ أَنَّ هُنَاكَ رِوَايَةً أَخْرَجَهَا النسَائِيُّ: «أَنَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ أَتَيَانِي فَقَعَدَ جِبْرِيلُ عَنْ يَمِينِي وَمِيكَائِيلُ عَنْ يَسَارِي.. فَقَالَ جِبْرِيلُ: اقْرَأ الْقُرْآنَ عَلَىٰ حَرْفٍ. فَقَالَ مِيكَائِيلُ: اسْتَزِدْهُ.. حَتَّىٰ بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ » وَفِي حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ زِيَادَةٌ مَفَادُهَا أَنَّهُ لما بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ قَالَ ﷺ «فَنَظَرْتُ إِلَىٰ مِيكَائِيلَ، فَسَكَتَ، فَعَلِمتُ أَنَّه قَدِ انْتَهَتِ الْعِدَّةِ» [2]. فَهَـٰذِهِ الزيَادَةُ الْأَخِيرَةُ هِيَ الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ إِرَادَةِ حَقِيقَةِ الْعَدَدِ وَانْحِصَارِهِ، لِأَنَّهَا تَنْسِبُ الْعِلْمَ بِانْتِهَاءِ الْعِدَّةِ عِنْدَ السبْعَةِ المحَدَّدَةِ ـ إِلَىٰ النبيِّ ﷺ. وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَجِدْ حَدِيثَ النسَائِيِّ هَـٰذَا فِي الجَامِعِ الْكَبِيرِ. فَإِذَا تجَاوَزْنَا عَنْ عِبَارَةِ :«فَعَلِمْت أَنَّهُ قَدِ انْتَهَتِ العِدَّةُ» [3] بَقِيَتْ دَلَالَةُ السبْعَةِ عَلَىٰ مُجَرَّدِ التكْثِيرِ مَفْتُوحَةً. وَحِينَئِذٍ فَهِي تحْتَمِلُ الْعَدَدَ المحَدَّدَ، كَمَا تَحْتَمِلُ الزيَادَةَ عَلَيْهِ. وَقَدْ جَاءَ فِي عِبَارَةٍ لَسَيِّدِنَا عَلِيٍّ: نَزَلَ (الْقُرْآنُ) عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، وَعَلَىٰ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَعَلَىٰ أَكْثَرَ مِنْ

---

(١) الجامع الصحيح للبخاري (عناية محمد زهير بن ناصر) ٦/ ١٨٤ برقم ٤٩٩١، وهو أيضاً فى صحيح مسلم (بشرح النووي) تح. الشيخ خليل مأمون شيحا مج٥-٦ برقم ١٨٩٩.

(٢) الإتقان (أبو الفضل) ١/ ١٦٥. وفى العلمية ١/ ٤٦ بعد سبعة أحرف: وفى حديث أبي بكرة اقرأه، فنظرت إلخ. ولعل الأصل«اقرأه علىٰ سبعة أحرف، فنظرت إلىٰ ميكائيل فسكت إلخ. وهذه الزيادة »فنظرت إلىٰ ميكائيل إلخ مذكورة في الموسوعة الشاملة في نحو عشرين كتاباً من أهمها: (الإتقان) للسيوطي، و(الأحرف السبعة) و(جامع البيان) للداني و(النشر) لابن الجزري، و(شرح الزرقاني) علىٰ الموطأ وعلىٰ المواهب اللدنية. وانظر ص ٦ ، ٧ من كتابنا هـٰذا .

(٣) ورد حديث الملكين والاستزادة فى ست روايات فى الطبري بأرقام ٢١، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٤٧، ٥٥ دون أن تذكر عبارة «فعلمت أنه قد انتهت العدة» في أي من تلك الروايات ولا في سائر البضع والأربعين رواية التي أوردها الطبري فثبوت هذه العبارة يقبل المناقشة.

بِضْعَةٍ وَعِشْرِينَ حَرْفًا إِذَا كَانَ جَائِزًا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ[1]. وَتَحْتَمِلُ السبْعَةُ أَيْضًا عِنْدَ دَلَالَتِهَا عَلَىٰ التكْثِيرِ أَنْ تَقِلَّ الْأَحْرُفُ عَنِ السبْعَةِ المحَدَّدَةِ إِلَىٰ أَدْنَىٰ مَا يُعَدُّ كَثْرَةً فِي عُرْفِ الْعَرَبِ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ أَدْنَىٰ دَلَالَةٍ لجَمْعِ الْقِلَّةِ هِيَ الدَّلَالَةُ عَلَىٰ ثَلَاثَةٍ[2]. وَقَدْ قِيلَ بِنُزُول الْقُرْآنِ عَلَىٰ خَمْسَةِ أَحْرُفٍ[3]، كَمَا وَرَدَ أَنَّ مِنَ التابِعِينَ مَنْ كَانَ يَقْرَأُ بِخَمْسَةِ أَحْرُفٍ وَبِثَلَاثَةٍ وَبِحَرْفَيْنِ[4].

وَالخُلَاصَةُ أَنَّ مِمَّا يُسْتَيْقَنُ بِهِ أَنَّ لَفْظَ السبْعَةِ قَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي مَعْنَىٰ التضْعِيفِ والتكْثِيرِ دُونَ الْوُقُوفِ عِنْدَ الْعَدَدِ المحَدَّدِ عُرْفًا، وَمِمَّا يُسْتَيْقَنُ بِهِ كَذَلِكَ أَنَّ هَـٰذَا المعْنَىٰ لِلسبْعَةِ جَائِزُ الاسْتِعْمَالِ فِي حَدِيثِ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ هَـٰذَا.

❁❁❁

---

(١) مقدمتان في علوم القرآن ٢١٥ وأيضاً ص٢٠٩ حيث أورد قولا للإمام محمد بن كرام أن فى القرآن ناسخاً ومنسوخا ومحكما ومتشابها و... علىٰ ثلاثة عشر حرفاً. وفي نفس الصفحة تصريح مكرر بإمكان الزيادة علىٰ سبعة، وفي الإتقان (أبو الفضل) ١/ ١٦٥ أن في كلمات القرآن ما قرئ علىٰ أكثر من سبعة أوجه.

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ٥/ ٩.

(٣) حديث لابن مسعود فى (مقدمتان فى علوم القرآن ٢٠٨). وهو فى تفسير الطبري (شاكر) ١/ ٦٩ برقم ٧٠ وهو موقوف علىٰ ابن مسعود، وقال الشيخ شاكر إنه في (فضائل القرآن) لابن كثير برقم ٦٦.

(٤) في تفسير الطبري١/ ٥٣. أن مجاهداً كان يقرأ علىٰ خمسة أحرف وأن سعيد ابن جبير كان يقرأ علىٰ حرفين، وأن يزيد بن الوليد كان يقرأ علىٰ ثلاثة أحرف.

# الفَصْلُ الرَّابِعُ

# معَاني الحرف

نُبيِّنُ أَوَّلاً جِنسَ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ الَّتِي جاءَتْ في الحَدِيثِ الَّذِي هُوَ مَوْضِعُ دِرَاسَتِنَا هَـٰذِهِ ؛ لِأَنَّ هُنَاكَ مَنْ فَسَّرَ الْأَحْرُفَ بِالمعَانِي :( أَمْر ، وَنهي ، ..إلَخ ) ؛ وَهُنَاكَ تَفْسِيرٌ لَها بِالْأَبْوَابِ أَيْضًا . وَبَعْدَ بَيَانِ جِنْسِ الْأَحْرُفِ نُبيِّنُ المرَادَ بِهَا .

## أَوَّلًا: جِنْسُ الْأَحْرُفِ:

بِمُرَاجَعَةِ الروَايَاتِ الَّتِي أَوْرَدَهَا الطبريُّ نَجِدُ أَنَّ مَا ذُكِرَ فِيهِ طَبِيعَةُ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ وَهُوَ زُهَاءُ ثَلَاثِينَ رِوَايَةً ينصُّ صَرَاحَةً أَوْ ضِمْنًا عَلَىٰ أَنَّهَا (قِرَاءَة) أي تِلَاوة، وَبَعْضُهَا يَذْكُرُ أَمْثِلَةً مِثْل: «عليم حكيم/ غفور رحيم»[1]. أو «كقولك «هلم» و«تعال»»[2]. وَالْبَاقِي لَا يَذْكُرُ أَمْثِلَةً، وَلَكِنَّهُ يَنُصُّ عَلَىٰ أَنَّ الْأَحْرُفَ السبْعَةَ مِنْ جِنْسِ (الْقِرَاءَةِ) مِثل (اقْرَءُوا) كَمَا عُلِّمْتُمْ[3]. (اقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ، اقْرَءُوا وَلَا حَرَجَ)[4]. (قَرَأَ) هِشَامٌ ثُمَّ (قَرَأَ) عُمَرُ فقَالَ الرسُولُ ﷺ لِكُلٍّ مِنهُمَا: هَكَذَا أُنزِلَتْ[5]. (قَرَأَ) رَجُلٌ عِنْدَ عُمَرَ فَغَيَّرَ عَلَيْهِ[6]. (اقرأ) عَلَىٰ حَرْفٍ. (أَقْرَأَنِي) جِبْرِيلُ عَلَىٰ حَرْفٍ[1]، فَمَنْ (قَرَأَ) مِنْهَا حَرْفًا فَهُوَ كَمَا

---

(١) الأثر رقم ٨ في تفسير الطبري.

(٢) الأثر رقم ٤٠ في تفسير الطبري.

(٣) الآثار رقم ١٢، ١٣، ٤٨. في تفسير الطبري (شاكر).

(٤) الآثار رقم ١٥، ٤٥.

(٥) الأثر رقم ١٥ (في تفسير الطبري/ شاكر).

(٦) الأثر رقم ١٦ (في تفسير الطبري/ شاكر).

(قَرَأَ)[2]، إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ (تُقْرِئَ)[3] أُمَّتَكَ. وَتَكَادُ كُلُّ أَحَادِيثِ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ تَذْكُرُ لَفْظًا مِنْ تَرْكِيبِ (قَرَأَ).

وَكُلُّ هَـٰذَا يَقْطَعُ أَنَّ الْأَحْرُفَ السبْعَةَ هِيَ مِنْ جِنْسِ (الْقِرَاءَةِ) أي التلفُّظِ بِالْكَلَامِ، سَوَاءٌ كَانَ هَـٰذَا بِنُطْقِ كَلِمَةٍ بَدَلًا مِنْ كَلِمَةٍ أُخْرَى، أَوْ بِنُطْقِ الْكَلِمَةِ عَلَىٰ هَيْأَةٍ أَوْ وَجْهٍ مُخَالِفٍ لِنُطْقٍ آخَرَ لِلْكَلِمَةِ نَفْسِهَا. وَسَنُعَالِجُ هَـٰذِهِ النقْطَةُ قَرِيبًا. وَلَكِنَّ الْيَقِينَ الَّذِي نَخْرُجُ بِهِ هُنَا- وَهُوَ الْيَقِينُ الخَامِسُ: أَنَّ مَسْأَلَةَ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ هِيَ مَسْأَلَةُ (قِرَاءَة) أي نُطْق أَلْفَاظٍ، وَلَيْسَتْ مَسْأَلَةَ أَنْوَاعٍ مِنْ صُوَرِ الاسْتِعْمَالِ اللغَوِيِّ لِلْأَلْفَاظِ وَالْأَسَالِيبِ كَالتذْكِيرِ وَالتأْنِيثِ وَالحَذْفِ وَالذكْرِ إِلخ. (كَمَا هُوَ الحَالُ فِي المجْمُوعَةِ الرابِعَةِ مِنْ مجْمُوعَاتِ الْآرَاءِ الَّتِي فَسَّرَتِ الحَدِيثَ)[4]، كَمَا أَنَّهَا لَيْسَتَ مَسْأَلَةَ أَصْنَافٍ مِنَ التَّعَالِيمِ (حَلَال وَحَرَام وَبِشَارَة وَنِذَارة..) كَمَا هُوَ الحَالُ فِي المجْمُوعَةِ الخَامِسَة)[5]. فَهَـٰذَا الْيَقِينُ يُخْرِجُ مِنْ سَاحَةِ مَعَانِي حَدِيثِ الْأَحْرُفِ تَيْنِكَ المجْمُوعَتَيْنِ الرابِعَةَ والخَامِسَةَ، كَمَا يُخْرِجُ المجْمُوعَةَ السادِسَةُ الَّتِي هِي خَلِيطٌ مِنْهُمَا، وَإِنْ كُنَّا قَدْ وَجَدْنَا لمجْمُوعَةِ التعَالِيم حَدِيثًا آخَرَ تَدْخُلُ فِيهِ (وَهُوَ حَدِيثُ الْأَبْوَابِ)، وَلَكِنَّهَا مُتَمَيِّزَةٌ عَنِ المرَادِ بِحَدِيثِنَا هَـٰذَا.

## ثَانِيًا : مَعَانِي كَلِمَةِ «حَرْف» :

### ١ـ الطرف والجانب :

جَاءَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ: «حَرْفَا الرأْسِ شِقَّاهُ. وَحَرْفُ السفِينَةِ وَالجَبَلِ جَانِبُهُمَا.

---

(١) الآثار رقم ١٩، ٢١، ٢٢ وانظر الأثر رقم ٢٥ وهو مكرر إلىٰ ٣٩ ماعدا ٢٨، ٢٩.

(٢) الأثر رقم ٣٤.

(٣) الأثر رقم ٤٦.

(٤) ينظر الفصل الثالث والفصل الرابع من الباب الأول من كتابنا هٰذا.

(٥) ينظر ما ذكر في التعليق السابق.

وَالحَرْفُ فِي الْأَصْلِ الطرَفُ والجَانِبُ»[1]. أَي أَنَّ لَفْظَ الحَرْفِ يَصْدُقُ حِسِّيًّا عَلَىٰ الجَانِبِ الحَادِّ أَوِ الشَّدِيدِ مِنَ الشيْءِ كَجَانِبِ الجَبَلِ وَالرأْسِ وَالسيْفِ. (وَبِهـٰذَا المعْنَىٰ يُمْكِنُ أَنْ يُسَمَّىٰ نَاحِيَةً، ثُمَّ مِنْهُ قَدْ يُسَمَّىٰ وَجْهًا إِلَّا أَنَّهُ الْوَجْهُ الجَانِبِيُّ غَيْرُ الْوَجْهِ الرئِيسي المبَاشِرِ).

وَمِنْ ذَاكَ وَصْفُهُمْ لِلناقَةِ الضَامِرَةِ (غَيْرِ المسْتَرْخِيَةِ الْبَطْنِ) بِأَنَّهَا حَرفٌ، كَأَنَّهَا شِقٌّ أَوْ حَافَةٌ صُلْبَةٌ. وَمِنْ هُنَا يُقَالُ انْحَرَفَ عَنِ الشيءِ أَي مَالَ كَأَنَّهُ عَدَلَ إِلَىٰ جَانِبٍ مِنْهُ. وَهـٰذَا بِمَعُونَةِ «عَنْ». وَمِنْ هـٰذَا فُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّـهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾[2] بِأَنَّهُ يَعْبُدُ عَلَىٰ وَجْهٍ وَاحِدٍ/ عَلَىٰ السرَّاءِ دُونَ الضرَّاءِ.

وَمِمَّا يُصَدِّقُ اسْتِعْمَالَ «الحَرْفِ» للطرَفِ المحَدَّدِ للشيْءِ: قَوْلُ الجَوْهَرِيِّ: «حَرْفُ كُلِّ شَيْءٍ طَرَفُهُ وَشَفِيرُهُ وَحَدُّهُ، وَمِنْهُ حَرْفُ الجَبَلِ وَهُوَ أَعْلَاهُ الُمحَدَّدُ». وَبِهِ فُسِّرَتِ الآيَةُ السابِقَةُ أَيْضًا بِمَعْنَىٰ الْعِبَادَةِ عَلَىٰ شَكٍّ وَاضْطِرَابٍ كَالْقَائِمِ عَلَىٰ حَرْفٍ[3].

## ٢ـ الْكَلِمَةُ:

جَاءَ فِي اللسَانِ: «وَكُلُّ كَلِمَةٍ تُقْرَأُ عَلَىٰ الْوُجُوهِ مِنَ الْقُرْآنِ تُسَمَّىٰ حَرْفًا. تَقُولُ هـٰذَا فِي حَرْفِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَيْ فِي قِرَاءَتِهِ»[4]. وَقَدْ يُفْهَمُ مِنْ هـٰذَا التعْبِيرِ الْأَخِيرِ اسْتِعْمَالُ لَفْظِ حَرْفٍ للدلَالَةِ عَلَىٰ الْكَلِمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي لَهَا وُجُوهٌ فَقَطْ. وَلَكِنَّ تَتَبُّعَ الاسْتِعْمَالَاتِ الْوَارِدَةِ يَقْطَعُ بِأَنَّ هـٰذَا اسْتِعْمَالٌ مُطْلَقٌ أَي فِي مُطْلَقِ الْكَلِمَةِ، سَوَاءَ أَكَانَتْ ذَاتَ وُجُوهٍ أَمْ لَا. وَذَلِكَ أَخْذًا مِنَ الحَرْفِ الجَانِبِ أَوِ الطرَفِ ؛ لِأَنَّ الْكَلِمَةَ طَرَفٌ أي قِطْعَةٌ أَوْ جُزْءٌ مِنَ

---

(١) ل حرف مصدر عن بولاق ١٠/ ٣٨٦ سطر ١٦، ٥.

(٢) س الحج ١٢.

(٣) تفسير القرطبي ١٢/ ١٧ بتصرف يسير.

(٤) ل ١٠/ ٣٨٥.

الْعِبَارَاتِ التامَّةِ الَّتِي يَتَفَاهَمُ بِهَا الناسُ.

٣ـ وَبِهَـٰذَا الْمَلْحَظِ عَيْنِهِ سُمِّيَ الحَرْفُ الَّذِي هُوَ قَسِيمُ الاسْمِ وَالْفِعْلِ.

٤ـ ثُمَّ لمعْنَىٰ الجُزْئِيَّةِ أَوِ الطرَفِيَّةِ الَّذِي فِي دَلَالَةِ التَرْكِيبِ، اسْتُعْمِلَ الحَرْفُ فِي (حَرْفِ) الهِجَاءِ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدَانَ النحْوِيُّ(ت ٢٣١هـ): «الْعَرَبُ تُسَمِّي الْكَلِمَةَ المنْظُومَةَ حَرْفًا، وَتُسَمِّي الْقَصِيدَةَ بِأَسْرِهَا كَلِمَةً، وَالحَرْفُ يَقَعُ عَلَىٰ الحَرْفِ المَقْطُوعِ مِنَ الحُرُوفِ المعْجَمَةِ، وَالحَرْفُ أَيْضًا المعْنَىٰ وَالجِهَةُ...»[1]، وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ (٢٧٦هـ): «الحَرْفُ يَقَعُ عَلَىٰ المثَالِ المقْطُوعِ مِنْ حُرُوفِ المعْجَمِ، وَعَلَىٰ الْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ»[2].

بَلْ إِنَّنِي أَرَىٰ أَنَّ دَلَالَةَ الحَرْفِ عَلَىٰ (الْكَلِمَةِ) آصَلُ مِنْ دَلَالَتِهِ عَلَىٰ (أَحَدِ حُرُوفِ الهِجَاءِ)، فَقَدْ جَاءَ فِي الحَدِيثِ الصحِيحِ «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ الله فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ «الم» (أَلِفْ لَام مِيم) حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفْ حَرْفٌ، وَلَامْ حَرْفٌ، وَمِيمْ حَرْفٌ»[3]. فَحِرْصُهُ ﷺ عَلَىٰ نَفْيِ أَنَّهُ يَقْصِدُ أَنَّ «الم» كُلَّهَا حَرْفٌ- هَـٰذَا الحِرْصُ عَلَىٰ النفْيِ يَعْنِي أَنَّ ذَلِكَ المنْفِيَّ هُوَ المتَبَادِرُ إِلَىٰ الذهْنِ بِمُجَرَّدِ سَمَاعِ اللفْظِ. وَقَدْ قَرَّرَ اللغَوِيُّونَ أَنَّ مِنْ عَلَامَاتِ الحَقِيقَةِ (أَي كَوْنِ مَعْنَىٰ كَلِمَةٍ مَا هُوَ المعْنَىٰ الحَقِيقِي المقَابِلُ لِلْمَجَازِيِّ) تبادُر الذهْن إِلَىٰ فَهْمِ المعْنَىٰ[4]. أي أَنَّ المعْنَىٰ المتَبادر إِلَىٰ الذهْنِ لَدَىٰ سَمَاعِ

---

(١) ينظر: (المرشد الوجيز) لأبي شامة ص٩٣.

(٢) ينظر: (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة ص٣٥. وكلمة (الكلمة) فى نص ابن قتيبة مكتوبة (الجملة). والمراجعة تبين صحة ما أثبتناه.

(٣) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وقد روى موقوفاً. (تفسير القرطبي ١/ ٧).

(٤) المزهر ١/ ٣٦٣.

اللفظِ أَوْ قِراءته هُوَ المعْنَىٰ الحَقِيقِيُّ لَهُ. وَعِبَارَةُ الْأُصُولِيِّينَ «أَنَّ السابِقَ إِلَىٰ الْفَهْمِ هُوَ المدْلُولُ المطَابِقِي»[1]. وَحَصِيلَةُ الْعِبَارَتَيْنِ وَاحِدَةٌ. وَيَخْلُص لنَا مِنْ ذَلِكَ أَنَّ اسْتِعْمَالَ لَفْظِ «حَرْف» فِي حَقْلِ اللغةِ يُقْصَدُ بِهِ أَصْلًا الْكَلِمَةَ، لَا جُزْؤُهَا الهِجَائِيُّ. وَرُبَّمَا يُقَوِّي هَـٰذَا أَنَّ الْكِتَابَةَ لَمْ تَكُنْ شَائِعَةً عِنْدَ الْعَرَبِ، فَيَشِيعَ اسْتِعْمَالُ لَفْظِ حَرْفٍ فِي الهِجَاءِ. وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ أيضا أي لِكَوْنِ المعْنَىٰ الْأَصْلِيِّ «للحرف» فِي حَقْلِ اللغة هُوَ الْكَلِمَةُ أَنَّ لَفْظَ حَرْفٍ مُسْتَعْمَلٌ بِمَعْنَىٰ كَلِمَةٍ مُنْذُ عَصْرِ النبُوَّةِ- وَهُوَ ثَانِي[2] عُصُورِ الْعَرَبِيَّةِ الناضِجَةِ الَّتِي وَصَلَتْنَا، وَظَلَّ مُتَدَاوَلًا بِهَـٰذَا المعْنَىٰ بِكَثْرَةٍ بَالِغَةٍ قُرُونًا مُتطَاوِلَةً. فَمِمَّا يُعَدُّ مِنْ صَرِيحِ اسْتِعْمَالِ «الحَرْفِ» بِمَعْنَىٰ «الْكَلِمَةِ» قَوْلُ أُمِّ المؤْمِنِينَ (أُمِّ سَلَمَةَ) (ت٦٢هـ) رضى الله عنها في وَصْفِ قِرَاءَةِ الرسولِ ﷺ «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقْرَأُ قِرَاءَةً مُفَسَّرَةً حَرْفًا حَرْفًا»[3] فَهَـٰذَا كَوَصْفِ كَلَامِهِ ﷺ بِأَنَّهُ فِيهِ تَرْتِيلٌ وَتَرْسِيلٌ، وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ كَلَامًا «لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لَأَحْصَاهُ»[4] فَهَـٰذَا كُلُّهُ في وَصْفِ الْكَلِمَاتِ وَلَا شَكَّ، وَالْقِرَاءَةُ المفَصَّلَةُ حَرْفًا حَرْفًا مَعْنَاهَا المفَصَّلَةُ كَلِمَةً كَلِمَةً، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ الحَرْفُ الَّذِي هُوَ جُزْءُ الْكَلِمَةِ، فَذَلِكَ لَا يَتَأَتَّىٰ فِي الْكَلَامِ المعْتَادِ (إِلَّا عَلَىٰ سَبِيلِ الهِجَاءِ)، كَمَا أَنَّهُ يَنْفِي وُقُوعَ الْإِدْغَامِ- وَلَا قَائِلَ بِهِ. وَاسْتَعْمَلَتْ أُمُّ المؤْمِنِينَ السيِّدَةُ عَائِشَةُ (ت٥٨هـ) رضى الله عنها عِبَارَةَ «ثَلَاثَةُ أَحْرُفٍ فِي كِتَابِ الله هُنَّ خَطَأٌ مِنَ الْكَاتِبِ. تَقْصِدُ ﴿هَـٰذَانِ﴾. في [طه :٦٣]، و﴿الصَّابِئُونَ﴾. في

---

(١) انظر كشاف اصطلاحات الفنون ٢/ ٢٩١.

(٢)أي بعد العصر الجاهلي ، وبالنسبة للعصر الجاهلي راجعت فهارس الألفاظ في جوامع الشعر التي تحفل بالشعر الجاهلي أو تختص به كالسبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري والمفضليات للضبي وشرح الحماسة للمرزوقي والأصمعيات فلم أجد فيها لفظ حرف إلا بمعنى الناقة الضامر.

(٣) تفسير القرطبي ١/ ١٧.

(٤) التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول ٣/ ٢١١.

[المائدة: ٦٩]، و﴿الْـمُقِيمِينَ﴾. في [النساء :١٦٢] [١]. فَهَـٰذَا مِنِ اسْتِعْمَالِ الحَرْفِ بِمَعْنَىٰ الْكَلِمَةِ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ. وَهَـٰذِهِ الْكَلِمَاتُ جَارِيَةٌ عَلَىٰ مَذَاهِبَ في العربيَّةِ مِنَ اللهجَاتِ وَسُنَنِ الْعَرَبِ في كَلَامِهَا غَابَتْ عَنْ أُمِّنَا الْكَرِيمَةِ، لِأَنَّ اللغَةَ الْعَرَبِيَّةَ لَا يُحِيطُ بِهَا إلا نبيٌّ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ الشافِعِيُّ رضي الله عنه [٢]. وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ (٣٢هـ) في كَلَامِهِ عَنْ حَدِيثِ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ «وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ مِنَ الحَرْفَيْنِ يَنْهَي عَنْ شَيْءٍ يَأْمُرُ بِهِ الْآخَرُ كَانَ ذَٰلِكَ الاخْتِلَاف» [٣]. يَقْصِدُ الْكَلِمَتَيْنِ الَّلتَيْنِ قُرِئَ بِهِمَا.

وَمِنَ الاسْتِعْمَالَاتِ المبكِّرَةِ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا لَفْظُ «حرف» مُرَادًا بِهِ (الْكَلِمَة) مَا وَقَعَ في المحاورة بين أبي الأَسْوَدِ (٦٩هـ) وغلامه، حَيْثُ قَالَ غُلَامُهُ عَنِ المرأةِ الَّتِي تَزَوَّجَهَا أَبُوهُ «...فَحَظِيَتْ ورَضِيَتْ وَبَظِيَتْ» [٤]. فَقَالَ أبو الْأَسْوَدِ: «مَا بَظِيَتْ يَا بْنَ أخي؟ قَالَ الْغُلَامُ: حَرْفٌ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ لَمْ يبلغكَ»اهـ. يَعْنِي كَلِمَةً. وَاسْتَعْمَلَ سِيبَوَيْهِ (١٨٠هـ) لَفْظَ حَرْفٍ مُرَادًا بِهِ حَرْفَ الهِجَاءِ وَأَيْضًا الكلمة في جملة واحدة فقال «وَإِذَا كَانَتْ هَـٰذِهِ الحُرُوفُ المتَقَارِبَةُ في (حرف واحد) ولم يكن الحرفان منفصلين ازداد ثقلا واعتلالا» [٥] وهو يقصد بقوله «فِي حَرفٍ وَاحِدٍ» أن يقول «فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ». وَشَاعَ هَـٰذَا الاسْتِعْمَالُ جدًّا في كلام قطرب (٢٠٦هـ) [٦]، وقال الفراء (٢٠٧هـ): «مَرْحَبًا»

---

(١) ينظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تح. السيد صقر ط٢ ص٢٧- ٢٨.

(٢) ينظر كتاب المؤلف: (دفاع عن القرآن). و(الرسالة) للإمام الشافعي فقرة ١٣٨ (ط ٢ ص٤٢). وقد قال الطبري ، والأزهري إن لهجات العرب يعجز الفرد الواحد عن إحصائها ( ينظر تفسير الطبري ( تح . شاكر ١/ ٤٧ ) ، و( تهذيب اللغة (فخخ)) .

(٣) تفسير الطبري ١/ ٢٨.

(٤) مراتب النحويين لأبي الطيب ١٠.

(٥) الكتاب ٤/ ٤٦٧، وانظره في ٤/ ٢١٩.

(٦) انظر الأضداد لابن الأنباري ١٧٦، ١٨٢، ١٩٤، ٢١٢، ٣١٢، ٣٣٢.

وَ«أَهْلًا» وَ«سَهْلًا» حُرُوفٌ وُضِعَتْ في مَوْضِعِ المَصْدَرِ»[1]، وَاسْتَعْمَلَ أبو عمرو الشيبانيُّ (٢١٣هـ) كلمة «الحروف» مريدا (الكلمات)[2]. وقال الأصمعي (٢١٦هـ): «زَادَتِ الْعَرَبُ النونَ فِي أربعةِ أحرفٍ من الأسماء: رَعْشن، ضَيْفن، خَلْبَن، عَلْجَن...»[3]. وكذلك استعمل لفظ «حرف» بمعنىٰ «كلمة»: ابنُ الأعرابي[4] (٢١٦هـ)، واللحياني (٢٢٠هـ)[5]، وأبو عبيد (٢٢٤هـ)[6]، وابن قتيبة (٢٧٦هـ)[7]، والمبرد (٢٨٥هـ)[8]، والزجاج (٣١١هـ)[9]، وابن القاسم الأنباري (٣٢٨هـ)[10]، وابن جني (٣٩٢هـ)[11]، وأبو بكر الباقلاني (٤٠٣هـ)[12] والإمام القرطبي (٦١٠هـ)[13] إلىٰ ما لا يكاد يحصىٰ.

وَعَلىٰ ذَلِكَ فَالْأَحْرُفُ تُفَسَّرُ فِي الحَدِيثِ الشريف أول ما تفسر بالكلمات. فالمعنىٰ اللغويُّ للحديث يُسمَح فيه بأن يكون المرادُ بِالْأَحْرُفِ الْكَلِمَاتِ أي أن تُبَدَّلُ الكلمة

---

(١) الأضداد لابن الأنباري ٢٢٤.

(٢) مقدمة معجمه الجيم ٢٧، ٢٩، ٣٢ وغلاف مبادئ اللغة للإسكافي.

(٣) الإبدال لابن السكيت ٦١٠.

(٤) الأضداد لابن القاسم الأنباري ٦.

(٥) لسان العرب دنو ١٨/ ٢٩٩.

(٦) غريب الحديث لأبي عبيد ١/ ٦٥.

(٧) ينظر: تأويل مشكل القرآن له ص٣٨، ٥١، ٥٣، ٥٥، ٥٨، ٦٢ إلخ.

(٨) ما اتفق لفظه واختلف معناه له.

(٩) التكملة والذيل والصلة ١/ ٧.

(١٠) تشيع في كتابه الأضداد في اللغة.

(١١)الخصائص ٢/ ٢١.

(١٢)التمهيد ١٢٦.

(١٣) التذكار في أفضل الأذكار ١٩٢ وتفسير القرطبي : ٤/ ١٤.

بِأُخْرَىٰ إِلَىٰ سَبْعٍ، ويُوكَلُ القطع- أو الترجيح- (بِأَنّ المرَادَ كَانَ إِبَاحَةَ الْقِرَاءَةِ بالمرادف وشِبْهِ المرادف أي الكلمات المتقاربة المعاني - ثم نُسِخَت) إِلَىٰ شَوَاهِدَ أخرىٰ. كما يُسمَحُ فيه بأَنَ يَكُونَ المرادُ إبدالَ حَرْفٍ هِجَائِيٍّ بآخر علىٰ نحو ما يحُدُثُ في بعض اللهجات. ويسمح كذلك بالوجوه اللهجية وغيرها في القراءة. لكن القراءة حسب اللهجات لها مصدر مشروعية آخر، فهي مِنْ نَاحِيَةٍ- تَجْرِي حسب الأصل، أي أنَّ الْأَصْلَ أَنْ يقْرَأَ كلُّ عربيٍّ بلهجته»[1]، ثم إنه قيل إن النبي ﷺ أمر «أَنْ يُقْرِئَ كُلَّ قَوْمٍ بِلُغَتِهِمْ»[2]. وقد توقف الاطراد في هـٰذَا السبيل اللهجيِّ عِنْدَ أَئِمَّةِ الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرَةِ، أي تجمد علىٰ ما أخذوا به مَنْ هَـٰذِهِ اللهجَاتِ، وَلَمْ يَعُدْ مَسْمُوحًا بِإِضَافَةِ قِرَاءَاتٍ لهجِيَّةٍ جَدِيدَةٍ.

وَبَعْدُ، فَإِنَّ الْيَقِينَ الَّذِي نُقَرِّرُهُ هُنَا فِي سَبِيلِ الْوُصُولِ إِلَىٰ رَأْيٍ نِهَائِيٍّ فِي مَوْضُوعِ الْأَحْرُفِ السبعَةِ هُوَ أَنَّ لَفْظَ «حَرْف» يُطْلَقُ فِي اللغَةِ عَلَىٰ «الكلمة»، وَأَنَّ هَـٰذَا الاسْتِعْمَالَ كَانَ مُسْتَفِيضًا في كَلَامِ أهلِ اللغة وعُلَمَائِهَا كَمَا رَأَيْنَا. وَقَدْ بَرْهَنَّا عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ الاسْتِعْمَالَ كَانَ هُوَ الْأَصْل. أَمَّا اسْتِعْمَالُهُ بِمْعَنَىٰ أَحد (حُرُوفِ) الْأَلِفْبَائِيَّةِ فَقَدْ شَاعَ بِشُيُوعِ الْكِتَابَةِ. ثُمَّ إِنَّ تَمَامَ وُضُوحِ المرَادِ يَتَطَلَّبُ مَعْرِفَةَ الصورَةِ التطْبِيقِيَّةِ لِلْحَرْفِ فِي مجَالِ الْقِرَاءَاتِ هَـٰذا - حَسَب مَا جَرَىٰ عَلَيْهِ أَهْلُ التخَصُّصِ، وَهَـٰذَا مَا سَنَعْقِدُ لَهُ الْفَصْلَ الْأَوَّلَ مِنَ الْبَابِ الثالِثِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.

❊❊❊

(١) ينظر تأويل مشكل القرآن ٣٩-٤٠، والمرشد الوجيز ١٠٣، ١٢٧ قول قاسم بن ثابت «ولكل عمارة لغة لغة ذَلَّتْ» إلخ.

(٢) ينظر تأويل المشكل ٣٩، والمرشد الوجيز ٩٦-٩٧.

# الفَصْلُ الخَامِسُ

## معنى عِبارَةِ : «عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو سُلَيْمَانَ الخطابِيِّ (حمد بن محمد ت ٣٨٨هـ) وَهُوَ إِمَامٌ جَلِيلٌ فِي الحَدِيثِ الشرِيفِ وَاللغةِ. لَهُ شَرْحٌ لِلْبُخَارِي وَلِسُنَنِ أَبِي دَاودَ وَلَهُ غَرِيبُ الحُدِيثِ) وَهَـذَا النصُّ مِنْ شَرْحِهِ لِسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ: «وَذَكَر بَعْضُهُمْ وَجْهًا آخَرَ (يَعْنِي فِي مَعْنَىٰ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ) .وَهُوَ أَنَّ الْقُرْآنَ أُنزِلَ مُرَخَّصًا لِلْقَارِئِ، وَمُوَسَّعًا عَلَيْهِ، أَنْ يَقْرَأَهُ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، أي يَقْرَأُ بِأيِّ حَرْفٍ شَاءَ مِنْهَا عَلَى الْبَدَلِ مِنْ صَاحِبِهِ، وَلَوْ أَرَادَ أَنْ يَقْرَأَ عَلَىٰ مَعْنَىٰ مَا قَالَهُ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ (ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ قَالَ إِنَّ هُنَاكَ حُرُوفًا تُقْرَأُ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ مِنْهَا ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوت﴾. [المائدة :٦٠] كَأَنَّهُ يَرَىٰ ضَرُورَةَ أَنْ تُقْرَأَ عَلَىٰ الْأَوْجُهِ السبْعَةِ كُلِّهَا) لَقِيلَ «أُنزِلَ الْقُرْآنُ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ». وَإِنَّمَا قِيلَ :«عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ» لِيُعْلَمَ أَنَّهُ أُرِيدَ بِهِ هَـٰذَا المعْنَىٰ، أَي كَأَنَّهُ أُنزِلَ عَلَىٰ هَـٰذَا مِنَ الشرْطِ، أَوْ عَلَىٰ هَـٰذَا مِنَ الرخْصَةِ وَالتوْسِعَةِ، وَذَلِكَ لِتَسْهُلَ قِرَاءَتُهُ عَلَىٰ الناسِ، وَلَوْ أُخِذُوا بِأَنْ يَقْرَءُوهُ عَلَىٰ حَرْفٍ وَاحِدٍ لَشَقَّ عَلَيْهِمْ، وَلَكَانَ ذَلِكَ دَاعِيَةً إِلَىٰ الزَّهَادَةِ فِيهِ، وَسَبَبًا لِلنُّفُورِ عَنْهُ»[1].

وَأَنَا أُرَجِّحُ أَنَّ صَاحِبَ هَـٰذَا التأْوِيلِ لِعِبَارَةِ «عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ» هُوَ الخطابِيُّ نَفْسُهُ، وَنَسَبَهَا إِلَىٰ بَعْضِهِمْ تَوَاضُعًا، وَلِإِتَاحَةِ تَقْوِيمِ الرأيِ في ذَاتِهِ بَعِيدًا عَنْ قَائِلِه. كَمَا أَنِّي أَرَىٰ أَنَّ تَأْوِيلَ شِبْهِ الجُمْلَةِ «عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ» بِأَنَّهُ حَالٌ بِمَعْنَىٰ مَوَسَّعًا وَمُرَخَّصًا لِقَارِئِه بِذَلِكَ أَوْلَىٰ مِنْ تَأْوِيلِهِ بِشَرْطِ ذَلِكَ.

(١) معالم السنن للإمام الخطابي (خرج آياته إلخ عبد السلام عبد الشافي) ١/ ٢٥٤. وينظر المرشد الوجيز ٩٩.

فَالْخُلَاصَةُ أَنَّ الالْتِزَامَ بِكُلِّ السَّبْعَةِ حَسَب مَا فُهِمَ عَنِ ابْنِ الْأَنْبَارِيِّ غَيْرُ مَقْبُولٍ، وَأَنَّ الالْتِزَامَ بِحَرْفٍ بِعَيْنِهِ لَا مَا سِوَاهُ هُوَ الَّذِي جَاءَ حَدِيثُ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ لِلتَّخَفُّفِ مِنْهُ مُؤَقَّتًا تَيْسِيرًا عَلَىٰ الناسِ، بِأَنْ يَقْرَأَ مِنْ ذَهِلَ عَنْ كَلِمَةٍ قُرْآنِيَّةٍ بَدِيلًا عَنْهَا بِمَعْنَاهَا، وَكَانَ ذَلِكَ رُخْصَةً مُؤَقَّتَةً (إِلَىٰ أَنْ تَعَوَّدَ الناسُ الحِفْظَ بِالتَّكْرَارِ، فَانْتَهَتِ الرُّخْصَةُ)[1].

❊❊❊

(١) ينظر المرشد الوجيز، والقرآن محفوظ لأنه كُتِبَ فورَ نزوله وبإملاء النبي ﷺ ومن ذلك المكتوب بين يديه ﷺ جُمِع المصحف في عهد أبي بكر. ومن ذلك المصحف انتُسِخَتْ مصاحفُ في عهد عثمان، وُزِّعَتْ علىٰ أمصار الدولة الإسلامية أي عواصمها. ومن المصاحف العثمانية انتُسِخَت المصاحف التي بين أيدينا.

# الفَصْلُ السَّادِسُ

## «سَبَبُ صُدورِ هذَا الحدِيثِ الشَّرِيفِ»

فَإِذَا رَجعْنَا إِلَىٰ تِلْكَ الروايَاتِ نَلْتَمِسُ مَا قَدْ يَكُونُ سَببًا لِإجَازَةِ الْقِرَاءَةِ عَلَىٰ أَحْرُفٍ سَبْعَةٍ وَجَدْنَا حَدِيثًا نَصُّهُ: «لَقِيَ رَسُول الله ﷺ جِبْرِيلَ عِنْدَ أَحْجَارِ المراء فَقَالَ (أي الرَّسُولُ ﷺ) «إِنِّي بُعِثْتُ إِلَىٰ أُمَّةٍ أُمِّيِّينَ مِنْهُمُ الْغُلَامُ وَالخَادِمُ وَالشيْخُ الْعاسي وَالْعَجُوزُ. فَقَالَ جِبْرِيلُ فَلْيَقْرَءُوا الْقُرْآنَ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»[1] وَرِوَايَةٌ أُخْرَىٰ تَقُولُ: «يَا أُبَيُّ: أُرْسِلَ إِلَيَّ أَنِ اقرأ الْقُرْآنَ عَلَىٰ حَرْفٍ، فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَىٰ أُمَّتِي. فَرَدَّ عَلَيَّ فِي الثانِيَةِ أَنِ اقْرَأ الْقُرْآنَ عَلَىٰ حَرْفٍ. فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ أَن هَوِّنْ عَلَىٰ أُمَّتِي. فَرَدَّ عَلَيَّ فِي الثالِثَةِ أَنِ اقْرَأْهُ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»[2]. وَفِي روايةٍ ثالثةٍ: «إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَن أقرأ القرآنَ عَلَىٰ حَرْفٍ. فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي»[3]. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ: «رَبِّ خَفِّفْ عَنِّي، رَبِّ خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي»[4]. وَفِي رِوَايَةٍ: «أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَه وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ»[5]. وَفِي رِوَايَةٍ خَامِسَةٍ: «إِنَّ أُمَّتِي لا تَسْتَطِيعُ[6] ..» وَتَكْمِلَةُ الرِوايَةِ ـ الَّتِي سَمَّيْتُهَا هُنَا الثالثةَ ـ: «قَالَ اقْرَأْهُ عَلَىٰ حَرْفَيْنِ. فَأَمَرَنِي أَن اقرَأَهُ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ مِنَ الجَنَّةِ كُلُّها شَافٍ كَافٍ» وَأَخِيرًا هُنَاكَ رِوَايَةٌ عَنْ أُبَيٍّ أَنَّ جِبْرِيلَ قَالَ للنبي ـ عَلَيْهِمَا الصلاةُ وَالسلامُ ـ: «إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ

---

(١) الطبري ١/ ٣٥ (حديث صحيح).

(٢) الطبري ١/ ٣٦ (حديث صحيح).

(٣) نفسه ١/ ٣٧ (حديث صحيح).

(٤) نفسه ١/ ٤١ (حديث صحيح).

(٥) نفسه ١/ ٤٠ (ممن أخرجه مسلم).

(٦) نفسه ١/ ٣٨ (صحيح).

أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ حَرْفٍ وَاحِدٍ. قَالَ (أُبيٌّ) فَقَالَ (النبيُّ ﷺ) أَسْأَلُ اللهَ مَغْفِرَتَهُ وَمُعَافَاتَه. سَلِ اللهَ لهمُ التخْفِيفَ، فَإِنَّهُمْ لَا يطيقُونَ ذَلِكَ. فَانطَلَقَ ثُمَّ رَجَعَ فقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرَكَ أن تُقْرِئَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ حَرْفَيْنِ». قَالَ: أسأَلُ اللهَ مَغْفِرَتَهُ وَمُعَافَاته إِنَّهُمْ لا يطيقُونَ ذَلِكَ؛ فَسَلِ اللهَ لهمُ التخفيفَ.. فَانطَلَقَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ ثلَاثَةِ أَحْرُفٍ». فَقَالَ: أسأَلُ اللهَ مغفرته ومعافاتَه إنهم لا يطيقون ذَلِكَ. سَلِ الله لهم التخفيفَ. فانطلق ثُمَّ رجَعَ، فقال: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ. فَمَنْ قَرَأَ مِنْهَا بِحَرْفٍ فَهُوَ كَمَا قَرَأَ»(١). وَهَـٰذِهِ الْأَحَادِيثُ كُلُّهَا صَحِيحَةُ الْإِسْنَادِ(٢).

فَالْيَقِينُ الَّذِي نَخْرُجُ بِهِ هُنَا هُوَ أَنَّ النُّزُولَ بِالْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ كَانَ تَخْفِيفًا وَتَيْسِيرًا وَتَوْسِعةً مِنَ اللَّـهِ ﷻ عَلَيْنَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ ،اسْتِجَابَةً لِتَضَرُّعِه ﷺ ؛لِأَنَّ الْأُمَّةَ لَا تطيقُ الْقِرَاءَةَ عَلَىٰ حَرْفٍ وَاحِدٍ أَي الالْتِزَام بِأَعْيَانِ الْحُرُوفِ أَي الْكَلِمَاتِ. فَهُمْ أُمَّةٌ (أ) أُمِّيَّةٌ لَا يَسْتَطِيعُونَ قِرَاءَةَ المكْتُوبِ، (ب) وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الحِفْظَ حَتَّىٰ لَوْ كَانُوا غَيْرَ أُمِّيِّينَ إِمَّا لِجَفَافِ أَذْهَانِهِمْ (الشيخ العاسي والعجوز)، وَإِمَّا لاشْتِغَالِهِم بِالخِدْمَةِ (الغلام والجارية)، وَإِمَّا لاشْتِغَالِهِمْ بِكَسْبِ مَعَاشِهِمْ، (جـ) مَعَ كَوْنِهِمْ «لَمْ يَعْتَادُوا الدرسَ والتَّكْرَار وَحِفْظ الشيء بِلَفْظِهِ. بَلْ هُمْ قَوْمٌ عَرَبٌ فُصَحَاءُ يُعَبِّرُونَ عَمَّا يَسْمَعُونَ بِاللفظِ الفصِيحِ»(٣).

أَمَّا وَجْهُ التيْسِيرِ وَصُورَتِهِ فَسَنَعْرِفُهَا بَعْدَ مَعْرِفَةِ (جِنْسِ) الْأَحْرُفِ السبْعَةِ.

❊ ❊ ❊

---

(١) الطبري ١/ ٤٦.

(٢) راجع تفسير الطبري (شاكر) في المواضع السبعة المشار إليها قبل.

(٣) ينظر المرشد الوجيز ٨٩.

# البَابُ الثَّالِث

# اسْتِخْلَاصُ المرَاد

## الفَصْلُ الأَوَّل

### «حدود معنى الحرف في القراءات»

عرفنا أَنَّ المعنىٰ الأَوَّلَ لِلْحَرْفِ فِي مجالِ اللغَةِ وَالكلام هُوَ الكَلِمَةُ.

وَعِنْدَ تَطْبِيقِ مَا تَوَصَّلْنَا إِلَيْهِ في معنىٰ الأحْرفِ السبعةِ يَبْدُو الْأَمْرُ وَاضِحًا عِنْدَمَا نَقْرَأُ كَلِمَةً بَدَلًا مِنْ كَلِمَةٍ كَقِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ «مَضوا فيه»، وَقِرَاءِةِ أُبيٍّ «مَرُّوا فيه»، قُرِئَتْ كِلْتَاهُمَا بَدَلًا مِنْ: ﴿مَشَوْا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٠] وَكَذَا مَا مَرَّ بِنَا كَثِيرًا مِنْ قِرَاءَةِ كَثِيرٍ مِنَ الصحَابَةِ كَلِمَاتٍ بَدَلًا مِنَ الْكَلِمَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ. لَكِنَّ التَّأَمُّلَ يُوَصِّلُ إِلَىٰ أَنَّ (الحرْفَ) يَشْمَلُ كُلَّ وَجْهٍ تَتَمَيَّزُ بِهِ الْكَلِمَةُ عَنِ الْوَجْهِ أَوِ الْوجوهِ الأخْرَىٰ. وَسَنَأْتِي هُنَا بِأَمْثِلَةٍ لِتَغْيراتٍ مُخْتَلِفَةِ الْأَنْوَاعِ تُعد الكلمة بِكُلٍّ مِنْهَا حَرْفًا مُتَمَيِّزًا.

يَقُولُ الْإِمَامُ ابْنُ الجزري إِنَّ الْإِمَامَ حَمْزَةَ الزيَّاتَ ـ وَهُوَ أَحَدُ أَئِمَّةِ الْقِرَاءَاتِ السبعة ـ قَرَأَ عَلَىٰ جَعْفَرٍ الصادِقِ (ت ١٤٨)هـ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَاقِرِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رضى الله عنهم ، فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: مَا قَرَأَ عَلَيَّ أَقْرَأُ مِنْكَ، وَلَسْتُ أُخَالِفُكَ فِي شَيْءٍ مِنْ حُرُوفِكَ إِلَّا فِي عَشَرَةِ أَحْرُفٍ فَإِنِّي لَسْتُ أَقْرَأُ بِهَا، وَهِي جَائِزَةٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ. وَهِي:

١- ﴿ وَاتَّقُوا اللَّـهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ [النساء: ٤] قَرَأَهَا جَعْفَرٌ «وَالْأَرْحَامَ» بِالنصبِ، وَحَمْزَةُ يَقْرَؤُهَا بِالجَرِّ. نَوْعُ الاخْتِلَافِ: (حَرَكَةُ إِعْرَابٍ).

٢- «يُبَشِّرُ» وَبَابُهُ يَقْرَؤُهَا جَعْفَرٌ بِالتضعِيفِ مِنْ (بَشَّرَ) وَيَقْرَأُ حَمْزَةُ بِالتخْفِيفِ مِنْ (بَشَرَ). (حَرَكَةُ بِنْيَةِ مُضَارِعٍ) مثلاً: ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْـمُتَّقِينَ﴾ [مريم: ٩٧] وَسَائِرِهَا ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ [الـحجر: ٥٣]، ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾ [مريم: ٧]، ﴿يُبَشِّرُ الْـمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٩، الكهف:٢] ﴿يُبَشِّرُ اللَّـهُ عِبَادَهُ﴾ [الشورىٰ :٢٣]، ﴿ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾[آل عمران: ٣٩] ، ﴿ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ﴾ [آل عمران :٤٥] ، ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [التوبة: ٢١]. كل ذلك يقرأ فيه حمزة (يَبْشُر) بالتخفيف (حركة عين مضارع).

٣- ﴿تَفْجُرَ لَنَا﴾ [الإسراء: ٩٠] قَرَأَهَا جَعْفَرٌ بالتضعيف (تُفَجِّرَ)، وَقَرَأَهَا حَمْزَةُ بالتخفيفِ مِنْ (فَجَرَ) الثلاثي (حَرَكَة بِنْيَةِ مُضَارِعٍ).

٤- ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ﴾ [الأنبياء :٩٥] قَرَأَ جَعْفَرٌ بِالْأَلْفِ وَقَرَأَهَا حَمْزَةُ «وَحِرْمٌ» بِكَسْرٍ فسكُونٍ. (صيغة مختلفة).

٥- ﴿وَيَتَنَاجَوْنَ﴾ [المجادلة: ٨] قَرَأَهَا جَعْفَرٌ بِالْأَلِفِ، وَقَرَأَهَا حَمْزَةُ «وَيَنْتَجُوْنَ» بِلَا أَلِفٍ (صِيغة مُضَارِعٍ مِنْ تَفَاعَل إِلَىٰ افْتَعَلَ).

٦- ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ﴾ [إبراهيم:٢٢] قَرَأَهُ جَعْفَرٌ بِفَتْحِ الْيَاءِ المَشَدَّدَةِ، وَقَرَأَهَا حَمْزَةُ بِكَسْرِهَا. (حَرَكة يَاءِ المتكَلِّمِ المدْغَمَةِ فِي مَا قَبْلَهَا).

٧- ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴾[الصافات: ١٣٠] قَرَأَهَا جَعْفَرٌ «آل يَاسِن» وَقَرَأَهَا حَمْزَةُ :«إِلْيَاسِينَ». (فصل اسم مركب).

٨- ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ [فاطر: ٤٣] قَرَأَ جَعْفَرٌ بِكَسْرِ الهمْزَةِ، وَقَرَأَهَا حَمْزَةُ بِإِسْكَانِ الهمْزَةِ.

٩- أَظْهَرَ جَعْفَرٌ اللامَ مِنْ «هَلْ» و«بَلْ» عِنْدَ التاءِ وَالثاءِ والسينِ وَأَدْغَمَهَا عِنْدَهُنَّ حَمْزَةُ .

١٠- قَرَأَ جَعْفَرٌ «وَوَلَدًا» (أربعة مريم) «وَوَلَدُهُ» في نُوحٍ بِفَتْحِ الْوَاوِ وَاللَّامِ. وَقَرَأَ حَمْزَةُ بِضَمِّ الْوَاوِ وَسُكُونِ اللامِ.(١)

فَسَمَّىٰ كُلًّا مِنْ هَـٰذِهِ الاخْتِلَافَاتِ حَرْفًا.

وَجَاءَ فِي تَرْجَمَةِ عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ فِي غَايَةِ النهَايَةِ ١/ ٤٣٣ «وَرَدَتِ الروَايَةُ عَنْهُ فِي حُرُوفِ الْقُرْآنِ مِنْهَا مَا رَوَاهُ عَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَىٰ ابْنِ عُمَرَ : ﴿اللَّـهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤] بفتح ضاد «ضَعْف» في المواضع الثلاثة . قَالَ عَطِيَّةُ : فَقَالَ لِي ابْنُ عُمَرَ «ضُعْف» أَي بِضَمِّ الضادِ وَقَالَ : قَرَأْتُهَا عَلَىٰ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ .

وَبِرَجْعِ النظَرِ إِلَىٰ الْقِرَاءَاتِ الَّتِي سُمِّيَتْ حُرُوفًا نَجِدُ أَنَّهَا تَشْمَلُ ١- حَرَكَةَ إِعْرَابِ «وَالْأَرْحَامَ». ٢- حَرَكَةَ بِنْيَةِ مُضَارِعٍ «يُبَشِّر» ٣- صِيغَةَ أَوْ حَرَكَةَ بِنْيَةِ كَلِمَةٍ «حَرَام» ٤- صِيغَةَ «وَيَنْتَجُوْنَ» ٥- حَرَكَةَ يَاءِ المتَكَلِّمِ المدْغَمَةِ فِي مَا قَبْلَهَا «بِمُصْرِخِيَّ» ٦- وَصْلَ كَلِمَةٍ وَفَصْلَهَا كَلِمَتَيْنِ «إِلْيَاسِينَ». ٧- إِسْكَانَ حَرَكَةِ الْإِعْرَابِ فِي غَيْرِ الْوَقْفِ «وَمَكْر السَّيِّئ» ٨- بَيْنَ الْإِظْهَارِ وَالْإِدْغَامِ «بَلْ تُؤْثِرُونَ» ٩- بَيْنَ الْإِفْرَادِ وَالجَمْعِ «وَوَلَدًا». ١٠- حَرَكَةَ بِنْيَةِ الْكَلِمَةِ «ضَعْف».

وَمِنْ هُنَا يَحِقُّ أَنْ نُقَرِّرَ أَنَّ كُلَّ تَغْيِيرٍ فِي الْكَلِمَةِ نَفْسِهَا يُعَدُّ (حَرْفًا) مِنَ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ ـ عَدَا الْأُمُور الْأَدَائِيَّة اللهجيَّة كَالْإِمَالَةِ فِي مَوَاضِعِهَا، وَتَسْهِيلِ الهمزِ أَوْ تحقيقِهِ فِي

(١) ينظر في هـٰذه القراءات ترجمة جعفر بن محمد غاية النهاية ١/ ١٩٦ ترجمة رقم ٩٠٤.

مَوَاضِعِهِمَا، وَكَأَدَاءِ الْإِشْمَامِ الْوَسَطِيِّ وَالْإِشْمَامِ وَالرَّوْمِ الْوَقْفِيَّيْنِ... فَهَـٰذِهِ لَهَا مَصْدَرُهَا اللهجيُّ الَّذِي أَقَرَّهُ النبيُّ ﷺ. فإجمال التَّغَيُّرِ الَّذِي يَحْدُثُ لِلْكَلِمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ وَيَصْدُقُ عَلَيْهَا بِذَلِكَ التغيُّرِ أَنَّهَا (حَرْفٌ) جَدِيدٌ مِنَ الْأَحْرُفِ الَّتِي قُصِدَتْ بِحَدِيثِ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ = يُمْكِنُ أَنْ تُحْصَرَ فِي مَا يَأْتِي:

أ ـ مَا كَانَ جَائِزًا قَبْلَ إِجْمَاعِ الصحابَةِ عَلَىٰ المَصَاحِفِ العُثْمَانِيَّةِ وَهُوَ أَنْ يُبَدِّلَ الذاهِلُ عَنِ الْكَلِمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ، أَوْ ذُو اللهْجَةِ الْغَرِيبَةِ عَنْ لُغَةِ الْقُرْآنِ الْقُرَشِيَّةِ ـ أَنْ يُبَدِّلَ بِالْكَلِمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي ذَهِلَ عَنْهَا أَوِ اسْتَغْرَبَهَا كَلِمَةً بِمَعْنَاهَا. مِنْ لهجَتِهِ أَوْ مِنْ لُغَةِ الْقُرْآنِ الْقُرَشِيَّةِ مَا دَامَتْ بِمَعْنَىٰ الْكَلِمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ أَوْ قَرِيبَةً مِنْ مَعْنَاهَا وَذَلِكَ كَمَا حَدَثَ كَثِيرًا مِنْ سَادَتِنَا الصحَابَةِ: أُبِيّ وَأَنَس بْنِ مَالِكٍ وَابْن مَسْعُودٍ }. وَهَـٰذَا النوْعُ مِنَ الحُرُوفِ تَوَقَّفَتْ إِجَازَتُهُ وَتَوَقَّفَ الْعَمَلُ بِهِ ـ أَيْ نُسِخَ ـ مُنْذُ كِتَابَةِ المَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ وَإِجْمَاعِ الصحَابَةِ عَلَيْهَا، كَمَا ذَكَرْنَا الْآنَ. وَنُكَرِّرُ أَنَّ هَـٰذَا النوْعُ لَمْ تَتَسَرَّبْ مِنْهُ أَيَّةُ كَلِمَةٍ إِلَىٰ المَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ؛ لِأَنَّ هَـٰذِهِ المَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةَ مُسْتَنْسَخَةٌ مِنْ صُحُفِ أَبِي بَكْرٍ الَّتِي انْتُسِخَتْ مِنَ الْعَرَائِضِ الَّتِي كُتِبَتْ بِإِمْلَاءِ النبيِّ الْقُرْآنَ عَلَىٰ كُتَّابِهِ ﷺ مَعَ شَهَادَةِ مَا تَلَقَّاهُ الصحَابَةُ عَنْهُ ﷺ.

ب ـ كل تَغْيِيرٍ فِي بِنْيَةِ الْكَلِمَةِ أَوْ فِي إِعْرَابِهَا، أَوْ فِي تَرْتِيبِ الجُمْلَةِ الْقُرْآنِيَّةِ مِنْ مثل تَقْدِيمِ المبني لِلْمَفْعُولِ عَلَىٰ المبني لِلْفَاعِلِ فِيهَا، أَوِ الْعَكْسِ. وَذَلِكَ فِي الْإِطَارِ الَّذِي أَسْلَفْنَاهُ عَنْ مَعْنَىٰ الحَرْفِ، وَفِي حُدُودِ التَّلَقِّي عَنِ النبيِّ ﷺ أَوْ إِقْرَارِهِ. وَيُلْحَقُ بِهَـٰذَا خَتْمُ آيَةِ الرحْمَةِ وَآيَةِ الْعَذَابِ بِالاسْمِ المنَاسِبِ مِنْ أَسْمَائِهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ إِذَا غَابَ عَيْنُ الْمُنزَلِ مِنْ ذَلِكَ عَنِ الذهْنِ.

# الفَصْلُ الثَّانِي

## تَصْفِيَــةٌ مُفَصَّلَة

إِذَا كُنَّا قَدِ اسْتَيْقَنَّا أَنَّ الْأَحْرُفَ السبْعَةَ هِيَ مِنْ جِنْسِ (الْقِرَاءَةِ) وَلَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ أَصْنَافِ التعَالِيمِ، فَأَيُّ نَوْعٍ مِنَ الْقِرَاءَةِ مَقْصُود بِهَـٰذِهِ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ؟

إِنَّ (الْأَنْوَاعَ) أَوِ (الصوَرَ) الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تكُونَ عَلَيْهَا هَـٰذِهِ الْقِرَاءَةُ تَنْحَصِرُ ـ حَسب الْوَاقِعِ، وَتبَعًا لاخْتِلَافِ تَأْوِيلَاتِ الحَدِيثِ ـ فِي ثَلاثَةِ أَنْوَاعٍ نُرَتِّبُهَا هَكَذَا:

**الْأَوَّلُ**: أَنْ (نَقْرَأَ) أَي نَنطِق الْكَلِمَةَ نَفْسَهَا أَوِ الْعِبَارَةَ نَفْسَهَا بِصُورَةٍ مُخْتَلِفَةٍ تَبْعًا لما تَعَوَّدَهُ الناطِقُ فِي قَبِيلَتِهِ أَوْ مُجْتَمَعِهِ كَنُطْقِ «السِّرَاط» بِتَفْخِيم السينِ فَتَصِيرُ «الصِّرَاط»، وَكَنُطْقِ «فَزَادَهُمْ» بِإِمَالَةِ الْأَلِفِ فَتَصِيرُ قَرِيبَةً مِنَ الْيَاءِ، وَكَنُطْقِ «يُؤْمِنُونَ» بِدُونِ هَمْزَةٍ فَتَصِيرُ «يُومِنُونَ» وَيَدْخُلُ فِي هَـٰذَا النوْعِ بَعْضُ الْوُجُوهِ الْإِعْرَابِيَّةِ.. أَي أَنَّ هَـٰذَا النوْعَ هُوَ الْقِرَاءَةُ بِالْوُجُوهِ اللهْجِيَّةِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فِي المجْمُوعَةِ الْأُولَىٰ[1].

**وَالنوْعُ الثانِي**: هُوَ (قِرَاءَةٌ) عَاديةٌ لَا تَتَمَيَّزُ إِلَّا بِأَنَّ بَعْضَ الْأَلْفَاظِ فِيهَا مِنْ لَهْجَةِ الْقَارِئِ. أَي أَنَّ هَـٰذَا النوعَ هُوَ مَجْمُوعُ الْأَلْفَاظِ اللهْجِيَّةِ المفرَّقَةِ. (:اللغَات المفرَّقَة).

**والنوْعُ الثالِثُ**: هُوَ قِرَاءَةُ كَلِمَةٍ بَدَلَ كَلِمَةٍ أُخْرَىٰ بِنَفْسِ المعْنَىٰ كَقِرَاءَةِ «هَلُمَّ» بَدَل «تَعَالَ» أَوِ الْعَكْس. وَهَـٰذَا النوْعُ هُوَ مَجْمُوعَةُ الْقِرَاءَةِ بِالمرَادِفِ.

---

(١) ينظر الفصلان الثالث والرابع من كتابنا هـٰذا.

وَعَلَىٰ ذَلِكَ فَتَعْيِينُ المرَادِ بِالْأَحْرُفِ السبْعَةِ يَدُورُ بَيْنَ هَـٰذِهِ الْأَنْوَاعِ الثلَاثَةِ. فَإِذَا رَجعنَا إِلَىٰ غَايَةِ نُزُولِ الْقُرْآنِ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ـ وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْ قَبْل أَنَّ ذَلِكَ كَانَ تَخْفِيفًا وَتَيْسِيرًا عَلَىٰ الْأُمَّةِ مُؤَقَّتًا، ثُمَّ أَضَفْنَا أَنَّ ذَلِكَ التيْسِيرَ كَانَ فِي مَجَالِ (قِرَاءَةِ) الْقُرْآنِ كَمَا أَسْلَفْنَا، فَإِنَّهُ يُمْكِنُنَا أَنْ نُحَدِّدَ نَوْعَ (الْقِرَاءَةِ) المرَادَةِ بِالْحُرُوفِ السبْعَةِ ـ وَهُوَ النوْعُ الَّذِي يَتَحَقَّقُ بِهِ التخْفِيفُ وَالتيْسِيرُ الَّذِي هُوَ غَايَةُ إِجَازَةِ الْقِرَاءَةِ بِالْحُرُوفِ السبْعَةِ، وَذَلِكَ فِي ضَوْءِ حَصْرِ أَنْوَاعِ (الْقِرَاءَةِ) الْوَارِدَةِ أَخْذًا مِنَ الْأَقْوَالِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الحَدِيثِ[1].

إِنَّ فَحْصَ أَوْجُهِ التيْسِيرِ المحْتَمَلَةِ تَقُودُنَا نَحْوَ (نَوْعِ) (الْقِرَاءَةِ) المرَادِ بِالْأَحْرُفِ السبْعَةِ.

إِنَّ الترْخِيصَ لِلْقَارِئِ الْأُمِّيِّ أَوِ الناسي بِذِكْرِ كَلِمَةٍ بِمَعْنَىٰ الْكَلِمَةِ الْأَصْلِيَّةِ الَّتِي ذَهِلَ عَنْهَا نِسْيَانًا أَوْ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ لُغَةِ قَبِيلَتِهِ مَثَلًا هُوَ تَيْسِيرٌ لَا شَكَّ فِيهِ. وَكَذَلِكَ الترْخِيصُ بِذِكْرِ كَلِمَةٍ بِمَعْنَىٰ الْكَلِمَةِ الَّتِي ثَقُلَ عَلَيْهِ نُطْقُهَا لِعَيْبٍ فِي جِهَازِهِ النُّطْقِيِّ أَوِ لِعُجْمَتِهِ مَثَلًا هُوَ لَا شَكّ تَخْفِيفٌ وَتَيْسِيرٌ.

كَذَلِكَ فَإِنَّ عَدَمَ الحَظْرِ عَلَىٰ الْقَارِئِ أَنْ ينطقَ الْأَلْفَاظَ عَلَىٰ حَسَبِ مَا تَعَوَّدَ فِي لَهْجَتِهِ: مِنْ هَمْزٍ أَوْ عَدَمِهِ، وَمِنْ تَفْخِيمٍ أَوْ تَرْقِيقٍ، وَمِنْ إِمَالَةٍ أَوْ نَصْبٍ، وَمِنْ ضَبْطِ بِنْيَةِ الْكَلِمَةِ أو إِعْرَابِهَا، بِالصورَةِ الَّتِي تَجْرِي عَلَيْهَا قَبِيلَتُهُ: إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الاخْتِلَافَاتِ اللهجِيَّةِ. هُوَ أَيْضًا تَيْسِيرٌ، مِنْ حَيْثُ إِنَّ هَـٰذَا هُوَ الْأَصْلُ الطَّبَعِيُ الَّذِي نَشَأَ وَتَعَوَّدَ عَلَيْهِ[2].

وَأَخِيرًا فَإِنَّ وُقُوعَ أَلْفَاظٍ فِي الْقُرْآنِ بِاللَّهْجَةِ الخَاصَّةِ لِقَبِيلَةِ الْقَارِئِ فِيهِ تَلَطُّفٌ مَعَهُ

---

(١) انظر تفسير الطبري ١/ ٥٧- ٥٨.

(٢) ينظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٣٩- ٤٠، والمرشد الوجيز (تح . طيار قولاج) ١٢٨-١٢٩ (كلام قاسم بن ثابت)، ٩٥، ١٠٢، ١٠٦ (كلام الطحاوي)،١٠٢ - ١٠٣ (ابن عبد البر).

مِنْ حَيْثُ ذِكْرُ أَلْفاظٍ فِي الْقُرْآنِ مِنْ لُغَتِهِ الَّتِي نَشَأَ عَلَيْهَا وَيُحِبُّهَا، وَمِنْ حَيْثُ عَدَمُ تَكْلِيفِهِ أَلْفَاظًا بَدِيلَةً مِنْ غَيْرِ لُغَةِ قَبِيلَتِهِ. وَكُلَّمَا كَثُرَتْ تِلْكَ الْأَلْفَاظُ تَحَقَّقَ التلَطُّفُ وَالتآلُفُ بِصُورةٍ أَكْثَر.

وَهَـٰكَذَا فَإِنَّ هَـٰذِهِ النظْرَةَ السرِيعَةَ تَقُودُنَا إِلَىٰ أَنَّ كُلَّ الْأَنْواعِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا تَبْدُو كَأَنَّهَا تُحَقِّقُ التخْفِيفَ الَّذِي هُوَ غَايَةُ نُزُولِ الْقُرْآنِ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، وَكَأَنَّهَا كُلّهَا مُرَادَةٌ بِهَـٰذِهِ الْأَحْرُفِ .

لَكِنَّنَا يَنْبَغِي أَنْ نُعِيدَ النظَرَ لِنَفْحِصَ حَقِيقَةَ التخْفِيفِ وَمَدَاهُ فِي كُلِّ نَوْعٍ. وَلِنَبْدَأَ بِهَـٰذَا النوْعِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ أَخِيرًا. (وَهُوَ مَا عُرِفَ بِاللغَاتِ الْمُفَرَّقَةِ).

أَوَّلُ مَا يُلاحَظُ أَنَّ ذِكْرَ أَلْفَاظٍ مِنْ لُغَةٍ (لهجةٍ) مَا - وَإِنْ كَانَ فِيهِ تَلَطُّفٌ وَتَأْلِيفٌ لِأَهْلِ تِلْكَ اللغَةِ، فَلَيْسَ فِيهِ تَخْفِيفٌ حَقِيقِيٌّ مِنْ نَوْعٍ مَا يُسْتَشْعَرُ مِنْ أَحَادِيثِ التضَرُّعِ لِلتخْفِيفِ، وَإِنَّمَا هُوَ مُعَامَلَةٌ بِالْأَصْلِ (:اللغَة العَامَّة)، مَعَ إِطْرَافِ الْقَارِئِ بِبَعْضِ أَلْفَاظٍ مِنْ لهجَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ تَخْفِيفٌ يُذْكَرُ عَلَيْهِمْ ؛ لِأَنَّهُمْ مُطَالَبُونَ بِأَضْعَافِ قَدْرِ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ مِنَ اللغَاتِ (:اللهَجَاتِ) الْأُخْرَىٰ. وَعَلَىٰ ذَلِكَ فَإِنَّ كُلَّ قَبِيلَةٍ سَتَتَحَمَّلُ مِنْ أَلْفَاظِ الْقَبَائِلِ الْأُخْرَىٰ أَضْعَافَ مَا تَسْتَطْرِفُهُ مِمَّا جَاءَ بِلُغَتِهَا.. يَقُولُ صَاحِبُ مُقَدِّمَةِ «كِتَابِ المَبَانِي» عَنْ هَـٰذَا النوْعِ «لَكِنِّي أَرَىٰ هَـٰذَا الْوَجْهَ لَا يَتَوَسَّعُ فِي النهْجِ (يَعْنِي التوْسِعَةَ) الَّذِي رَامَهُ ﷺ، حَيْثُ شَكَا إِلَىٰ جِبْرِيلَ أَنَّهُ بُعِثَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُمِّيِّينَ. وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ لَفْظَةٍ وَافَقَتْ لُغَةَ فَرِيقٍ مِنَ الْعَرَبِ خَاصَّةً فَإِنَّ الْآخَرِينَ فِي اسْتِعْمَالِهَا (يَعْنِي فِي الالْتِزَامِ بِاسْتِعْمَالِهَا) بِمَنْزِلَةِ هَـٰذَا الْفَرِيقِ، وَإِنْ لَمْ تُوَافِقِ اللفْظَةُ لُغَتَهُمْ، فَلَمْ يَحْصُلْ إِذْ ذَاكَ بِنُزُولِهِ وَفْقَ لُغَتِهِمْ كَبِيرُ طَائِلٍ فِي الْيُسْرِ وَالتوْسِعَةِ. مَعَ أَنَّهُ قَدْ رُوِيَ عَنِ السلَفِ فِي بَعْضِ الْأَلْفَاظِ مِمَّا فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ بِلُغَةِ فَارِس، وَفِي بَعْضِهَا أَنَّهُ بِلُغَةِ الرومِ كَمَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ. وَرُوِيَ عَنْ

عَمْرِو بْنِ شرحبيل قَالَ: مَا مِنْ لِسَانٍ إِلَّا فِي الْقُرْآنِ. وَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: فِي الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ لِسَانٍ»[1]. ا هـ. وَصَاحِب (مُقَدِّمَتَانِ) يَعْنِي بِالجُزْءِ الْأَخِيرِ مِنْ كَلَامِهِ أَنَّ الْقَوْلَ باللغَاتِ المفرَّقَة فِي الْقُرْآنِ (المجْمُوعَة الثالِثَة) لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ تَفْسِيرًا لِلْأَحْرُفِ السبْعَةِ؛ لِأَنَّ تِلْكَ اللغَاتِ المفرَّقة لَا تَقْتَصِرُ عَلَىٰ اللغاتِ (= اللهجاتِ) الْعَرَبِيَّة، إِذْ قِيلَ إِنَّ فِي الْقُرْآنِ كَلِمًا بِلُغَةِ فَارِس، وَأُخْرَىٰ بِلُغَةِ الرُّومِ، وَغَيْرِهِمَا. كَمَا أَنَّ اللهجاتِ الْعَرَبِيَّةِ «أَكْثَر مِنْ سَبْعٍ بِمَا يُعْجِزُ عَنْ إِحْصَائِهِ». كَمَا قَالَ الطبري[2]. وَقَدْ أَسْلَفْنَا أَنَّهُ نُسِبَتْ أَلْفَاظٌ قُرْآنِيَّةٌ إِلَىٰ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ قَبِيلَةً وَصُقْعًا عَرَبِيًّا[3] فَأَيُّ هَـٰذِهِ هِيَ السبْع .

وَقَدْ سَبَقَ الطبَرِيُّ بِنَقْدٍ آخَرَ لِلْقَوْلِ بِأَنَّ الْأَحْرُفَ السبْعَةَ هِيَ لُغَاتٌ مُفَرَّقَة فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، هُوَ أَنَّهُ لَو كَانَتِ الْأَحْرُفُ السبْعَةُ لغاتٌ متفرّقة، «فَغَيْرُ مُوجِبٍ حرفُ من ذلك اختلافًا»(بين التالين لِلْقُرْآن)؛ لِأَنَّ كُلَّ تَالٍ فَإِنَّما يَتْلُو ذَلِكَ الحرفَ تلاوة واحدة علىٰ مَا هُوَ بهِ فِي المصحفِ وَعَلَىٰ مَا أُنْزِل؛ لِأَنَّ كُلَّ لُغَةٍ مِنَ اللغات السبع ـ حسب هَـٰذا القول ـ هي فِي كلمة أو حرف من القرآن غَيْرِ الْكَلِمَةِ أو الحَرف الَّذِي فِيهِ اللغة الأُخْرَىٰ (يَعْنِي أَنَّ الْكَلِمَةَ مِنْ لُغَةٍ مَا هِيَ فِي آية وموضع غير موضع نظيرتها الَّتِي مِنْ لُغَةٍ أُخْرَىٰ)، فَلَا مَجَالَ

---

(١) مقدمتان في علوم القرآن ص٢١١.

(٢) تفسير الطبري ١/ ٤٧. ولعل سبب (العجز) المذكور أن اللهجات تتزايد مفرداتها كل يوم؛ لأن المفردات اللهجية كلام، ولا يخلو يوم من ناطق بكلمة لهجية جديدة من أية لهجة، ينبغي أن تؤخذ في الحسبان. وقد أحصيت اللهجات أخذا مما ذكره الإمام السيوطي في النوع ٣٧ من كتابة «الإتقان في علوم القرآن» وما ذكر في «المعجم الدلالي للهجات القبائل العربية» د. الموافي الرفاعي البيلي فبلغت القبائل تسعين والأصقاع التي نسبت إليها لهجات ثلاثين. فهـٰذه مئة وعشرون لهجةً قديمة أرجح أن أحدثها لا يتجاوز القرن الخامس الهجري.

(٣) ينظر الإتقان للسيوطي النوع ٣٧ .

لِوُقُوعِ الاخْتِلَافِ. ثُمَّ لا مَعنَىٰ عَلَىٰ هَـٰذَا الْقَوْلِ للتَّمْثِيلِ بِأَنَّهَا «كَقَوْلك «هَلُمَّ»وَ«تَعَالَ»؛ لِأَنَّ الَّذِي نَزَلَ بِهِ القرآنُ فِي الموضعِ الواحدِ عِنْدَ صاحب هـٰذا القول- إما «هَلُمَّ» وَإِمَّا «تَعَالَ» لَا جميعُ ذلك. وَحَيْثُ إِنَّ الروايات قد ترادفت بوقوعِ الاختلافِ ، وبالتمثيلِ بـ«هَلُمَّ» و«تَعَالَ» ونحوهما، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَىٰ بُطْلَانِ هَـٰذَا الْقَوْلِ[1]. وَعَلَىٰ هَـٰذَا فَإِنَّ تَفْسِيرَ الأحرُفِ السبعة بِأَنَّهَا لُغَاتٌ متفرِّقة فِي الْقُرْآنِ، وَهُوَ نوع المجموعةِ الثالثة الذي ذَكَرْنَاهُ قَبْلًا: تفسيرٌ غيرُ صحيحٍ. وَلِذَا فَنَحْنُ نَسْتَبْعِدُهُ مِنْ مَجَالِ تَفْسِيرِ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ .

فَإِذَا ثَنَّيْنَا بِالنظرِ فِي النوْعِ الْأَوَّلِ فِي الترْتِيبِ، وَهُوَ نُطْقُ الْكَلِمَةِ نَفْسِهَا بِصُورٍ مُخْتَلِفَةٍ تبْعًا لِلْعَادَاتِ اللهجيَّةِ وَجَدْنَا فِيهِ نَوْعَ تَيْسِيرٍ، مِنْ حَيْثُ عَدَمُ تَكْلِيفِ الناسِ أَنْ يَقْرَءُوا بِغَيْرِ لهجتِهِمْ. وَلَكِنَّنَا نُلَاحِظُ أَنَّ المعْلُومَاتِ الَّتِي قَدَّمَتْهَا رِوَايَاتُ الحَدِيثِ لَا تَسْمَحُ بِقَبُولِ هَـٰذَا النوْعِ وَحْدَهُ عَلَىٰ أَنَّهُ هُوَ التفْسِيرُ الْوَحِيدُ لِلْأَحْرُفِ السبْعَةِ .

أ ـ فَلَقَدْ وَقَعَ الاخْتِلَافُ فِي أَشْهَرِ الروَايَاتِ (وَهِيَ رِوَايَةٌ صَحِيحَةٌ وَصَرِيحَةٌ فِي تَعْيِينِ أَسْمَاءِ المخْتَلِفَيْنِ) بَيْنَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، وَهِشَامِ بْنِ حَكِيمٍ: وَالرَّجُلَانِ قُرَشِيَّانِ لهجَتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَلَوْ كَانَ الاخْتِلَافُ الْوَارِدُ فِي حَدِيثِ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ مِنْ هَـٰذَا النوْعِ الَّذِي لَا تُبَدَّلُ فِيهِ كَلِمَةٌ بِكَلِمَةٍ: مَا وَقَعَ الاخْتِلَافُ بَيْنَهُمَا، إِذِ المفْرُوضُ أَنَّ خَصَائِصَ نُطْقِهِمَا اللهجِي وَاحِدَةٌ.

ب ـ وَقَعَ الخِلَافُ والاحْتِكَامُ بِصُورَةٍ خَشِنَةٍ لَا تَتَسَبَّبُ إِلَّا عَنْ شَيْءٍ أَكْبَرَ مِنْ مُجَرَّدِ خِلَافٍ فِي النطْقِ حَسَبَ اللهْجَةِ بَيْنَ إِمَالَةٍ وَنَصْبٍ، أَوْ هَمْزٍ وَتَلْيِينٍ أَوْ تَفْخِيمٍ وَتَرْقِيقٍ... فَلَقَدْ لَبَّبَ عُمَرُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ بِرِدَائِهِ وَقَادَهُ إِلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ. وَلَا يَحْدُثُ هَـٰذَا بَيْنَ

---

(1) من الطبري ١/ ٥٦- ٥٧ بانتقاء للاختصار .

صَحَابِيَّيْنِ لمجرَّدِ خِلَافٍ نُطْقِيٍّ سَبَبُهُ اخْتِلَافُ اللهجَاتِ. وَلَا يَحْدُثُ هَـٰذَا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهْجَةَ شيْءٌ يَنْشَأُ عَلَيْهِ الْإِنسَانُ كَأَنَّهُ فِطْرَةٌ، وَيَأْلَفُونَ اللهجَاتِ المختلفَةَ عِنْدَ اخْتِلَاطِهِمْ فِي الْأَسْوَاقِ وَالتجَارَاتِ والمغَازي والحجِّ وَنَحْوِ ذَٰلِكَ.

جـ ـ ثبتَ مِنْ عِدَّةِ رِوَايَاتٍ صَحِيحَةٍ أَنَّ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ لما اخْتَلَفَ مَعَ آخَرَ فِي الْقِرَاءَةِ وَاحتكَمَا إِلَىٰ النبيِّ ﷺ فَصَوَّبَ كُلًّا مِنْهُمَا ـ ثبتَ أَنَّ أُبَيًّا دَاخَلَهُ حِينَئِذٍ شَكٌّ مُؤَقَّتٌ، فَضَرَبَ الرسُولُ صَدْرَهُ وَدَعَا لَهُ، فَذَهَبَ الشكُّ مِنْ فَوْرِهِ، وَنُسِبَ مَوْقِفٌ شَكِّيٌّ كَهَـٰذَا إِلَىٰ عُمَرَ أَيْضًا. وَلَا يُسْتَسَاغُ إِطْلَاقًا أَنْ يَكُونَ إِيمَانُ أُبَيٍّ وَعُمَرَ، وَعَقْلَاهُمَا أَيْضًا، مِنَ الرقَّةِ وَالاهْتِزَازِ بِحَيْثُ يَشُكَّانِ فِي صِدْقِ هَـٰذَا الدينِ بِمُجَرَّدِ أَنْ صَوَّبَ النبيُّ ﷺ قِرَاءَةَ رَجُلٍ نَطَقَ بِلَهْجَتِهِ الَّتِي نَشَأَ عَلَيْهَا. إِنَّمَا الَّذِي يُسْتَسَاغُ أَنْ يَكُونَ الْقَارِئُ قَرَأَ بِكَلِمَةٍ غَيْرِ الْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَهَا أُبَيٌّ مِنَ النبيِّ ﷺ، فَلَمَّا صَوَّبَ النبيُّ الْقِرَاءَتَيْنِ صَدَمَ ذَٰلِكَ أُبَيًّا، فَشَكَّ، لِأَنَّ النصَّ الْكَرِيمَ كَلَامُ اللهِ لَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يَتغَيَّرَ، أَوْ يُغَيِّرَهُ بَشَرٌ وَيُقْبَلَ تَغْيِيره[1].

د ـ وَقَدْ أَسْلَفْنَا نَقْدًا مِنَ الْإِمَامِ الطبريِّ لاعْتِدَادِ الْأَدَاءِ اللهجيِّ لِلْأَلْفَاظِ نَفْسِهَا (كَالْإِمَالَةِ وَتَسْهِيلِ الهَمْزِ ...إِلَخ) تَفْسِيرًا لِلْأَحْرُفِ السبْعَةِ. وَخُلَاصَةُ نَقْدِهِ أَنَّهُ أَخَذَ مِنْ قَوْلِ النبيِّ ﷺ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ «إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَلَا تَتَمَارَوْا فِي

---

(١) قد يقال إن هذا الكلام الأخير يرد به على الرأي القائل بأن الأحرف السبعة كانت تعنى القراءة بالمرادف. ونقول إن هذا الرد غير مقبول(أ) لأن الرخصة كانت مؤقتة، (ب) والنص الموحَى به دُوِّنَ فورَ نزوله في عرائض. (جـ)وقد جُمِعَتْ هذه العرائض في عهد أبى بكر ونُقِلَت في صحف (أو مصحف)، ولم يقبل فيها أي قراءة بالمرادف. (د) ونُقِلت المصاحف العثمانية من صحف أبى بكر. (هـ) وبكتابة المصاحف العثمانية توقف الاعتداد بالمرادفات، ولم يعد لها وجود إلا في روايات وصلت إلى كتب التفسير أو القراءة الشاذة: ونوعا الكتب هذان لا يعتد بما فيهما قرآناً- إلا إذا كان من القراءات العشر المعتمدة.

الْقُرْآنِ فَإِنَّ المِرَاءَ فِيهِ كُفْرٌ»[1] أَنَّ وُجُوبَ كُفْرِ الممارِي فِي وَجْهِ قِرَاءَةٍ مَا هُوَ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ هَـٰذَا الْوَجْهَ هُوَ المرَادُ بِالْأَحْرُفِ السبْعَةِ. وَبِمَا أَنَّ المِرَاءَ (:الجِدَال فِي الصحَّةِ) لِقِرَاءَةٍ بِالْإِمَالَةِ أَوِ التسْهِيلِ - مَثَلًا - مُقَابِلَ النصْبِ أَوْ تَحْقِيقِ الهَمزِ» لَا يُوجِبُ - عَلَىٰ فَرْضِ وُقُوعِهِ - كُفْرَ المُمَارِي، فَإِنَّ هَـٰذَا النوْعَ مِنَ الْقِرَاءَةِ لَا يُعَدُّ تَفْسِيرًا لِلْأَحْرُفِ السبْعَةِ. وَقَدْ أَسْلَفْنَا أَنَّ كَلَامَ الطبَرِيِّ هَـٰذا قَدْ يُسَلَّمُ، لَكِنَّ تَسْلِيمَهُ لَا يَلْزَمُه اسْتِبْعَادُ كُلِّ صُورِ الْقِرَاءَةِ اللهجيَّةِ مِنْ مَجَالِ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ أَيْ نَفْي كَوْنِهَا مِنْ هَـٰذَا المجَالِ. ذَلِكَ لِأَنَّ مِنْ صُوَرِ الْقِرَاءَةِ باللهجَاتِ قِرَاءة كَلِمَة بَدَلًا مِنْ كَلِمَةٍ أُخْرَىٰ. وَهَـٰذِهِ الصورةُ اعْتَدَّهَا الطبَرِيُّ نَفْسُهُ مِنَ اللغَاتِ أي اللهجَات، وَاعْتَدَّهَا أَنَّهَا هِيَ التفْسِيرُ الصحِيحُ لِلْأَحْرُف السبْعَةِ، وَأَيَّدَ ذَلِكَ بِأَحَادِيثَ وَبِمُنَاقَشَاتٍ عقْلِيَّةٍ كَثِيرَةٍ سَتَأْتِي الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا.

وَعَلَىٰ ذَلِكَ فَإِنَّ الْقِرَاءَةَ بِالْأَدَاءِ اللهجي لِلْكَلِمَاتِ نَفْسِهَا أَيْ دُونَ تَبْدِيلِ كَلِمَةٍ بِكَلِمَةٍ أُخْرَى= لَا تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ تَفْسِيرًا صَحِيحًا أَوْ كَافِيًا لِلْأَحْرُفِ السبْعَةِ. وَغَايَةُ مَا هُنَاكَ أَنَّ فِيهَا تَيْسِيرًا عَلَىٰ القَارِئِ، لَكِنَّهُ تَيْسِيرٌ جَارٍ عَلَىٰ الْأَصْلِ. وَالْعَقْلُ لَا يُجِيزُ - كَمَا أَنَّ الْأَخْبَارَ لَمْ تُثْبِتْ - وُقُوعَ خِلَاف هَـٰذا الْأَصْلِ، وَهُوَ الْإِلْزَامُ بِاللهْجَةِ الْقُرَشِيَّةِ فِي أَوَّلِ الدعْوَةِ؛ لِأَنَّهُ خَلْقُ عَقَبَةٍ فِي سَبِيلِ «قَبُولِ غَيْرِ الْقُرَشِيِّينَ لِتِلْكَ الدعْوَةِ».

## تَعْيينُ المرَادِ بِالْأَحْرُفِ السبْعَةِ :

وَبِذَلِكَ التحْلِيلِ الَّذِي قَدَّمْنَاهُ لَمْ يَبْقَ مَعَنَا مِنْ أَوْجُهِ تَفْسِيرِ الحَدِيثِ المحْتَمَلةِ إِلَّا وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا هُوَ قراء كَلِمَةٍ بَدَلًا مِنْ كَلِمَةٍ بِمَا يَشْمَلُ التغْيِيرَ الَّذِي يَجْعَلُ الكلمةَ نَفْسَهَا حَرْفًا آخَرَ. وَالْآخَر تَبْدِيلُ أَسْمَاءِ الله فِي خَوَاتِمِ الْآيَاتِ دُونَ خُرُوجٍ عَمَّا يُنَاسِبُ

---

(١) جامع البيان (تفسير الطبري ١/ ٤٤، وفي ص٢٢، ٤٥ روايتان بهذا المعنى).

مُحْتَوىٰ تِلْكَ الْآيَاتِ. فَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَا هُمَا المُرَادُ بِالْأَحْرُفِ السبْعَةِ، وَذَلِكَ مَعَ إِجَازَةِ الْقِرَاءَةِ اللهجِيَّةِ، اتِّسَاقًا مَعَ مَا جَاءَ بِهِ الْإِسْلَامُ مِنْ مُوَافقَةِ الْفِطْرَةِ وَالتيْسِيرِ. وَلَمْ يَثْبُتْ أَنَّ الْتِزَامَ اللهْجَةِ الْقُرَشِيَّةِ كَانَ عَقَبَةً أَمَامَ مَنْ يُرِيدُونَ اعْتِنَاقَ الْإِسْلَامِ.

وَهُنَا يَنْبَغِي أَنْ نُلَاحِظَ أَنَّ الَّذِي تَوَصَّلْنَا إِلَيْهِ فِي المُرَادِ بِالتخْفِيفِ هُوَ قِرَاءَةُ كَلِمَةٍ بَدَلًا مِنْ كَلِمَةٍ نَسيهَا الْقَارِئُ أَوْ غَابَتْ عَنْهُ لِأَمْرٍ مَا = يَلْتَقِي مَعَ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ تَحْلِيلُنَا لمعْنَىٰ «الحَرْف» وَهُوَ أَنَّ المُرَادَ بِهِ «الْكَلِمة» بِمَفْهُومِهَا الَّذِي يَشْمَلُ أَيَّ تَغْيِيرٍ يَجْعَلُ اللفْظَ «حَرْفًا» آخَرَ ، حَسب مَا ذَكَرْنَا قَبْلًا . وَتَكُونُ الصورَةُ الْأُخْرَىٰ - وَهِيَ خَتْمُ الْآيَةِ بِأَسْمَاءٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّـهِ ﷻ ، غَيْرِ الأَسْمَاءِ الَّتِي أُنْزِلَتْ، بِشَرْطِ الاتِّسَاقِ مَعَ مُحْتَوىٰ الْآيَةِ - مَحْمُولَةً عَلَىٰ هَـٰذِهِ الصورَةِ الَّتِي انْتَهَىٰ إِلَيْهَا التحْلِيلُ، بِجَامِعِ أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا تيسِيرٌ عَلَىٰ الْقَارِئِ الَّذِي لَا يُجِيدُ الحِفْظَ بِأَنْ يَقْرَأَ كَلِمَةً بَدَلًا مِنْ أُخْرَىٰ- مَعَ اسْتِحْضَارِ:

(أ) أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ كَانَ رُخْصَةً مُؤَقَّتَةً انْتَهتْ وَنُسِخَتْ بِإِجْمَاعِ الصحابَةِ عَلَىٰ المصْحَفِ الْعُثْمَانِيِّ.

(ب ) وَأَنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَدْخُلْهُ شَيْءٌ مِنْ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي اسْتَعْمَلَهَا الصحَابَةُ أَخْذًا بِالرُّخْصَةِ ؛ لِأَنَّ الْوَحْيَ المنزلَ سُجِّلَ كِتَابَةً فَوْرَ نُزُولِهِ بِإِمْلَاءِ النبِيِّ ﷺ. وَجُمِعَ مِنْ هَـٰذَا الَّذِي سُجِّلَ مُصْحَفُ كَامِلُ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ. وَانْتُسِخَتِ المصَاحِفُ الْعُثْمَانِيَّةُ مِنْ مُصْحَفِ أَبِي بَكْرٍ. وَمَصَاحِفُنَا الحَالِيَةُ نُسَخٌ مُطَابِقَةٌ تَمَامًا لِلْمَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ. وَلِلَّـهِ الحَمْدُ.

(جـ) وَبُرْهَانُ عَدَمِ دُخُولِ شَيْءٍ مِنَ المرَادِف أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ كَلِمَةٌ مُخْتَلَفَةُ الرسْمِ تَمَامًا عَنِ المقْرُوءِ بِهِ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ ، كَمَا أَنَّ خَوَاتِمَ الْآيَاتِ لَيْسَ فِيهَا اخْتِلَافٌ يُذْكَرُ ، عَلَىٰ الرغْمِ مِمَّا يَتَبَادَرُ أَنَّ الاخْتِلَافَ فِيهَا يَكْثُرُ ، لِكَثْرَةِ خِتَامِ الْآيَاتِ بِالْأَسْمَاءِ

الْحُسْنَىٰ وَسهولة ( الاقْتِرَاح) فِي ذَلِكَ .فَلَمْ يُؤْثَرْ إِلَّا قِرَاءَتَانِ : فِي خِتَامِ الآيَةِ ١١٨ فِي سُورَةِ المائِدَةِ ﴿ فَإِنَّكَ أَنتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ بَدَلًا مِنْ ﴿ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ، وختام الآية ١٠٦ مِنْ سُورَةِ التوْبَةِ :﴿والله غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ بدلا من ﴿والله عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ . وَالْقِرَاءَتَانِ لِعَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه[1].

فَالْأَمْرُ انْتَهَىٰ إِلَىٰ مَا قَرَّرَهُ الْإِمَامُ السيُوطِيُّ إِذْ قَالَ «تَنْبِيهٌ: اخْتُلِفَ هَلِ المَصَاحِفُ العُثْمَانِيَّةُ مُشْتَمِلَةٌ عَلَىٰ جَمِيعِ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ؟ فَذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْقُرَّاءِ وَالمتكَلِّمِينَ إِلَىٰ ذَلِكَ[2]، وَبَنَوْهُ عَلَىٰ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ عَلَىٰ الْأُمَّةِ أَنْ تُهْمِلَ نَقْلَ شَيْءٍ مِنْهَا (أَيْ مِنَ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ)، وَقَدْ أَجْمَعَ الصحابَةُ عَلَىٰ نَقْلِ المَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ مِن الصحفِ الَّتِي كَتَبَهَا أَبُو بَكْر، وَأَجْمَعُوا عَلَىٰ تَرْكِ مَا سِوَىٰ ذَلِكَ. قَالَ السيُوطِيُّ: وَذَهَبَ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ مِنَ السلَفِ وَالخَلَفِ وَأَئِمَّةِ المسْلِمِينَ إِلَىٰ أَنَّ المَصَاحِفَ الْعُثْمَانِيَّةَ مُشْتَمِلَةٌ مِنَ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ عَلَىٰ مَا يَحْتَمِلُهُ رَسْمُهَا فَقَطْ، جَامِعَةٌ لِلْعَرْضَةِ الْأَخِيرَةِ الَّتِي عَرَضَهَا النبيُّ ﷺ عَلَىٰ جِبْرِيلَ، مُتضمنةٌ لَهَا، لَمْ تَتْرُكْ حَرْفًا مِنْهَا.[3] قَالَ ابْنُ الجَزَرِيِّ:«وَهَـٰذَا هُوَ الَّذِي يظهرُ صَوَابُهُ».اهـ. وَيُجَابُ عَنِ الْأَوَّلِ (أي القول بأنه لا يجوز للأمة أن تهمل نقل شئ من الأحرف السبعة) بِمَا ذَكَرَهُ ابْنُ جَرِيرٍ بِأَنَّ الْقِرَاءَةَ عَلَىٰ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ لَمْ تَكُنْ وَاجِبَةً عَلَىٰ الْأُمَّةِ، وَإِنَّمَا كَانَ جَائِزًا لهمْ وَمُرَخَّصًا لهمْ فِيهِ. فَلَمَّا رَأَىٰ الصحابَةُ أَنَّ الْأُمَّةَ تَفْتَرِقُ وَتَخْتَلِفُ

---

(١) ينظر معجم قراءات الصحابة ، د. الموافي الرفاعي البيلي : ١ / ٢٤٣ ،٣٣٩ ، ٣٤٠ . علىٰ التوالي

(٢) أ- قوله «إلىٰ ذلك» مكتوب في طبعة عالم الكتب ١/ ٤٩ «إلىٰ غير ذلك» وهو دس قصد به الإلباس ولكن السياق يكشفه. وقد جاء في تحقيق محمد أبي الفضل «طبع الهيئة العامة للكتاب ١/ ١٧٦» علىٰ الوجه الصحيح: «إلىٰ ذلك».

ب- قوله «وبنوا عليه أنه لا يجوز» إلخ. استقامة المعنىٰ: وبنوه علىٰ أنه لا يجوز إلخ .

(٣) الإتقان ط. عالم الكتب ١/ ٤٩- ٥٠، الطبعة المحققة (الهيئة المصرية العامة للكتاب)١/ ١٧٦- ١٧٧ .

إِذَا لَمْ يَجْتَمِعُوا عَلَىٰ حَرْفٍ وَاحِدٍ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ ذَلِكَ اجْتِمَاعًا شَائِعًا، وَهُمْ مَعْصُومُونَ مِنَ الضلَالَةِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ تَرْكُ وَاجِبٍ وَلَا فِعْلُ حَرَامٍ. وَلَا شَكَّ أَنَّ الْقُرْآنَ نُسِخَ مِنْهُ فِي الْعَرْضَةِ الْأَخِيرَةِ (مَا نُسِخَ)، فَاتَّفَقَ الصحَابَةُ عَلَىٰ أَنْ كَتَبُوا مَا تَحَقَّقُوا أَنَّهُ قُرْآنٌ مُسْتَقِرٌّ فِي الْعَرْضَةِ الْأَخِيرَةِ، وَتَرَكوا مَا سِوَىٰ ذَلِكَ. ثُمَّ أَوْرَدَ السيُوطِيُّ مَا رَوَاهُ ابْنُ أَشْتَه وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنِ الصحَابِيِّ عَبِيدَةَ السَلْمانِيِّ أَنَّ الْقِرَاءَةَ الَّتِي عُرِضت علَىٰ النبيِّ ﷺ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ فيهِ هِيَ الْقِرَاءةُ الَّتِي يَقْرَؤُهَا الناسُ الْيَوْمَ،« وَأَنَّ التابِعِيَّ مُحَمَّدَ بْنِ سِيرِينَ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ. وَأَخِيرًا أَوْرَدَ السيوطِيُّ مَا قَالَهُ الْبَغَوِيُّ فِي [شَرْحِ السنَّةِ] أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ شَهِدَ الْعَرْضَةَ الْأَخِيرَةَ الَّتِي بُيِّنَ فِيهَا مَا نُسِخَ وَمَا بَقِيَ، وَكَتَبَهَا لِرَسُولِ الله ﷺ، وَقَرَأَهَا عَلَيْهِ وَكَانَ يُقْرِئُ الناسَ بِهَا حَتَّىٰ مَاتَ. وَلِذَلِكَ اعْتَمَدَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي جَمْعِ الْقُرْآنِ، وَوَلَّاهُ عُثْمَانُ كَتْبَ المصَاحِفِ» (١).

❖ ❖ ❖

---

(١) المرجع السابق بطبعتيه.

# الفَصْلُ الثَّالِثُ

## تدوينُ القرآنِ تدوينًا خطيًّا فورَ نزوله، وقيمة هذا التدوين

هَـٰذَا مَبْحَثٌ لَمْ يَمُرَّ بِي أَنَّ أَحَدًا سَبَقَ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ عَلَىٰ الرغمِ مِنْ أَهَمِّيَّتِهِ الْبَالِغَةِ فِي مَجَالِ الْمُرَادِ بِالْأَحْرُفِ السبْعَةِ ، حَيْثُ إِنَّ الرأْيَ الَّذِي «عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ» كَمَا جَاءَ فِي الْإِتْقَانِ[1] هُوَ أَنَّهُ كَانَ مُرَخَّصًا لِلْقَارِئِ أَنْ يَقْرَأَ بِكَلِمَةٍ بِمَعْنَىٰ الْكَلِمَةِ المنزَّلَةِ ، إِذَا غَابَ عَنْهُ عَيْنُ الْكَلِمَةِ الْمُنزَلَةِ . وَهَـٰذَا يُثِيرُ هَاجِسًا خَطِيرًا وَهُوَ أَنْ يَكُونَ تَسَرَّبَ إِلَىٰ المصْحَفِ كَلِمَةٌ أَوْ أَكْثَرُ مِنْ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ.فَهَـٰذَا الْبَحْثُ ينفِي ذَلِكَ الهَاجس تَمَامًا ؛ لِأَنَّهُ يُثْبِتُ أَنَّ النصَّ الْكَرِيمَ كَانَ يُدَوَّنُ فَوْرَ نُزُولِهِ .وَمِنْ هَـٰذَا المدَوَّنِ نُقِلَتْ صُحُفُ أَبِي بَكْرٍ الَّتِي انْتُسِخَتْ مِنْهَا المصَاحِفُ العُثْمَانِيَّةُ . وَقَدْ تَنَاوَلْتُ صُورَةً مِنْ هَـٰذَا المبْحَثِ فِي كِتَابِي :«وَثَاقَةُ نَقْلِ النصِّ الْقُرْآنِيِّ الْكَرِيمِ مِنْ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ إِلَىٰ أُمَّتِهِ»، وَهَـٰذَا التناوُلُ الجَدِيدُ أَوْسَعُ. وَالشوَاهِدُ الَّتِي تُثْبِتُ هَـٰذِهِ الْفَوْرِيَّةَ يُوَثِّقُ قِيمَتَهَا أَنَّهَا شَوَاهِدُ تُرَاثِيَّةٌ وَرَدَتْ فِي بَعْضِ جَوَامِعِ الحَدِيثِ الشرِيفِ وَبَعْضِ التفَاسِيرِ لِغَيْرِ هَـٰذَا الْغَرَضِ ، فَكَانَ حَقّ الْقُرْآنِ أَنْ نُبْرِزَ هَـٰذَا الْغَرَضَ مِنْهَا.

هَلْ دَخَلَ فِي النصِّ الْقُرْآنِيِّ الحَاضِرِ شَيْءٌ مِنَ الْأَلْفَاظِ المَرَادفةِ أَوْ شِبْهِ المرادِفَةِ التي كَانَتْ مَأْذُونًا فِيهَا بِحَدِيثِ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ؟

الْإِجَابَةُ: لَمْ يَدْخُلْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فِي النصِّ الْكَرِيمِ الَّذِي هُوَ بَيْنَ أَيْدِي المسْلِمِينَ مُنْذُ كِتَابَةِ المصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ إِلَىٰ الْآنَ وَإِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ.

---

(١) ينظر (الإتقان في علوم القرآن) للسيوطي النوع السادس عشر الفصل الأخير منه القول التاسع. وهو هنا في كتابنا هذا ص ١٨.

وَأَسَاسُ هَـٰذَا الحُكْمِ الْقَطْعِيِّ :(أ) أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ كَانَ يُدَوَّنُ فَوْرَ نُزولِهِ عَلَىٰ النبيِّ ﷺ بِإِمْلَائِهِ ﷺ. (ب) وَبِمُرَاجَعَتِهِ ﷺ بَعْدَ الْإِمْلَاءِ أَيْضًا. (جـ) ثُمَّ إِنَّ هَـٰذَا الَّذِي كُتِبَ بِإِمْلَائِهِ ﷺ فَوْرَ نُزُولِهِ جُمِعَ فِي صَحَائِفَ مُرَتَّبَةِ السورِ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ رضى الله عنه ، (د) وَمِنْ هَـٰذِهِ الصحُفِ الْبَكْرِيَّةِ انْتُسِخَت المصاحفُ فِي عَهْدِ عُثْمَانَ رضى الله عنه. وَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَىٰ كُلِّ مِصْرٍ (: عَاصِمَةٍ) مِنْ أَمْصَارِ الدوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ـ حِينَذَاكَ ـ بِمُصْحَفٍ مَعَ قَارِئٍ لكي يَلْتَزِمُوا بِهَا.

## أ ـ شَوَاهِدُ فَوْرِيَّةِ التدْوِينِ:

١ ـ «عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ الله ﷺ، وَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ أَخَذَتْهُ بُرَحَاءُ (مَا يُشْبِهُ الحُمَّىٰ وَأَثَرَهَا) شَدِيدَةٌ، وَيعْرَقُ عَرَقًا شَدِيدًا مِثْلَ الجُمَانِ، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَكُنْتُ أَدْخُلُ عَلَيْهِ ﷺ بِقِطْعَةِ الْكَتِفِ، أَوْ كِسْرَةٍ، فَأَكْتُبُ وَهُوَ يُمْلِي عَلَيَّ، فَمَا أَفْرُغُ حَتَّىٰ تَكَادُ رِجْلِي تَنْكَسِرُ مِنْ ثِقَلِ الْقُرْآنِ، وَحَتَّىٰ أَقُولُ لَا أَمْشِي عَلَىٰ رِجْلِي أَبَدًا، فَإِذَا فَرغْتُ قَالَ: اقْرَأْهُ، فَأَقْرَؤُهُ، فَإِنَ كَانَ فِيهِ سَقَطٌ أَقَامَهُ، ثُمَّ أَخْرُجُ بِهِ إِلَىٰ الناسِ»[ أخرجه في المعجم الأوسط للطبراني ٢/ ٥٤٤] .

وَرَوَىٰ الزُهْرِيُّ هَـٰذَا الحَدِيثَ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ زَيدِ بْنِ ثَابِتٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ: «كُنْتُ أَكْتُبُ الْوَحْيَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ وَكَانَ يعرقُ وَيَشْتدُّ نَفَسُهُ فَأَكْتُبُ وَهُوَ يُمْلِي عَلَيَّ فَمَا أَفْرُغُ حَتَّىٰ يُسَرَّىٰ عَنْهُ فَيَقُولُ: اقْرأْ. فَأَقْرَؤُهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ سَقَطٌ أَقَامَهُ، ثُمَّ يُخْرِجُهُ إِلَىٰ الناسِ»[1].

وَالشاهِدُ أَنَّ سَيِّدَنَا زَيْدًا كَاتِبَ الْوَحْيِ يَذْكُرُ أَنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَفخذُ النبيِّ ﷺ عَلَىٰ

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ( تح .طارق بن عوض الله وصاحبه ٢/ ٢٥٧ برقم (١٩١٣)، وقال مؤلف ( تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرآن الكريم) إنه في دلائل النبوة ٣/ ٤ أيضا .

رِجْلِ زَيْدٍ ـ حسب الرِوَايَةِ الْأُولَىٰ ـ فَتَثْقُلُ فَخِذُ النبيِّ ﷺ عَلَىٰ رِجْلِ زَيْدٍ مِنْ ثِقَلِ الْوَحْي عَلَىٰ النبيِّ ﷺ حَتَّىٰ تَكَادُ تَكْسِرُهَا. وَالْكِتَابَةُ فِي الرِوَايَتَيْنِ تَتِمُّ أَثْنَاءَ نُزُولِ الْوَحْيِ. فَهَـٰذِهِ فَوْرِيَّةٌ فِي التَدْوِينِ مَا فَوْقَهَا فَوْرِيَّةٌ.

٢ـ جَاءَ فِي كِتَابِ «الرِيَاض النضِرَةِ» :«عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرحْـمَٰنِ (بْنِ عَوْفٍ) عَنْ أُمِّهَا أَنَهَا سَأَلَتْ عَائِشَةَ- وَأَرْسَلَهَا عمُّها ـ فَقَالَ: إِنَّ أَحَدَ بَنِيكَ يُقْرِئُكَ السلَامَ، وَيَسْأَلُكَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ، فَإِنَّ الناسَ قَدْ شَتَمُوهُ. فَقَالَتْ: لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَهُ، فَو اللهِ لَقَدْ كَانَ قَاعِدًا عِنْدَ نبيِّ اللهِ ﷺ ، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لمسنِدٌ ظَهْرَهُ إِلَيَّ، وَإِنَّ جِبْرِيلَ لَيُوحِي إِلَيْهِ الْقُرْآنَ، وَإِنَّهُ لَيَقُولُ لَهُ: اكْتُبْ يَا عُثَيْمُ. فَمَا كَانَ اللهُ لُيُنْزِلَ تِلْكَ المَنْزِلَةَ عَبْدًا مِنْ نَبِيِّهِ إِلَّا كَانَ كَرِيمًا عَلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ. خَرَّجَهُ أَحْمَدُ وَخَرَّجَهُ الحَاكِمى. وَقَالَ: قَالَتْ: لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَهُ ـ لَا أَحْسَبُهَا قَالَتْ إِلَّا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُسْنِدٌ فَخِذَهُ إِلَىٰ عُثْمَانَ، وَإِنِّي لَأَمْسَحُ الْعَرَقَ عَنْ جَبِينِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَإِنَّ الْوَحْيَ لَيَنْزِلُ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ لَيَقُولُ: اكْتُبْ يَا عُثَيْم، فَو اللهِ مَا كَانَ اللهُ لِيُنْزِل عَبْدًا مِنْ نَبِيِّهِ تَلِكَ المَنْزِلَةَ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِ كَرِيمًا»[١].

فَأَنْتَ تَرَىٰ فَوْرِيَّةَ تَدْوِينِ الْوَحْيِ مُجَسَّمَةً هُنَا حَتَّىٰ إِنَّ الرسول ﷺ يُمْلِي الْقُرْآنَ عَلَىٰ عُثْمَانَ رضي الله عنه فِي أَثْنَاءِ نُزُولِ الْوَحْيِ بِهِ عَلَيْهِ. وَبَدَهِيٌّ أَنَّ عُثْمَانَ رضي الله عنه كَانَ حَاضِرًا فِي أَثْنَاءِ هَـٰذِهِ المَرَّةِ مِنْ نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ ﷺ وَكَانَ عُثْمَانُ مِنْ كُتَّابِ الْوَحْي فَأَمَرَهُ النبيُّ ﷺ بِكِتَابَةِ مَا أُنزِلَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَتَطَلَّب الْأَمْرُ اسْتِدْعَاءَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ كَبِيرِ كُتَّابِ الْوَحْيِ، كَمَا عَلَىٰ الدارِسِ أَنْ يَتَذَكَّرَ أَنَّ عُثْمَانَ رضي الله عنه كَانَ صِهْرَ رَسولِ اللهِ ﷺ

---

(١) ينظر (الرياض النضرة في مناقب العشرة) لأبي أحمد جعفر الشهير بالمحب الطبري ت٦٩٤هـ (تح. د. حمزة النشرتي وآخرين). (المكتبة القيمة القاهرة) ص٤٩٢-٤٩٣.

وَهَـٰذَا يُفَسِّرُ التبَسُّطَ فِي الجِلْسَةِ، وَفِي المخَاطَبَةِ.

٣ـ جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: لما نزَلَتْ: ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْـمُؤْمِنِينَ ... وَالْـمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ...﴾ [النساء: ٩٥] قَالَ ﷺ: ادْعُوا فُلَانًا (أي زَيْدَ ابنَ ثابتٍ كَمَا فِي رِوَايَةٍ أُخرَىٰ فِي الْبُخَارِي أَيْضًا) فَجَاءَ وَمَعَهُ الدوَاةُ وَاللوْحُ أَوِ الْكَتِفُ، فَقَالَ ﷺ اكْتُبْ «لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ المؤْمِنِينَ وَالمجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله»، وَخَلْفَ النبيِّ ﷺ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ. فَقَالَ يَا رَسُولَ الله أَنَا ضَرِيرٌ (يَعْنِي أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُجَاهِدَ لِأَنَّهُ ضَرِيرٌ، فَلَا يَسْتَحِق أَنْ يُؤَخَّرَ)، فَنَزَلَتْ مَكَانَهَا: «لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ المؤْمِنِينَ غَير أُولِي الضَّرَرِ وَالمجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله...» وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ: قَال ابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ: واللَّـهِ لَوْ أَسْتَطِيعُ الجِهادَ لَجَاهَدْتُ. قَالَ زَيْدٌ فأنزل الله عَلَىٰ رَسُولِهِ وَفَخِذُهُ عَلَىٰ فَخِذِي، فثقلت عليَّ حَتَّىٰ خفتُ أَنْ تُرَضَّ فَخِذِي. ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ «غَير أُولِي الضرَرِ»[1].

والشاهِدُ لِلْفَوْرِيَّةِ هُنَا وَاضِحٌ أَيْضًا: نَزَلَتِ الْآيَةُ، فَاسْتُدْعِيَ زَيْدٌ، وَكَانَ مَنْزِلُهُ بِجِوَارِ منزلِ النبيِّ ﷺ (فتح الباري/ الحلبي ٩/ ٣٢٨- ٣٢٩) فَلَا يَسْتَغْرِقُ حُضُورُهُ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِ دَقَائِقَ. فَكَتَبَ، وَكَانَ الضريرُ حَاضِرًا فَسَمِعَ، فَشَكَا، فَنَزَل الاسْتِثْنَاءُ، فَكُتِبَ أَيْضًا.

٤ـ جَاءَ فِي مَفَاتِيحِ الْغَيْبِ لِلْفَخْرِ الرازي (ت٦٠٦هـ) فِي أَوَّلِ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْأَنْعَامِ «قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضى الله عنه إِنَّهَا مَكِّيَّةٌ، نَزَلَتْ جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَامْتَلَأَ مِنْهَا الْوَادِي، وَشَيَّعَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، وَنَزَلَت الملَائِكَةُ فَملَئُوا مَا بَيْنَ الْأَخْشَبَيْنِ (وَهُمَا الجبَلَانِ

---

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير/ ب١٨/ ٤٥٩٢، ٤٥٩٥. (ط .الشعب ٦/ ٦٠، ٢٢٧، عناية محمد زهير بن ناصر ٦/ ٤٧- ٤٨) وينظر تفسير القرطبي ٥/ ٤٣٢ حيث نقل لفظ أبي داود في هذه الواقعة نفسها.

اللَّذانِ يُحِيطَانِ بِمَكَّةَ)، فَدَعَا الرسُول ﷺ الْكُتَّابَ وَكَتَبُوهَا مِنْ لَيْلَتِهِمْ، إِلَّا سِتَّ آيَاتٍ فَإِنَّهَا مَدَنِيَّاتٌ...»[1].

وَلَا يَخْفَىٰ أَنَّ نُزُولَهَا لَيْلًا مَعَ كَوْنِ الْكُتَّابِ كَتَبُوهَا مِنْ لَيْلَتِهِمْ، هُوَ أَمْرٌ نَاطِقٌ بِالْفَوْرِيَّةِ ؛ لِأَنَّ سُورَةَ الْأَنْعَامِ مِنَ السورِ السبْعِ الطوالِ. وَكِتَابَتُهَا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ فِي ذَٰلِكَ الْعَهْدِ بِظُرُوفِ الْكِتَابَةِ فِيهِ تكَادُ تَكُونُ مِنَ الْإِعْجَازِ. وَقَدْ ذُكِرَتْ عِبَارَةُ «كَتَبُوهَا مِنْ لَيْلَتِهِمْ» فِي كِتَابَي الْقُرْطُبِي: التفسِيرِ وَالتذْكَارِ، ضمن (خبر)، وأصله بسنده، في تفسير المهدوي الْكَبِيرِ وَغَيْرِهِ. وَجَاءَتِ الْعِبَارَةُ فِي تَفْسِيرَي الرازي وحاشية زاده مُسْنَدَةً إِلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه. وَهِي في التفَاسِيرِ المذْكُورَةِ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْأَنْعَامِ}.

٥- فِي تَفْسِيرِ الطبري عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ المسَيّبِ «أَنَّ أَحَدَ كُتَّابِ الْوَحْي» إِنَّمَا افتتن بِسَبَبِ أَنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ الْوَحْي، فَكَانَ يُمْلِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَمِيع عَلِيم»، أو «عَزِيز حَكِيم» أَوْ غَيْرَ ذَٰلِكَ مِنْ خَوَاتِمِ الْآيِ، ثُمَّ يشتغل عنه رسول الله ﷺ وَهُوَ عَلَىٰ الْوَحْيِ، فَيَسْتَفْهِمُ رَسُولَ الله ﷺ فَيَقُولُ: أَعَزِيزٌ حَكِيم، أَوْ سَمِيعٌ عَلِيم، أَوْ عَزِيز عَلِيم؟ فيقولُ لَهُ رَسُول الله ﷺ: أَيَّ ذَٰلِكَ كتبت فَهُوَ كَذَٰلِكَ. ففتنه ذَٰلِكَ، فَقَالَ إِنَّ مُحَمَّدًا وَكَلَ ذَٰلِكَ إِلَيَّ، فأكتبُ ما شئتُ. وَهُوَ الَّذِي ذَكَر لي سعيدُ بن المسيب من الحروف السبعة»[2].

---

(١) مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير للرازي (الغد العربي مجلد ٦/ ٢٠٧)، والقرطبي (وأحال علىٰ تفسير المهدوي (الكبير) ولم يتح لي رؤيته)، والنيسابوري، والجمل، وحاشية زاده، كل ذلك في أول (سورة الأنعام) والشاهد أيضا في التذكار للقرطبي (تح . ثروت نافع) ١٥٨.

(٢) تفسير الطبري (تح. شاكر) ١/ ٥٤ (بتصرف يسير للتوضيح) وهنا توضيحات: أ- محقق الطبري الشيخ أحمد محمد شاكر - رحمهما الله - علق في هٰذا الموضع بأن قصة الكاتب المذكور هي في الآية ٩٣ من سورة الأنعام﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا﴾ إلخ. ب- كاتب الوحي المذكور هو عبد الله بن سعد بن

أَقُولُ (أَنَا مُحَمَّدُ حَسن حسن جَبَل) إِنَّ الشاهِدَ هُنَا هُوَ أَنَّ ذَلِكَ الْكَاتِبَ كَانَ يَكْتُبُ وَيَسْتَفِهْمُ رَسُولَ الله ﷺ «وَهُوَ عَلَىٰ الْوَحْيِ» حسب نَصِّ الحَدِيثِ أي وَهُوَ ملابِسٌ لِلْوَحْيِ إِمْلَاء. وَهَـٰذِهِ فَوْرِيَّةٌ وَاضِحَةٌ تمامًا، فَهُوَ لَيْسَ بَعْدَ انْتِهَاءِ الْوَحْيِ بِيَوم وَلَا بِسَاعَةٍ وَإِنَّمَا هُوَ «وَهُوَ عَلَىٰ الْوَحْيِ».

## ب ـ الْـمُراجَعَةُ:

جَاءَ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ: «كُنْتُ أَكْتُبُ الْوَحْيَ عِنْدَ رَسُولِ اللّـهِ ﷺ وَهُوَ يُمْلِي عَلَيَّ، فَإِذَا فَرغتُ قَالَ: اقْرَأْهُ. فَأَقْرَؤُهُ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ سَقَطٌ أَقَامَهُ»[1].

---

أبي سرح العامري القرشي، وكان من الذين يكتبون الوحي لرسول الله ﷺ، وكان قد ارتد ثم عاد إلىٰ الإسلام وحسن إسلامه وهو الذي فتح أفريقية. وينظر الطبري، (تح التركي ٩/ ٤٠٤).

ب- معنىٰ قول النبي ﷺ للكاتب أي ذلك كتبت فهو كذلك، أن الله ﷻ متصف بكل هٰذه الصفات فهو سبحانه «عزيز حكيم» وهو سبحانه «سميع عليم»، وهو سبحانه «عزيز عليم». ولا يتأتىٰ لذي حس إيماني مرهف أن يُسأل سؤال الكاتب المذكور فيجيب: لا، أو: ليس عزيزًا حكيمًا. والنبي ﷺ أعلىٰ البشر علىٰ الإطلاق حسًّا وشعورًا بجلال صفات الله ﷻ ، وإذا كان الكاتب - في ذلك الظرف- ضحل الإيمان مختل الأمانة فلا ينبغي أن يكون لكلامه وزن أو حرمة. ولا يفوتن القارئ أن ذلك الكاتب كان يوجه السؤال للرسول ﷺ في أثناء اشتغال رسول الله ﷺ بتلقي الوحي.

أما ما ادعاه ذلك الكاتب من أنه كان يكتب ما يريد هو لا ما يمليه عليه رسول الله ﷺ فهو باطل تماما؛ لأن الرسول ﷺ كان يراجع ما أملاه (ينظر وثاقة نقل النص ص٢٠٦)، وكان جبريل عليه السلام يعارضه كل سنة بما أنزل من القرآن، ولو افترضنا صحة ما ادعاه ما قَبِلَ هو أن يعود إلىٰ الإسلام، ولكان أول مقتضيات قبوله العودة أن يصحح ما زعم أنه ارتكبه. والذي يبدو لي أن هٰذا الادعاء منه كان لمجرد تعليل ارتداده ـ حين ارتد ـ بعلة تروق الكفار القائلين بأن القرآن ليس من عند الله، وذلك لكي يتجاوز له الكفار عن سابقة اتباعه لمحمد ﷺ.

(١) ذكر هذا الحديث أبو بكر الصولي في كتابه أدب الكتاب (بتصحيح محمد بهجة الأثري ونظر فيه السيد محمود شكري الآلوسي) ص١٦٥ وهناك ذكر سند مؤلف أدب الكتاب بهذا الحديث إلىٰ سليمان بن خارجة

فَهَـٰذِهِ مُرَاجَعَةٌ فَوْرِيَّةٌ أَيْضًا لَكِنَّهَا المعْتَادَةُ فِي الْكِتَابَةِ، وَهُنَاكَ المَرَاجَعَةُ السنويَّةُ وَهِي المَرَاجَعَةُ النبويَّةُ الملكَية حَيْثُ كَانَ جِبْرِيلُ عليه السلام يُعَارِضُ النبيَّ ﷺ بِالْقُرْآنِ (أي يُرَاجِعُهُ مَعَهُ) فِي رَمَضَانَ مِنْ كُلِّ عَامٍ، وَعَارَضَهُ فِي رَمَضَانَ الْعَامَ الْأَخِيرَ مِنْ حَيَاتِهِ ﷺ مَرَّتَيْنِ. وَقَدْ جَاءَ بِهَـٰذِهِ المَرَاجَعَةِ حَدِيث بخاري[1].

# قِيمَةُ الْفَوْرِيَّةِ

إِنَّ قِيمَةَ تَدْوِينِ الْقُرْآنِ فَوْرَ نُزُولِهِ عَلَىٰ النبيِّ ﷺ بَالِغَةُ النفَاسَةِ، ذَلِكَ أَنَّهَا تَعْنِي أَنَّ الَّذِي كُتِبَ بَيْنَ يَدَي النبيِّ ﷺ وَبِإِمْلَائِهِ ﷺ هُوَ عَيْنُ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﷺ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْإِنْزَالِ وَالتدْوِينِ زَمَنٌ يُتَصَوَّرُ فِيهِ النسيَانُ - مَعَ أَنَّ النسيَانَ فِي الْقُرْآنِ غَيْرُ وَارِدٍ عَلَيْهِ ﷺ بِضَمَانِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَىٰ. إلا مَا شَاءَ اللَّـهُ﴾، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ثَمَّت دَاعٍ - فِي هَـٰذِهِ الْفَوْرِيَّةِ - إِلَىٰ تَبْدِيلِ كَلِمَةٍ بِأُخْرَىٰ عَلَىٰ نَمَطِ قِرَاءَةِ «فَامْضُوا إِلَىٰ ذِكْرِ الله» بَدَلًا مِنْ ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّـهِ﴾ - كَمَا قَرَأَ بَعْضُ الصحَابَةِ بَعْدَ ذَلِكَ بِنَاءً عَلَىٰ رُخْصَةِ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ.

وَبَعْدُ ،فَقَدْ وَضَحَ الْآنَ أَنَّ تَدْوِينَ الْوَحيِ فَوْرَ نُزُولِهِ - كَمَا بَيَّنَّا - قَدْ عَصَمَ النصَّ الْقُرْآنِيَّ الْكَرِيمَ مِنْ كُلِّ تَحْرِيفٍ وَتَبْدِيلٍ. وَالَّذِي أَعنيهِ تَحْدِيدًا هُنَا هُوَ أَنَّ ذَلِكَ التدْوِينَ الْفَوْرِيَّ قَدْ عَصَمَ النصَّ الْكَرِيمَ مِنْ أَنْ تَسقُطَ مِنْهُ كَلِمَةٌ مُنْزَلَة أَوْ تَدْخُلَهُ كَلِمَةٌ غَيْرُ مُنْزَلَة

---

بن زيد بن ثابت >. وقد مر توثيق لهذا الأثر أقوىٰ من أدب الكتاب في الشاهد رقم ١ من شواهد فورية التدوين وينظر (وثاقة نقل النص القرآني الكريم من رسول الله ﷺ إلىٰ أمته) د. محمد حسن حسن جبل ٢٠٥.

(١) ينظر صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن ب٧/ رقم ٤٩٩٧، ٤٩٩٨.

مِمَّا يُمْكِنُ أَنْ تَتَسَبَّبَ فِيهِ رُخْصَةُ الْقِرَاءَةِ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ مِنْ تَبْدِيلِ كَلِمَةٍ أَوْ كَلِمَاتٍ مِن غَيْرِ الْمُنْزَلِ بِكَلِمَةٍ أَوْ كَلِمَاتٍ مِنَ النصِّ الْمُنْزَلِ. أي أَنَّ التدْوِينَ الْفَوْرِيَّ جَعَلَ الموْقِفَ كَالتالِي: إِنَّ الْوَحْيَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ قَدْ دُوِّنَ وَسُجِّلَ كِتَابَةً فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِ مِنَ الضيَاعِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْفَظَهُ كَمَا أُنْزِلَ تَمَامًا فَلْيَحْفَظْهُ حَامِدًا للهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ هَـٰذِهِ النعْمَةِ، وَمَنْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْفَظَهُ كَمَا أُنْزِلَ تَمَامًا لِظُرُوفٍ خَاصَّةٍ بِهِ (أُمِّيَّة أَوْ كِبَر سِنٍّ أو اشْتِغَالٍ بِضَرُورَاتٍ أَوْ لِعَجْزٍ عَنِ الاسْتِظْهَارِ الحرفيِّ ) فَلْيَقْرَأْ كَمَا تَيَسَّرَ لَهُ، وَلَا خَوْفَ عَلَىٰ النصِّ الْكَرِيمِ مِنْ هَـٰذَا التيسِيرِ، فَإِنَّ النصَّ الْكَرِيمَ قَدْ دُوِّنَ خَطِّيًّا فَوْرَ نُزُولِهِ ـ دُونَ أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ أَيَّةُ فُرْصَةٍ لِتَسَرُّبِ كَلِمَةٍ غَيْرِ مُنْزَلَة إِلَيْهِ. وَصَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ :﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ .

لَقَدْ دُوِّنَ الْقُرْآنُ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْوَحْيُ تَدْوِينًا فَوْرِيًّا فِي الموادِّ المتاحَةِ فِي ذَلِكَ الزمَنِ وَتِلْكَ الْبِيئَةِ الْعَرَبِيَّةِ: الْعُسُب (جريد النخلِ بَعْد كَشْطِ السعَفِ) وَاللِّخَاف (الحجارة العريضة) وَالْأَكْتَاف (ألواح أكتاف الذبائح التي أكلوها)، وتمَّ ذَلِكَ التدوينُ الْفَوْرِيُّ بَيْنَ يَدَي النبيِّ ﷺ، وَبِإِمْلَائِهِ شَخْصِيًّا[1]، ثُمَّ لما أُرِيدَ جَمْعُ النصِّ الْكَرِيمِ فِي صُحُفٍ مُرَتَّبَ الْآيَاتِ فِي سُوَرِهَا وَمُرَتَّبَ السوَرِ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ رضى الله عنه جُمِعَ من تلك الموادِّ الَّتِي دُوِّنَ فِيهَا، مَعَ التَّوَثُّقِ مِنْ ذَلِكَ بِشُهُود يَشْهَدُونَ بِتَلَقِّي ذَلِكَ المكتوبِ مِنَ النبيِّ ﷺ قِرَاءَةً، وَبِأَنَّهُ مِمَّا كُتِبَ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ[2] .

---

(١) لمعرفة تفاصيل كتابة القرآن الكريم في عهد النبي ﷺ ثم في عهد أبي بكر ثم نسخه في عهد عثمان {مع توثيق جزئيات كل ذلك ـ ينظر كتاب «وثاقة نقل النص القرآني» د. محمد حسن حسن جبل ص١٨٦- ٢٦٨.

(٢) ينظر التعليق السابق لهذا .

فالمصحفُ الْبَكْرِيُّ (أَعْنِي تِلْكَ الصحفَ التي نُقِلَتْ مِمَّا دُوِّنَ بَينَ يَدي النبيِّ ﷺ وَبِإِمْلَائِهِ وَمُرَاجَعتِه شَخْصِيًّا) كَانَ سِجِلًّا أَمِينًا لِلْوَحْيِ الَّذِي نَزَلَ عَلَىٰ النبيِّ ﷺ دُونَ أَيَّةِ زِيَادَةٍ أَو أيِّ نَقْصٍ:

وَلَمَّا جَاءَ عَهْدُ عُثْمَانَ رضى الله عنه نُقِلَتْ مِنْ مُصْحَفِ أَبِي بَكْرٍ عِدَّةُ نُسَخٍ رَاجَعَهَا عُثْمَانُ بِنَفْسِهِ عَلَىٰ مُصْحَفِ أَبِي بَكْرٍ(١). فَلَمَّا اطْمَأَنَّ إِلَىٰ مُطَابَقَتِهَا لَهُ وَزَّعَهَا عَلَىٰ الْأَمْصَارِ أي أَرْسَلَ نُسْخَةً مِنَ المصْحَفِ إِلَىٰ كُلِّ مِصْرٍ (مَكَّةَ وَالْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ وَالشامِ ـ وَرُبَّمَا غَيرِهَا أَيْضًا وَأَبْقَىٰ بِالمدِينَةِ وَاحِدًا لِلْعَامَّةِ وَنُسْخَةً خَاصَّةً لَهُ)، لِيَلْتَزِمَ الجَمِيعُ بِالْقُرْآنِ المنزَّلِ، دُونَ خَلْطِهِ بِمَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَرَأَ بِهِ الْآخِذُونَ بِالتيْسِيرِ الَّذِي أَتَاحَهُ حَدِيثُ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ. فَالمصَاحِفُ الْعُثْمَانِيَّةُ تَشْتَمِلُ عَلَىٰ مَا نَزَلَ بِهِ الْوَحْيُ مُبَاشَرَةً، أَعْنِي تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ كُلِّهِ وَحْدَهُ، وَلَمْ يَتَسَرَّبْ إِلَيْهَا أَيُّ لَفْظٍ مِنَ المرَادِفَاتِ أَوْ شِبهِهَا الَّتِي كَانَتْ قَدْ رُخِّصَ فيها.

## ثمرةٌ أُخْرى خالدة للتدوينِ الفوريِّ:

ذَكَرْنَا فِي السطُورِ السابِقَةِ أَنَّ التدْوِينَ الْفَوْرِيَّ عَصَمَ النصَّ الكَرِيمَ ـ بِتَوْفِيقِ الله ﷻ ـ مِنْ أَنْ تَسْقُطَ مِنْهُ كَلِمَةٌ مُنْزَلَة، أَوْ تَدْخُلَهُ كَلِمَةٌ غَيرُ مُنْزَلَةٍ مِنْ ذَلِكَ الَّذِي كَانَتْ رُخْصَة الْأَحْرُفِ السبْعَة أَجَازَتْهُ مُؤَقَّتًا إِلَىٰ أَنْ أَجْمَعَ الصحَابَةُ رضي الله عنهم عَلَىٰ المصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ، فَانْتَهَتِ الرخْصَةُ، وَرَجعَ الْأَمْرُ إِلَىٰ الالْتِزَامِ بِعَيْنِ مَا أُنْزِلَ وَدُوِّنَ بِإِمْلَاءِ النبيِّ ﷺ وَتَرْكِ مَا سِوَاهُ.

وَفِيمَا يَلِي تَنْوِيهٌ بِثَمَرَةٍ أُخْرَىٰ خَالِدَةٍ نَبَّهَ إِلَيْهَا الْإِمَامُ أَبو شَامَةَ، وَهِيَ التزَامُ كُتَّابِ المصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ بِعَيْنِ المكْتُوبِ بَيْنَ يَدَي النبيِّ ﷺ. أي أَنَّ الَّذِي دُوِّنَ فَوْرِيًّا بَيْنَ يَدَي

(١) ينظر التعليق قبل السابق.

النبيِّ ﷺ صار سَندًا خطيًّا لِلْصحُفِ الْقُرْآنِيَّةِ التي جُمِعَتْ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ، وَهَـٰذِهِ صَارَتْ سَندًا خَطيًّا لِلْمَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ. وَقَدْ سَبَقَ الْإِمَامُ أَبُو شَامَةَ فَلَمَحَ ذَلِكَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ الْآنَ. وَمِنْ حَقِّهِ أَنْ نُبْرِزَ لمحاتِهِ المبَارَكَةَ عَنْ هَـٰذِهِ الجُزْئِيَّةِ. جزَاهُ اللهُ خَيْرًا.

## أَوَّلًا: عَنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه :

١ـ عَلَّقَ أَبُو شَامَةَ عَلَىٰ قَوْلِ شَيْخِهِ السخَاوِيِّ :«كَانَ أَبِيٌّ يَتَتَبَّعُ مَا كُتِبَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ فِي اللخَافِ وَالْأَكْتَافِ وَالْعُسُبِ وَنَحْوِ ذَلِكَ» فَقَال: قُلْتُ: «إِنَّمَا كَانَ قَصْدُهُمْ أَنْ يَنْقُلُوا مِنْ عَيْنِ المكْتُوبِ بَيْنَ يَدَي النبيِّ ﷺ وَلَمْ يَكْتُبُوا مِنْ حِفْظِهِمْ ؛ لِأَنَّ قِرَاءَتَهُمْ كَانَتْ مُخْتَلِفَةً، لما أُبِيحَ لَهُمْ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ـ عَلَىٰ مَا سَيَأْتِي تَفْسِيرُهَا»(١).

٢ـ قَالَ أَبُو شَامَةَ فِي قِصَّةِ الْآيَةِ الَّتِي كَانَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ قَدِ افْتَقَدَهَا وَهُوَ يَجْمَعُ الْقُرْآنَ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ لِيَكْتُبَهُ مَجْمُوعًا فِي مُصْحَفٍ: «وَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ (زَيْد) «فَقَدْتُ آيَةً كَذَا فَوَجَدْتُهَا مَعَ فُلَانٍ..» أَنَّهُ كَانَ يَتَطَلَّبُ نَسْخَ الْقُرْآنِ (أي كِتَابَتَهُ) مِنْ عَيْنِ مَا كُتِبَ بِأَمْرِ النبيِّ ﷺ، فَلَمْ يَجِدْ كِتَابَةَ تِلْكَ الْآيَةِ مَعَ غَيْرِ ذَلِكَ الشخْص، وَإِلَّا، فَالآيَةُ كَانَتْ مَحْفُوظَةً عِنْدَهُ وَعِنْدَ غَيْرِهِ». (أي فِي صَدْرِهِ وَصَدْرِ غَيْرِهِ بدليل تذكره إياها وبحثه عنها)(٢).

٣ـ قَالَ أَبُو شَامَةَ فِي (الحَاصِلِ) الَّذِي قَدَّمَهُ قَبْلَ الْبَابِ الثالِثِ المخَصَّصِ لِحَدِيثِ الأَحْرُفِ السبْعَةِ:«وَكَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ غَرَضُهُ (أي مِنْ جَمْعِهِ الْقُرْآنَ فِي خِلَافَتِه رضى الله عنه) أَنْ يَجْمَعَ الْقُرْآنَ مَكْتُوبًا مُجْتَمعًا غَيْرَ مُفَرَّقٍ عَلَىٰ اللفْظِ الَّذِي أَمْلَاهُ رَسُولُ الله ﷺ

(١) المرشد الوجيز ٥٦ – ٥٧.

(٢) نفسه ص٥١. وكلمة (عين) مكتوبة في المطبوع (غير)، وعبارة (مع غير ذلك الشخص) مطبوعة (مع ذلك الشخص). والذي أثبتناه هو الصواب تماما. ومراجعة السياق تحققه.

عَلَىٰ كَتبَةِ الوحي لِيُعْلَمَ ذَلِكَ، وَلَمْ يَكل ذَلِكَ إِلَىٰ حِفْظِ مَنْ حَفِظَهُ خَشْيَةَ فَنائِهِم بِالْقَتْلِ، وَلاخْتِلَافِ لُغَاتِهِمْ فِي حِفْظِهِمْ- عَلَىٰ مَا كَانَ أُبيح لَـهُمْ مِنْ قِرَاءَتِهِ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»[1].

## ثَانِيًا: عَنْ كِتَابَةِ المَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ.

١ـ قَالَ أَبُو شَامَةَ فِي (الحَاصِلِ) المُشَارِ إِلَيْهِ فِي السطُورِ السابِقَةِ: «وَاعْلَمْ أَنَّ حَاصِلَ مَا شهدتْ بِهِ الْأَخْبَارُ المتقدِّمَةُ، وَمَا صَرَّحَتْ بِهِ أَقْوَالُ الأَئِمَّةِ:

أ- أَنَّهُ «لما وُلِّي عُثْمَانُ وَكَثُرَ المُسْلِمُون وَانْتَشَرُوا فِي الْبِلَادِ، وَخِيفَ عَلَيْهِمُ الْفَسَادُ مِن اخْتِلَافِهِمْ فِي قِرَاءَتِهِمْ: حَمَلَهُمْ عُثْمَانُ عَلَىٰ ذَلِكَ اللفْظِ الَّذِي جَمَعَهُ زَيْدٌ فِي خلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ. وَبَقَّيَ (أي ترك) مَا عَدَاهُ، لِيَجْمَعَ النَاسَ عَلَىٰ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ عَلَىٰ وَفقِ مَا نَزَلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ».

ب- أَنَّ نَسْخَ الْقُرْآنِ فِي المَصَاحِفِ (أي في عَهْدِ عُثْمَانَ رضى الله عنه) (كَانَ) «حَمْلاً للناسِ عَلَىٰ اللفظِ المكتوبِ حِينَ نُزُولِهِ بِإِمْلَاءِ الْمُنْزَلِ عَلَيْهِ ﷺ وَمَنْعًا مِنْ قِرَاءَةِ كُلِّ لفظ يُخَالِفُهُ»[2].

## إِشَارَةٌ إِلَىٰ تَوْثِيق:

مَا نَقَلْنَاهُ عَنْ أَبِي شَامَةَ فِي سُطُورٍ سَابِقَةٍ كَانَ تَأْكِيدًا مِنْهُ لمرْجِعِيَّةِ تَدْوِينِ الْقُرْآنِ فِي عَهْدِ النبيِّ ﷺ وَقَدْ وَثَّقْنَا نَحْنُ فَوْرِيَّةَ ذَلِكَ التدْوِينِ، فَصَارَ الْأَمْرُ أَقْوَىٰ وَثَاقَةً وَعِلْمِيَّةً. وَتَحْقِيقًا لِذَلِكَ وَإِتْمَامًا لَهُ فَإِنَّنَا نَضْرِبُ أَمْثِلَةً لما قَرَأَ بِهِ بَعْضُ الصحَابَةِ أَخْذًا بِرُخْصَةِ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ، دُونَ أَنْ تَصِلَ تِلْكَ الْقِرَاءَةِ إِلَىٰ المصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا. وَكَانَ

---

(١) المرشد الوجيز ص٧٠.

(٢) نفسه ص٧٠.

ذَلِكَ عَلَىٰ صُورَتَيْنِ مُفْرَدَاتٍ، وَعِبَارَاتٍ بِالتَقْدِيمِ وَالتأْخِيرِ.

وَمِنْ أَمْثِلَةِ النوْعِ الْأَوَّلِ أَنَّ سَيِّدَنَا عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ- وَهُوَ مَنْ هُوَ، وَكَان كَبِيرَ اللجْنَةِ الَّتِي جَمَعَت المصْحَفَ الْبَكْرِي – قَرَأَ «.. وَغَيْرِ الضَّالِّينَ » [الفاتحة:٧][1] وَلَمْ يَثْبُتْ ذَلِكَ فِي المصْحَفِ، وَأَنَّ الصحَابِيَّ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٠] هَـٰكَذَا: «كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ»«مَرُّوا فِيهِ»، وَقَرَأَهَا «سَعَوْا فِيهِ»[2] وَلَمْ تَثْبُتْ تِلْكَ الْقِرَاءَةُ فِي المصْحَفِ. وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [يس :٢٩] «... إِلَّا زَقْيَةً وَاحِدَةً»[3] وَقَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ :﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَىٰ الْكُفَّارِ﴾ [الممتحنة :١١] «وَإِنْ فَاتَكُمْ أَحَدٌ...»[4] وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يُقْرِئُ رَجُلًا: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ. طَعَامُ الأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤٤] فَقَرَأَ الرجُلُ «.. طَعَامُ الْيَتِيمِ» فَأَعَادَ عَلَيْهِ الصوَابَ فَأَعَادَ الرجُلُ الخَطَأَ. فَلَمَّا تَكَرَّرَ ذَلِكَ قَالَ لَهُ: أَتُحْسِنُ أَنْ تَقُولَ :«طَعَامُ الْفَاجِرِ»؟ قَالَ نَعَمْ. قَالَ : فَافْعَلْ[5]. وَلَمْ يَثْبُتْ أَي مِنْ ذَلِكَ فِي المصْحَفِ.

وَمِنْ أَمْثِلَةِ التقْدِيمِ وَالتأْخِيرِ ، وَمَا إِلَيْهِ فِي أَلْفَاظِ الْعِبَارَةِ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّـهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥] قَرَأَهَا ابْنُ مَسْعُودٍ :«.. عَلَىٰ

---

(١) البحر (الكتب العلمية) ١/ ١٥٠ .

(٢) الإتقان (تح. أبي الفضل) ١/ ١٦٨ .

(٣) جامع البيان (تفسير) الطبري ١/ ٥٤ .

(٤) لسان العرب (أحد).

(٥) الإتقان ١/ ١٦٨ .

قَلْبِ كُلِّ..»(1) وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْـمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [سورة :ق١٩] قُرِئَتْ :«وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الحَقِّ بِالمَوْتِ»(2) وَهَـٰكَذَا. وَلَمْ يَثْبُتْ أَيٌّ مِنْ ذَلِكَ فِي المصْحَفِ.

وَنُحِيلُ بَعْدَ هَـٰذِهِ الْإِشَارَةِ عَلَىٰ مُعْجَم قِرَاءَاتِ الصحَابَةِ الَّذِي صَنَعَهُ أَخِي الجَلِيلُ الْعَلَّامَةُ الْأُسْتَاذُ الدكتُور الموَافِي الرِّفَاعِي الْبِيَلِي ـ حَفِظَهُ اللهُ ـ فَفِي جَامِعِهِ هَـٰذَا مَا يَكْفِي وَيشْفِي فِي هَـٰذِهِ الناحِيَةِ إِنْ شَاءَ اللَّـهِ تَعَالَىٰ.

❋ ❋ ❋

(١) الإتقان ١/ ١٦٨.

(٢) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (تح السيد صقر) ٢٨.

# الفَصْلُ الرَّابِعُ

# تَعْبِيرَاتُ الأَئِمَّةِ عَنِ انْتِهَاءِ رُخْصَةِ القِرَاءَةِ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ

## ١ـ الْإِمَامُ الطَّبَرِيُّ (ت ٣١٠هـ) :

عَبَّرَ الْإِمَامُ الطبرِيُّ عَنِ انْتِهَاءِ رُخْصَةِ الْقِرَاءَةِ عَلَىٰ سبعَةِ أَحْرُفٍ بِمَا خُلَاصَتُهُ أَنَّ تِلْكَ الرُّخْصَةَ كَانَتْ تَخْيِيرًا لِلْأُمَّةِ أَنْ يَقْرَءوا عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ أي عَلَىٰ أيِّ حَرْفٍ تيَسَّرَ لهمْ. فَلَمَّا وَقَعَ الاخْتِلَافُ وَالتنَازُعُ بَيْنَ جَمَاعَاتٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، بِسَبَبِ تَفْضِيلِ كُلٍّ مِنَ الجَمَاعَاتِ الحرفَ الَّذِي اخْتَارَتْهُ عَلَىٰ الحَرْفِ الَّذِي اخْتَارَتْهُ الجَمَاعَةُ الْأُخْرَىٰ، وَتَنَازَعُوا فِي ذَلِكَ حَتَّىٰ كَفَرَ كُلُّ فَرِيقٍ بِقِرَاءَةِ الْفَرِيقِ الْآخَرَ. كَمَا وَقَعَ بَيْنَ غلمانِ الْكَتَاتِيبِ المختلفي الْقِرَاءَةِ، ثُمَّ ارْتَفَعَ النزَاعُ وَالتكْفِيرُ إِلَىٰ مَا بَيْنَ مُعَلِّمِي الْكَتَاتِيبِ[1]، وَكَمَا وَقَعَ بَيْنَ جُنُودِ الْعِرَاقِ وَجُنُودِ الشامِ فِي مَوْقِعَةِ غَزْوِ أَرْمِينِيَّةَ[2]، لما حَدَثَ ذَلِكَ النزَاعُ اسْتَشَارَ أَمِيرُ المؤْمِنِينَ الصحَابَةَ فَأَجْمَعُوا مَعُهَ عَلَىٰ الاقْتِصَارِ عَلَىٰ حَرْفٍ وَاحِدٍ بعَيْنِهِ، وَهُوَ حَرْفُ زَيْدٍ الَّذِي سَجَّلَهُ فِي مُصْحَفِ أَبِي بَكْرٍ نَقْلًا عَنِ الْعَرَائِضِ الَّتِي كُتِبَتْ بِإِمْلَاءِ النبيِّ ﷺ نَفْسِهِ فَوْرَ نُزُولِ الْوَحيِ عَلَيْهِ. فَأَمَرَ عُثْمَانُ ﷺ بِنَسْخِ مَصَاحِفَ سَبْعَةٍ {أَوْ أَكْثَرَ} مِنْ مُصْحَفِ أَبِي بَكرٍ، وَوُزِّعَتْ تِلْكَ المَصَاحِفُ عَلَىٰ الْأَمْصَارِ. وَخُرِّقَت المصَاحِفُ التي تُخَالِفُ المصَاحِفَ

(١) ينظر تفسير الطبري (شاكر) ١/ ٦١- ٦٢.

(٢) ينظر تفسير الطبري (شاكر) ١/ ٦٢، والمرشد الوجيز ٥٠، ٦٨.

الْعُثْمانِيَّةَ، وَبِذَلِكَ هُجِرَتْ القراءاتُ المخالفةُ لِلْمَصَاحِفِ الْعُثْمانِيَّةِ، وَانْتَهَتِ الرُّخْصَةُ[1].

## ٢ ـ الْإِمَامُ الطَّحَاوِيُّ (ت ٣٢١هـ) :

أ ـ قَالَ : «كَانَتْ هَـٰذِهِ السبعَةُ لِلناسِ فِي الْحُرُوفِ، لِعَجْزِهِمْ عَنْ أَخْذِ الْقُرْآنِ عَلَىٰ غَيْرِهَا (أي عَلَىٰ غَيْرِ الترْخِيصِ بِإِبْدَالِ الْأَلْفَاظِ إِذَا غَابَ اللفْظُ الْقُرْآنِيُّ عَن الذهْنِ»؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أُمِّيِّينَ لَا يَكْتُبُونَ إِلَّا الْقَلِيلَ مِنْهُمْ، فَكَانَ يَشقُّ عَلَىٰ كُلِّ ذِي لُغَةٍ مِنْهُمْ أَنْ يَتَحَوَّلَ إِلَىٰ غَيْرِهَا مِنَ اللغَاتِ، ولَوْ رَامَ ذَلِكَ لَمْ يَتَهَيَّأْ لَهُ إِلَّا بِمَشَقَّةٍ عَظِيمَةٍ، فَوُسِّعَ لهمْ فِي اخْتِلَافِ الْأَلْفَاظِ إِذَا كَانَ المعنَىٰ مُتَّفِقًا. فَكَانُوا كَذَلِكَ حَتَّىٰ كَثُرَ مَنْ يَكْتُبُ مِنْهُمْ، وَحَتَّىٰ عَادَتْ (لُغَاتُهُمْ إِلَىٰ لِسَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ) أي أَلِفُوا لُغَتَهُ ﷺ، وَهِي لُغَةُ قُرَيْشٍ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرآنُ)، فَقَرَءوا بِذَلِكَ عَلَىٰ تَحَفُّظِ أَلْفَاظِهِ (أي عَلَىٰ الالْتِزَامِ بِأَعْيَانِهَا دُونَ تَبْدِيلٍ)، وَلَمْ يَسَعْهُمْ ـ حِينَئِذٍ ـ أَنْ يَقْرءُوا بِخِلَافِهَا. وَبَانَ بِذَلِكَ أَنَّ تِلْكَ السبْعَةَ الْأَحْرُفَ إِنَّمَا كَانَتْ فِي وَقْتٍ خَاصٍّ، لِضَرُورَةٍ دَعَتْ إِلَىٰ ذَلِكَ، ثُمَّ ارْتَفَعَتْ تِلْكَ الضرُورةُ، فَارْتَفع حُكْمُ هَـٰذِهِ السبعةِ الأحرفِ وَعَادَ مَا يُقْرأ به القرآنُ إِلَىٰ حَرْفٍ وَاحِدٍ[2].

ب ـ قَالَ الطَّحَاوِيُّ: «كَانَ ذَلِكَ رُخْصَةً لَمَّا كَانَ يَتَعَسَّرُ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْهُم التلاوةُ بِلَفظٍ وَاحِدٍ، لِعَدَمِ عِلْمِهِمْ بِالْكِتَابَةِ وَالضبْطِ وَإِتْقَانِ الحِفْظِ. ثُمَّ نُسِخَ بِزَوَالِ الْعُذْرِ وَتيَسُّرِ الْكِتَابَةِ وَالْحِفظ. وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَالْبَاقِلَّانِيُّ وَآخَرُونَ»[3].

## ٣ـ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرِ بْنِ الطَّيِّبِ الْبَاقِلَّانِيُّ (ت ٤٠٣هـ) :

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ الْإِمَامُ الْبَاقِلَّانِيُّ مَعْنَىٰ السبْعَةِ أَحْرُفٍ (فَذَكَرَ ثَلَاثَ سَبْعَاتٍ: سَبْعَة

---

(١) ينظر لتعبير الإمام الطبري عن انتهاء الرخصة تفسير الطبري (شاكر) ١/ ٥٨- ٥٩، ٦١-٦٥.

(٢) المرشد الوجيز ١٠٤، والفقرة كلها في التمهيد (تح. عطا) ٣/ ٦٣٨.

(٣) ينظر (الانتصار للقرآن) للباقلاني (تح . عمر القيام) ١/ ٣٣٨- ٣٤٤.

الْأَبْوَابِ: أَمْر وَنَهْي .. إلخ، وَسَبْعَةَ أَوْجُهِ الْقِرَاءَةِ وَمِنْهَا أَسْمَاءٌ مُخْتَلِفَةُ اللَّفظِ مُتَّفِقَة المعنَىٰ، والثالِثَة أَسْمَاءِ اللَّـهِ ﷻ فِي خَوَاتِمِ الْآيَاتِ) افْتَرَضَ سُؤَالًا: «مَا تَقُولُونَ فِي بَقَاءِ هَـٰذِهِ الْأَحْرُفِ الثابِتَةِ؟» وَخَصَّ بِالتمْثِيلِ تَبْدِيلَ أَسْمَاءِ اللَّـهِ تَعَالَىٰ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ فِي خَوَاتِمِ الْآيَاتِ، كَمَا ذَكَرَ قِرَاءَةَ «الصُّوفِ» بَدَلًا مِنَ «الْعِهْنِ»، و«زَقْيَةً» مَكَانَ «صَيْحَةً»، و«الْفَاجِرِ» بَدَلًا مِنَ «الْأَثِيمِ». ثُمَّ قَالَ عَنْ رُخْصَةِ التبْدِيلِ فِي أَسْمَاءِ الله تَعَالَىٰ فِي خَوَاتِمِ الْآيَاتِ إِنَّهَا نُسِخَتْ، وَكَرَّرَ ذَلِكَ، وَقَالَ عَنْ مِثْلِ «الصُّوفِ» بَدَلًا مِنَ «الْعِهْنِ» إِنَّهُ سُبْحَانَهُ حَظَرَهُ وَمَنَعَهُ بَعْدَ إِبَاحَتِهِ[1].

## ٤ ـ الْإِمَامُ الْبَغَوِيُّ (ت ٥١٠هـ):

«قَالَ صَاحِبُ شَرْحِ السنَّةِ: جَمَعَ اللهُ تَعَالَىٰ الْأُمَّةَ ـ بِحُسْنِ اخْتِيَارِ الصحَابَةِ ـ عَلَىٰ مُصْحَفٍ وَاحِدٍ، هُوَ آخِرُ الْعَرَضَاتِ عَلَىٰ رسُول الله ﷺ كَانَ أَبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ أَمَرَ بِكِتْبَته جَمْعًا بَعْدَ مَا كَانَ مُفَرَّقًا فِي الرقَاعِ لِيَكُونَ أَصْلًا لِلْمُسْلِمِينَ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ. وَأَمَرَ عُثْمَانُ بِنَسْخِهِ فِي المصَاحِفِ، وَجَمَعَ الْقَوْمَ عَلَيْهِ، وَأَمَرَ بِتَحْرِيقِ مَا سِوَاهُ، قَطْعًا لمادَّةِ الخِلَافِ. فَكَانَ مَا يُخَالِفُ الخَطَّ المتَّفَقَ عَلَيْهِ فِي حُكْمِ المنسُوخِ وَالمرْفُوعِ (يعني: المُلْغي)- كَسَائِرِ مَا نُسِخَ وَرُفِعَ مِنْهُ بِاتِّفَاقِ الصحَابَةِ[2]. وَالمكْتُوبُ بَيْنَ اللوْحَيْنِ هُوَ المحْفُوظُ مِنَ الله ﷻ لِلْعِبَادِ، وَهُوَ الْإِمَامُ لِلأُمَّةِ. فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَعْدُوَ فِي اللفظِ إلىٰ مَا هُوَ خَارِجٌ مِنْ رَسْمِ الْكِتَابَةِ وَالسوَادِ»[3].

---

(١) ينظر الإتقان للسيوطي النوع ١٦ (عالم الكتب) ١/ ٤٧.

(٢) يعني مثل الآيات التي ذكر العلماء أنها أنزلت ثم نسخت تلاوتها. ينظر (الإتقان) للسيوطي (عالم الكتب ٢/ ٢٠).

(٣) المرشد الوجيز ١٤٤- ١٤٥.

وقال القاضى أبوبكر بن العربى ( هو محمد بن عبدالله ت٥٤٣هـ): " سقط جميع اللغات والقراءات إلا ما ثبت فى المصحف بإجماع من الصحابة، وما أُذِن فيه قبل ذلك ارتفع وذهب "[١]

## تَعْلِيقٌ : يُلَحْظُ أَنَّ :

أ ـ الطحاويَّ والباقلانيَّ والبغويَّ اسْتَعْمَلُوا لَفْظَ ( نَسْخ) الرخصْةِ .

ب ـ وَاسْتَعْمَلَ الطبريُّ لَفْظَ (الاقْتِصَارِ عَلَىٰ حَرْفٍ وَاحِدٍ) .

جـ ـ وَاسْتَعْمَلَ الْبَاقِلَّانِيُّ عِبَارَةَ (الحظْرِ وَالمنْعِ بَعْدَ الْإِبَاحَةِ).

د ـ وَاسْتَعْمَلَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ (ارْتَفَعَ وَذَهَبَ).

* * *

وَقَوْلُ الطحَاوِيِّ وَالْبَاقِلَّانِي وَالْبَغَوِيِّ بـ(نَسْخِ) الرُّخْصَةِ هُوَ الَّذِي يَحْتَاجُ تَعْلِيقًا عن (النَسْخِ) هنا:

أ ـ قَالَ الْإِمَامُ السيُوطِيُّ فِي الْإِتْقَانِ فِي المسْأَلَةِ الرابِعَةِ مِنَ النوْعِ السابِعِ وَالْأَرْبَعِينَ «النسْخُ أَقْسَامٌ» ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ الْقِسْمَ الثالِثَ هُوَ مَا أُمِرَ بِهِ لِسَبَبٍ ثُمَّ يَزُولُ السبَبُ. كَالْأَمْرِ حِينَ الضعْفِ وَالقِلَّةِ بِالصبرِ وَالصفْحِ، ثُمَّ نُسِخَ بِإِيجَابِ الْقِتَالِ»[٢].

أَقُولُ : وَهَـٰذَا مُتَحَقِّقٌ هُنَا، فَإِنَّ الترْخِيصَ بِالْأَحْرُفِ كَانَ بِسَبَبِ صُعُوبَةِ الحِفْظِ عَلَيْهِم ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَعَوَّدُوهُ. فَلَمَّا تَعَوَّدُوا، وَكَثُرَ الحِفْظُ وَالْحُفَّاظُ وَتَرَتَّبَ عَلَىٰ الرُّخْصَةِ فَسَادٌ أَجْمَعُوا عَلَىٰ نَسْخِهَا.

ب ـ جَوَّزَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ وُقُوعَ النسْخِ بِالْإِجْمَاعِ أي إِجْمَاع عُلَمَاءِ المسْلِمِينَ. وَذَلِكَ

---

(١) السابق نفسه ص٩٠.

(٢) الإتقان للسيوطي (عالم الكتب) ٢/ ٢١.

الْإِجْمَاعُ مُتَمَثِّلٌ هُنَا فِي مُوَافَقَةِ الصحَابَةِ عَلَىٰ الْأَخْذِ بِالمصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ، وَتَرْكِ مَا سِوَاهَا.
وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ غَضِبَ مِنْ ذَلِكَ لِعَدَمِ إِشْرَاكِهِ فِي لَجْنَةِ كِتَابَةِ المصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ، لَكِنَّهُ ﷺ فَاءَ إِلَىٰ جَمَاعَةِ الصحَابَةِ لما سَكَتَ عَنْهُ الْغَضَبُ(١).

جـ- تَعْبِيرُ كُتُبِ الْأُصُولِ عَنْ قَوْلِ الْعُلَمَاءِ بِمَشْرُوعِيَّةِ وُقُوعِ النسْخِ بِالْإِجْمَاعِ شَابَه تَعْقِيد لَفْظِيّ تيسيره أَنَّ الْإِجْمَاعَ لَيْسَ هُوَ الَّذِي يَنْسَخُ، وَإِنَّمَا الدلِيلُ الَّذِي يَسْتَنِدُ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْإِجْمَاعُ هُوَ الَّذِي يَنْسَخُ(٢).

❖ ❖ ❖

(١) ينظر كتاب المصاحف لابن أبى داود (تح. د. عطا) دار البشائر الإسلامية ط٢/ ٢٠٠٤م- ١٤٢٣هـ- ١/ ١٧٩ ثم ١٩٣.

(٢) ينظر المستصفى من علم الأصول للإمام الغزالى المطبعة الأميرية ١٣٢٢هـ- ١/ ١٢٦ وعبارته "وما نُسِخَ بالإجماع فالإجماع يدل على ناسخ قد سبق في زمان نزول الوحى من كتاب أو سنة" والقيد الأخير (قد سبق في زمان الخ) محل نظر. ويُنظر أيضاً حاشية البنانى على شرح المحلى على متن جمع الجوامع. البابى الحلبى ط٢ سنة ١٣٥٦هـ- ١٩٣٧م، ٢/ ٧٦، وتشنيف المسامع- شرح الزركشى لجمع الجوامع (تح. د. سيد عبدالعزيز وصاحبه/ مكتب قرطبة ٢٠٠٦م)٢/ ٢٩٧، الإحكام للآمدى(دار الحديث)٣/ ٢٢٦-٢٣١.

# الفَصلُ الخَامِسُ

# سُؤَالاتٌ مُكَمِّلَةٌ

## س ١ :هَلْ كَانَتْ هُنَاكَ حَاجَةٌ لتَوْضِيحٍ لِحَدِيثِ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ صَادِرٍ مِنَ الجَنَابِ النبويِّ الشريفِ ؟

**الجواب:**

(أ) مَوْلَانَا رَسُولُ اللّـهِ ﷺ جَنَابُهُ الشرِيفُ أَعَزُّ وَأَنْزَهُ مِنْ أَنْ يَتَسَاءَلَ بَشَرٌ عَنْ كَمَالِ تَصَرُّفٍ مِنْهُ ﷺ .

(ب) هَـٰذَا التَسَاؤُلُ حَدَثَ مِنْ بَعْضِ مُفَكِّرِي الْأُمَّةِ[1]. وَنَحْنُ نَحمِلُ هَـٰذَا عَلَىٰ اسْتِيضَاحٍ مِن بَعْضِ المسْلِمِينَ لِبَعْضِ مَا غَمضَ عَلَيْهِمْ . فَهَـٰذَا مِنْ حَقِّهِ ﷺ عَلَىٰ أَهلِ العِلْمِ مِنْ أُمَّتِهِ . وَمِنْ وَاجِبِ الْأُمَّةِ أَنْ يَسْأَلُوا لِيعلمُوا ، ثُمَّ لِيَعْتَقِدُوا أَوْ يَعْمَلُوا.

(جـ) وحسب الروَايَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ بِحَدِيثِ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ فَإِنَّهُ :

أـ تَضَرَّعَ الرسُولُ ﷺ بِشَأْنِ عَجزِ الْكَثِيرِينَ مِنْ أَفْرَادِ أُمَّته ( الْعَجُوز والشيْخ والأُمِّيّ وَالْعَبْد وَالْأَمة ) عَنِ اسْتِظْهَارِ الْقُرْآنِ الْكَرِيم ( أي حِفْظه بِحَيْثُ يَقْرَؤُهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ أَيْ غَيْبًا) عَلَىٰ حَرْفٍ وَاحِدٍ ( أَيْ عَلَىٰ أَلْفَاظٍ بِعَيْنِهَا لَا تَتَغَيَّرُ ).

ب ـ أُجِيبَ تَضَرُّعُهُ ﷺ بِأَنَّ الْقُرْآنَ أُنزِلَ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ . وَجَاءَ هَـٰذَا التيْسِيرُ بِالتزَايُدِ مِنْ حَرْفَيْنِ إِلَىٰ سَبْعَةٍ .

---

(١) قيل إن المفكر الأديب عباس محمود العقاد تمنىٰ أن يرىٰ مولانا رسول الله ﷺ ليستوضحه ﷺ عن المراد بالأحرف السبعة.

جـ - بَلَّغَ النبيُّ ﷺ هـٰذا التيسيرَ لِلناسِ . وَوَضَّحَهُ :حَسب الروَايَاتِ المتنوِّعَةِ بِأَنَّهُ: (كَقَوْلِكَ هَلُمَّ وَتَعَالَ )، كَما وَضَّحَهُ بِخَتْمِ الْآيَةِ بِأَيٍّ مِنْ أَسْمَاءِ الله الْحُسْنَىٰ شَرِيطَةَ عَدَمِ خَتْمِ آيَةِ رَحْمَةٍ بِعذَابٍ أَوْ آيَةِ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ .مَعَ التقْيِيدِ بِقَوْلِهِ ﷺ : « اقْرَءُوا كَمَا عُلِّمْتُمْ » . وَكَانَ مِنْ ضِمْنِ التيْسِيرِ أَنْ يَقْرَأَ كُلُّ عَرَبِيٍّ بِلَهْجَتِهِ : سَوَاء كَانَ ذَلِكَ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْأَصْلَ أَنْ يَقْرَأَ كُلُّ عَرَبِيٍّ بِلُغَتِهِ ( أَيْ لَهْجَتِهِ) ،أَوْ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ ﷺ رَخَّصَ لهمْ بِذَلِكَ بِأَمْرٍ مِنَ الله تَعَالَىٰ، أَوْ بِإِقْرَارٍ مِنْهُ ﷺ .

د- لَوْ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ صَرَّحَ فَقَالَ مَثَلًا مَا مَعْنَاهُ : إِنَّ اللهَ أَحَلَّ لَكُمْ أَنْ تُبْدلوا بما غاب عنكم من كلمات القرآن، لنسيان أو غيره، كلماتٍ بمعناها لَتَرَتَّبَ عَلَىٰ هَـٰذَا التصْرِيحِ ضَيَاعُ الْقُرْآنِ ، لمَا يَلِي :

١ـ التصرِيحُ المذْكُورُ يُذْهِبُ هَيْبَةَ الْقُرْآنِ وَقَدَاسَتَهُ.

٢- ويَذْهَبُ بأن الأصل والأساسَ هو الألفاظ المُنْزَلَةُ بأعيانها.

٣- بل يذهب بقيمة إنزال القرآن من عند الله، ما دامت إمكانية إبدال ألفاظ بشرية به متاحة.

٤- ويجعل ذلك الإبدال حقًّا مشروعًا لكل مسلم، وخالدًا على الدهر لاستناده إلى تصريح الرسول ﷺ.

٥- يذهب بكون ذلك الإبدال مؤقتًا إلى أن يشيع حفظ ما أُنزل كما كُتِب- وهو توقيت يتيحه ما فعله النبي ﷺ.

٦ـ يُتِيحُ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ المسْلِمِينَ قُرْآنُهُ الخَاصُّ .

٧ـ يُقَلِّلُ مِنْ قِيمَةِ مَا كُتِبَ بَيْنَ يَدَي النبيِّ ﷺ ، إِذْ يُصْبِحُ هَـٰذَا وَاحِدًا مِنَ الْقُرْآنَاتِ المتعَدِّدَةِ بِتعَدُّدِ مَنْ يَقْرءُونَ وَيُغَيِّرُونَ .

٨ـ لَوْ وَقَعَ ذَلِكَ التصْرِيحُ لَمَا اسْتَطَاعَ عُثْمَانُ وَلَا الصحَابَةُ الَّذِينَ مَعَهُ أَنْ يَجْمَعُوا الناسَ عَلَىٰ الْقُرْآنِ الَّذِي كُتِبَ بَيْنَ يَدَيِ النبيِّ ﷺ ، إِذْ سَيَكُونُ مَوْقِفُهُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ ـ حِينَذَاكَ ـ : مَوْقِفَ مَنْ يُلْغِي تَشْرِيعًا شَرَّعَهُ الرسول ﷺ .

٩ـ فَمَا فَعَلَهُ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ هُوَ عَيْنُ الحَقِّ وَعَيْنُ الرشْدِ : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [ النجم : ٣ ، ٤ ] .

والقَدْرُ الذي بقى من الغموض في معنى الحديث (أعني بعدم إذاعته أمرًا عامًّا كما أذيع تحريم الخمر فَصَبُّوها في الشوارع، وكما أذيع تحويل القبلة، فتحولوا وهم في الصلاة) هذا القَدْرُ كان راشدًا، وترتب عليه أن يبقى أمر الأحرف السبعة رُخْصة محاطة بنطاق الضرورة، وأن يتاح جمعُ المسلمين على المصحف العثماني.

## س ٢ : هَلْ قَرَأَ النبيُّ ﷺ بِالْحُرُوفِ؟

الجَوَابُ: الَّذِي يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِ كُلٍّ مِنَ الصحَابَةِ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْقِرَاءَةِ: أَقْرَأَنِي رَسُولُ الله ﷺ. أَنَّهُ ﷺ أَقْرَأَ بَعْضَ الصحَابَةِ بِالْحُرُوفِ. وَبِخَاصَّةٍ أَنَّ ذَلِكَ تَكَرَّرَ فِي عِدَّةِ رِوَايَاتٍ صَحِيحَةٍ، وَعَلَىٰ أَلْسِنَةِ صَحَابَةٍ مُتَعَدِّدِينَ. حَدَثَ ذَلِكَ عِنْدَمَا قَالَ كُلٌّ مِنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، وَهِشَامِ بْنِ حَكِيمٍ: أَقْرَأَنِي رَسُولُ الله ﷺ[1].

## س ٣ : لِمَاذَا قَرَأَ الرَّسُولُ ﷺ بِالْحُرُوفِ؟

الجواب:

أ ـ قَرَأَ ﷺ بِالْحُرُوفِ تَبْلِيغًا لَمَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ مِنْ رُخْصَةِ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ.

---

(١) ينظر الفصل الأول من الباب الأول رواية البخاري والطبري وغيرهما عن الاختلاف فى القراءة بين عمر وهشام بن حكيم }.

ب ـ وَبَيَانًا وَتَمْثِيلًا لِلصحَابَةِ لِيَتَعَلَّمُوا وَيُبَلِّغُوا إِخْوَانَهُم الصحَابَةَ الْبَعِيدِينَ عَنِ النبيِّ ﷺ.

جـ ـ وَكَانَ اللفْظُ الموحَىٰ بِهِ يُدَوَّنُ فَوْرَ نُزُولِهِ، فَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ بَأْسٌ فِي أَنْ يَتَعَلَّمَ الناسُ كَيْفَ يَأْخُذُونَ بِالرخْصَةِ تَلَقِّيًا مِن الرسُولِ ﷺ وَالْقُرْآنُ المنزَّلُ مَحْفُوظٌ تمَامًا، إِذْ إِنَّهُ دُوِّنَ فَوْرَ نُزُولِهِ عَلَىٰ النبيِّ ﷺ.

## س ٤: أَكَانَ الصحَابَةُ مَأْمُورِينَ بِتَلَقِّي الْأَحْرُفِ السبْعَةِ مِنْ لِسَانِ رَسُولِ الله ﷺ؟

### الجواب:

لَيْسَ فِي السنَّةِ مَا يُشِيرُ إِلَىٰ هَـٰذَا تَخْصِيصًا، بَلْ إِنَّ التدَبُّرَ يَقْضِي بِأَنَّ الْأَمْرَ كَانَ أَوْسَعَ مِنْ هَـٰذَا، إِذْ كَانَ نُزُولُ الْقُرْآنِ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ تَيْسِيرًا لمسْلِمِي الْعَصْرِ الْأَوَّلِ لِيَقْرَءُوا هُمْ بِالْأَلْفَاظِ الَّتِي تَحْضُرُهُمْ، مَادَامَتْ بِمَعْنَىٰ الْأَلْفَاظِ الْقُرْآنِيَّةِ إذا غَابَتْ هذه عَنْهُمْ. وَافْتِرَاض ضَرُورَةِ تَلَقِّي تِلْكَ الْأَلْفَاظ الْبَدِيلَة عَن النبيِّ ﷺ يُلْغِي رُخْصَةَ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ تمَامًا، بَلْ إِنَّهُ يَزِيدُ الْأَمْرَ عُسْرًا؛لِأَنَّ مَعْنَاهُ أَنْ يُطْلَبَ مِنَ المسْلِمِ أَنْ يَحْفَظَ ـ بِجَانِبِ الْأَلْفَاظِ الْقُرْآنِيَّةِ ـ أَلْفَاظًا بَدِيلَةً يَلْجَأُ إِلَيْهَا بَعَيْنِهَا إِذَا غَابَتِ الْأَلْفَاظُ الْأَصْلِيَّةُ، وَهَـٰذَا مُضَاعَفَةٌ لِلتكْلِيفِ، وَلَيْسَ فِيهِ أَيُّ تَخْفِيفٍ، فِي حِينَ أَنَّ هَـٰذَا الحَدِيثَ إِنَّمَا جَاءَ لِلتخْفِيفِ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ تمَامًا فِي أَحَادِيثِ تَضَرُّعِ النبيِّ ﷺ فِي هَـٰذَا الْأَمْرِ.

## س ٥ : هَلْ كَانَتِ الرخْصَةُ مَقْصُورَةً عَلَىٰ حَالَةِ الضرُورَةِ؟

أَقُولُ إِنَّ الْأَصْلَ أَنَّ الْقِرَاءَاتِ بِالْأَحْرُفِ أَعْنِي إِبْدَالَ الْقَارِئِ كَلِمَةً بِالْكَلِمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي ذَهِلَ عَنْهَا كَانَتْ رُخْصَةً لحالَةِ الضرُورَةِ، وَهِي حَالَةُ ذُهُولِ الْقَارِئِ عَنِ الْكَلِمَةِ

الْقُرْآنِيَّةِ، أَوْ حالةِ شِبْهِ الضرُورَةِ، وَهِيَ أَخْذُ الْقَارِئِ بِكَلِمَةٍ أَوْ هَيْأَةٍ مِنْ لَهْجَتِهِ غَيْر كَلِمَةٍ أَوْ هَيْأَةٍ مِنْ لهجَةٍ أُخْرَىٰ. هَـٰذَا هُوَ الَّذِي أُرَجِّحُهُ.

وَفِي ضَوْءِ هَـٰذَا التَرْجِيحِ يَتطَلَّبُ الْأَمْرُ تَفْسِيرَ مَا فَعَلَهُ بَعْضُ الصحَابَةِ مِنَ الْإِكْثَارِ فِي قِرَاءَةِ كَلِمَاتٍ بَدَلًا مِنْ أُخْرَىٰ، وَكَذَٰلِكَ تَقْدِيم حَرْفٍ عَلَىٰ آخَرَ وَنَحْو ذَٰلِكَ[1].

وَالَّذِي تَطْمَئِنُّ النفْسُ إِلَيْهِ أَنَّ ذَٰلِكَ كَانَ يَقَعُ مِنَ الصحَابَةِ لِبَيَانِ الرخْصَةِ بَيَانًا عَمَلِيًّا. وَيَشْهَدُ لِذَٰلِكَ جَوَابُ سَيِّدِنَا أَنَسٍ عِنْدَمَا قَرَأَ: ﴿ **إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَصوب قِيلًا** ﴾ [المزمل: ٦] فَقِيلَ لَهُ إِنَّمَا هِيَ: ﴿ **وَأَقْوَمُ** ﴾ فَكَانَ جَوَابُهُ: «أَقْوَمُ، وَأَصْوَبُ وَأَهْيَأُ وَاحِدٌ»[2]. فَهَـٰذَا كَقَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ إِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ :«هَلُمَّ» و«تَعَالَ».

إِنَّ الصحابَةَ ـ رِضْوَانُ الله عَلَيْهِمْ ـ كَانُوا مَأْمُورِينَ بِالتَبْلِيغ عَنِ النبيِّ ﷺ فَقَدْ جَاءَ فِي الحَدِيثِ الصحِيحِ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»[3] وَقَدْ قَامُوا بِذَٰلِكَ خَيْرَ قِيَامٍ فِي مَجَالِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَتَفْسِيرِهِ وَفِي مَجَالِ الحَدِيثِ الشرِيفِ، وَفِقْهِ الشرِيعَةِ، وَغَيْرِ ذَٰلِكَ. جَزَاهُمُ اللهُ خَيْرَ الجَزَاءِ. فَهَـٰذِهِ الْقِرَاءَاتُ الَّتِي قَرَءُوهَا كَانَتْ تُعَبِّرُ عَنْ فَهْمِهِم لحِدِيثِ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ وَكَيفِيَّةِ الْأَخْذِ بِهِ. وَلَئِنْ كَانَ الْأَصْلُ هُوَ حَالَةَ الضرُورَةِ ـ كَمَا قُلْنَا ـ فَإِنَّ عِلْمَهُمْ بِأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ دُوِّنَ فَوْرَ نُزُولِهِ بِإِمْلَاءِ النبيِّ ﷺ جَعلَهُمْ يَطْمَئِنُّونَ إِلَىٰ أَنَّ قِرَاءَتَهُمْ أَحْيَانًا بِالْأَحْرُفِ غَيْرِ المنزَّلَةِ لِيُبَلِّغُوا وَيُعَلِّمُوا: لَا تُؤَثِّرُ فِي حِفْظِ الْقِرُآنِ منَ التغْيير ؛ ولِأَنَّ الْقُرْآنَ

(١) ينظر معجم قراءات الصحابة، د. الموافي الرفاعي البيلي. وهو معجم بالغ النفاسة.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (تح. الرحالي الفاروق وآخرين/ قطر) ١/ ٤٦.

(٣) ينظر: التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ﷺ ش منصور ناصف ط٢- جـ١/ ٥٨ وقال رواه البخاري والترمذي.

مَحْفُوظٌ ، بِالْعِنَايَةِ الْإِلهيَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] وبِالْأَسْبَابِ الْبَشَرِيَّةِ مُمَثَّلَة فِي جَمْعِ أَبِي بَكْرٍ ثُمَّ عُثْمَانَ لِلْقُرْآنِ: فَهَـٰذَا كُلُّهُ يُطَمْئِنُ إِلَىٰ الْأَخْذِ بالرخْصَةِ حَالَ الضرُورَةِ وَحَال الشرْحِ وَالتبْلِيغِ مَعًا.

## س ٦ : مَا الَّذِي ذَهَبَ ، وَمَا الَّذِي بَقِيَ مِنَ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ ؟

الجواب:

ذَهَبَتْ كُلُّ الْكَلِمَاتِ الْمُرَادِفَةِ الَّتِي كَانَ بَعْضُ الصحابَةِ قَدْ قَرَأَ بِهَا بِنَاءً عَلَىٰ رُخْصَةِ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يُكْتَبْ مِنْهَا شَيْءٌ عِنْدَمَا كَانَ الْوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَىٰ النبيِّ ﷺ . وَقَدْ كَرَّرْنَا أَنَّ المَصَاحِفَ الْعُثْمَانِيَّةَ انْتُسِخَتْ مِنْ صُحُفِ أَبِي بَكْرٍ الَّتِي أُخِذَتْ مِمَّا كُتِبَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله وَبِإِمْلَائِهِ ﷺ . أَمَّا الَّذِي بَقِيَ فَهُوَ مَا لَمْ يُخَالِفْ الرسْمَ الْعُثْمَانِيَّ مِمَّا كَانَ الصحَابَةُ قَرَءُوا بِهِ وَصَحَّ سَنَدُهُ عَنِ النبيِّ ﷺ تَلَقِّيًا أَوْ إِقْرَارًا.

## س ٧ : هَلِ الْقُرْآنُ وَالْقِرَاءَاتُ الْمتَّبَعَةُ الآنَ مُتَلَقَّاةٌ عَنِ النبي ﷺ ؟

الجَوَابُ: أَنَّ كُلَّ النصِّ الْقُرْآنِي الَّذِي فِي المَصَاحِفِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينا هُوَ مُتَلَقَّىٰ عَن النبيِّ ﷺ يَقِينًا حسب التفْصِيلِ الْآتِي:

أ ـ كُلُّ المرْسُومِ فِي المصْحَفِ مِنَ النصِّ (أَعْنِي الْكَلِمَاتِ وَفَوَاتِحَ السوَرِ، وَمَا يُسَمِّيهِ النحَاةُ حُرُوفَ المعَانِي (مِثْل الْوَاوِ وَثُمَّ إِلَخ) هُوَ مُتَلَقَّىٰ مِنَ النبيِّ ﷺ، فَهَـٰذَا المَرْسُومُ رُسِمَ أَصْلُهُ بِيَدِ كَتَبَةِ الوحْي للنبيِّ ﷺ وَأَمْلَاهُ عَلَيْهِمْ النبيُّ ﷺ فَوْرَ نُزولِ الوحيِ. وَنُقِلَ إِلَىٰ صُحُفٍ مُرَتَّبَةٍ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ رضى الله عنه. وَلَا شَكَّ فِي أَيٍّ مِنْ ذَلِكَ[1].

---

(١) ينظر تفصيل ذلك موثقًا في كتاب: وثاقة نقل النص القرآني الكريم من رسول الله ﷺ إلى أمته. د. محمد حسن جبل ص ٢١١– ٢٦٨.

ب ـ هَيْآتُ قِرَاءَةِ ذَلِك المكْتُوبِ مُتَلَقَّاةٌ شَفوِيًّا ـ أي لَا تَهَجِّيًا مِن الخطِّ المكتوبِ، مُتَلَقَّاة شَفَوِيًّا بِسَلَاسِلِ رِوَايَاتٍ صَحِيحَةٍ بَعْضُهَا عن النبيِّ ﷺ نَفْسِهِ، وَبَعْضُهَا مَأْذُونٌ بِهَا من النبيِّ ﷺ إِمَّا لِأَنَّهَا لهجاتٌ لِلْقَارِئِينَ فِي السنَدِ ـ مِنَ الصحَابَةِ وَالتابِعِينَ كَالْقِرَاءَاتِ غَيْرِ الْقُرَشِيَّةِ ـ، وَإِمَّا لِأَنَّهَا مِمَّا بَقِيَ مِنْ رُخْصَةِ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ مِمَّا احْتَمَلَهُ الرسْمُ الْعُثْمَانِيُّ مِمَّا صَحَّ سَنَدُهُ رِوَايَةً. فَإِنَّ الرسْمَ الْعُثْمَانِيَّ تَرَكَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا رُخْصَةُ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ إِذَا كَانَتْ مُخَالِفَةً لما رُسِمَ بَيْنَ يَدَي النبي ﷺ وَبِإِمْلَائِهِ. أَمَّا مَا احْتَمَلَهُ الرسْمُ الْعُثْمَانِيُّ مِنَ الهيآتِ المَرْوِيَّةِ رِوَايَة صَحِيحَة فَقَدْ بَقِيَ وَقَرَأَ بِهِ الْقُرَّاءُ الْعَشَرَةُ. فَهُوَ ضِمْنَ الْوُجُوهِ الَّتِي قَرَأَ بِهَا أُولَئِكَ الْقُرَّاءُ.

* * *

وَهَـٰذَا الَّذِي ذَكَرْنَا يُوَافِقُ مَا عَلَيْهِ إِجْمَاعُ المسْلِمِينَ. قَالَ الْإِمَامُ السيُوطِيُّ: «وَذَهَبَ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ مِنَ السلَفِ وَالخَلَفِ وَأَئِمَّةِ المسْلِمِينَ إِلَىٰ أَنَّهَا ـ أي المصاحف العثمانية ـ مُشْتَمِلَةٌ عَلَىٰ مَا يَحْتَمِلُهُ رَسْمُهَا مِنَ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ فَقَطْ، جَامِعَةٌ لِلْعَرْضَةِ الْأَخِيرَةِ الَّتِي عَرَضَهَا النبيُّ ﷺ عَلَىٰ جِبْرِيلَ مُتَضَمِّنَةٌ لَهَا لَمْ تَتْرُكْ مِنْهَا حَرْفًا.». ثُمَّ قَالَ: «وَلَا شَكَّ أَنَّ الْقُرْآنَ نُسِخَ مِنْهُ فِي الْعَرْضَةِ الْأَخِيرَةِ (مَا نُسِخَ).. فَاتَّفَقَ رَأْيُ الصحَابَةِ عَلَىٰ أَنْ كَتَبُوا مَا تَحَقَّقُوا أَنَّهُ قُرْآنٌ مُسْتَقِرٌّ فِي الْعَرْضَةِ الْأَخِيرَةِ. وَتَرَكُوا مَا سِوَىٰ ذَلِكَ»[1] اهـ.

فَالحَمْدُ لله عَلَىٰ مُطَابَقَةِ مَا تَوَصَّلْنَا إِلَيْهِ لَمَا عَلَيْهِ جُمْهُورُ عُلَمَاءِ المسْلِمِينَ فِي مَسْأَلَتَي:

أ- مَعْنَىٰ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ.

ب ـ مَا بَقِيَ مِنَ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ وَهُوَ مَا صَحَّتْ رِوَايَتُهُ وَلَمْ يُخَالِف الرسْمَ العثمانيَّ.

■ ■ ■

---

(١) ينظر الإتقان للسيوطي: أواخر النوع ١٦ (عالم الكتب ١/ ٤٩ - ٥٠، تحقيق أبى الفضل ١/ ١٧٧).

وَبِذَا تَمَّتْ المعَالجَةُ التحْلِيلِيَّةُ، وَانْتَهتْ إِلَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ حَدِيثِ الْأَحْرُفِ السبْعَةِ كَانَ إِجَازَةَ ذِكْرِ كَلِمَةٍ بِمَعْنَىٰ الْكَلِمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي غَابَتْ عَنِ الْقَارِئِ أَوْ قَرِيبَة مِنْ مَعْنَاهَا مَعَ جَوَازِ خَتْمِ الْآيَةِ بِمَا يُنَاسِبُهَا مِنْ أَسْمَاءِ الله الْحُسْنَىٰ إِنْ غَابَ الخَتْمُ المنَزَّلُ. وَكَانَ ذَلِكَ كله رُخْصَةً مُؤَقَّتَةً انْتَهتْ بِكِتَابَةِ المصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ. ولَمْ تَتَسَبَّبْ تِلْكَ الرخْصَةُ فِي دُخُولِ أَيَّةِ كَلِمَةٍ غَيْر مُنَزَّلَةٍ ضِمْنَ النصِّ المنزَّلِ، لِأَنَّ النصَّ الكَرِيمَ دُوِّنَ فُوْرَ نُزُولِهِ بِإِمْلَاءِ النبيِّ ﷺ فِي عَرَائِضَ مِن الحِجَارَةِ وَالْعِظَامِ وَالْعُسُبِ، وَجُمِعَ مِنْ هَـٰذِهِ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ مُصْحَفٌ كاملٌ، وَانْتُسِخَتْ مِنْهُ مَصَاحِفُ فِي عَهْدِ عُثْمَانَ. وَمِنَ المصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ نُقِلَتِ المصَاحِفُ الْكَرِيمَةُ الَّتِي فِي أَيْدِينا.

# مَلَاحِقُ

## ١ - كلمة (لُغة):

إن كلمة (لغة) تعني أصلا لهجة. فإنها من تركيب (لَغَوَ)، وهذا التركيب يعبر عما هو باطل من أصوات وغيرها، لكنه أشهر في الأصوات الباطلة. ويبدو أن العرب القدماء كانت كل قبيلة منهم تَعُدُّ لهجة الآخرين (لَغْوًا) أي أصواتًا لا يُعْتَدُّ بها أو طريقة (مُغَيَّرة) في استعمال الكلام، فَسَمَّوْهَا لغة.

١ـ وقد ذكرنا ـ قبلاً ـ أننا أحصينا قبائل العرب التي نُسِب لها لفظ أو ألفاظ لهجية أو معانٍ خاصة لألفاظ، فبلغ كل ذلك نحو تسعين قبيلةً، وأحصينا الأصقاع التي نسبت لها ألفاظ أو معانٍ كذلك فبلغت نحو ثلاثين صقعًا، أي أن القبائل والأصقاع التي لها لهجات تبلغ نحو مئة وعشرين. والمؤكد أنها أكثر من ذلك لأن إحصاءنا قام علىٰ مصادر محدودة، ولا شكَّ أنه فاتها قبائلُ أو أصقاعٌ لها لهجات.

٢ـ أما الظواهر والمنثورات اللهجية فقد ذكر منها الإمام أحمد بن فارس نحو ثماني عشرة في موضع واحد[1] وذكر في موضع آخر نحو ثمانية ظواهر كثير منها صوتي[1].

---

(١) في الصاحبي ( تح . السيد صقر : ٢٨ ـ ٤٢ ) : نجملها في : ١ـ حركة حرف المضارعة ياء وغير ياء ، ٢ـ فتح عين ( مع ) وإسكانها ، ٣ـ الإبدال في أولئك ، ٤ـ إبدال همزة (أنَّ) و(أن) عينا وهذه هى (العنعنة)، ٥ـ القلب المكاني ، ٦ـ حذف حرف العلة في نحو يَسْتَحِي واسْتَحَيْتُ ، ٧ ـ صيغة فَعَلَ وأفعل : صددت و أصددت ، ٨ ـ أمَّا وأيما ، ٩ ـ الإمالة والتفخيم ، ١٠ ـ حركة التخلص من التقاء= =الساكنين ، ١١ـ التذكير والتأنيث ، ١٢ـ الفك والإدغام ، ١٣ ـ إعمال (ما) وإهمالها ،١٤ ـ إلزام (هذان) الألف ، ١٥ ـصيغة جمع التكسير ، ١٦ ـ تحقيق الحركة واختلاسها ، ١٧ ـ الوقف علىٰ هاء التأنيث ، ١٨ ـ مطل الحركة ، ١٩ ـ

ولا شك أنه قد فاته منها الكثير. فمما فاته. اللهجات في عين الفعل الماضي، وفي عين الفعل المضارع، وهـٰذه وحدها كثيرة جدًّا، وصُوَرُ الوقف علىٰ أواخر الكلم، وتفريعات تميم. والمنثورات التي تختلف فيها اللغات (اللهجات) لا تكاد تحصىٰ. يضاف إلىٰ ذلك أن الاختلافات اللهجية في الموضع الواحد قد تتعدد صورها. وقد قال ابن فارس إن الكلمة قد تكون فيها لغتان أو أكثر إلىٰ ست لغات[٢]. والحقيقة أنَّ هناك كلماتٍ تزيد الاختلافات فيها عن ست. مثل :«أف» فقد جاء في البحر المحيط لأبي حيان أن فيها أربعين لغةً ذكرها مضبوطة في تفسيره[٣]. وكل ما قدمناه الآن يصدِّق قول الإمام الطبريِّ: «إنه من المعلوم أن أَلْسِنَةَ العرب ولغاتِها أكثرُ من سبعة بما يُعْجَزُ عن إحصائه» وقول الإمام أبي منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ) «إن اللغات (يعني اللهجات) هي أكثر من أن يحيط بها رجل واحد»[٤].

٣ـ ولم يقف ابن فارس وقفةً خاصَّةً وصريحة تقرر أن الترادف أو بعضه علىٰ الأقل هو من اللغات، واكتفىٰ بذكر قصة ( ثِبْ )، وتسمية حمير الذئب قِلَّوبا والأصابع (شناتر) ، والصديق (خِلما). وقد وقف هـٰذه الوقفة الإمام السيوطيُّ رضى الله عنه إذ عرض لاختلاف العلماء بشأن وقوع الترادف في اللغة وعدم وقوعه، ثم قال بعد سرد

---

اختلاف= التضاد ، ٢٠ ـ الكشكشة والكسكسة ، ٢١ ـ تغير نطق بعض الحروف ، ٢٢ ـ إبدال الياء المشددة جيما في النسب ، ٢٣ ـ اختلاف التسمية ( أي التعبير كتسمية الذئب القِلَّوب)

(١) ينظر السابق نفسه ص٣٥.

(٢) ينظر الصاحبي ص٦٧.

(٣) ينظر البحر المحيط بأبي حيان (ت؛ ش عادل أحمد عبد الموجود وآخرين) جـ٦ ص٢١-٢٢.

(٤) تفسير الطبري ( شاكر) ١/ ٤٧ . تهذيب اللغة (فخخ) تحقيق وترتيب د. رياض زكى)، دار المعرفة ٣/ ٢٧٤٩، و(لسان العرب (فخخ)) .

أقوال الفريقين :« قال الأصفهاني وينبغي أن يحمل كلام من منع وقوع الترادف علىٰ منعه في لغة واحدة، فأما في لغتين فلا ينكره عاقل». ثم قال السيوطيُّ :« قال أهل الأصول: لوقوع الألفاظ المترادفة سببان: أحدهما أن يكون من واضعين وهو الأكثر بأن تضع إحدىٰ القبيلتين أحدَ الاسمين والأخرىٰ الاسمَ الآخر للمسمىٰ الواحد من غير أن تشعر إحداهما بالأخرىٰ، ثم يَشْتَهِرَ الوَضْعانِ ويخفي الوَاضِعانِ، أو يلتبس وضع أحدهما بوضع الآخر» [1]. ومن هنا فإنه ينبغي أن يضاف إلىٰ الاختلافات اللهجية ترادف الكلمات أحيانًا بأن تضع إحدىٰ القبائل اسمًا لشيءٍ (جنس من الأشياء المادية، أو معنىٰ من المعاني) وتضع قبيلة أخرىٰ اسمًا آخر لذلك الشيء أو المعنىٰ بعينه.

وأمثلته كثيرة جدًّا. وقد ذكر السيوطيُّ قدرًا وافرًا في المزهر[2]. وعقد السيوطيُّ أيضًا النوع السابع والثلاثين في كتابه «الإتقان» لما وقع في القرآن الكريم بغير لغة الحجاز. وكل ما في هـٰذا (النوع) يُعَدُّ من المترادفات اللهجية. فإنه إذا قال مثلاً: إن «سامدون» في قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾ [النجم :٩١] معناها الغناء. فهـٰذا يعني أن كلمة «سامدون» اليمانية مرادفة لكلمة «مغنون» الحجازية. وهكذا.

والذي من أجله ذكرنا كل ما قدمناه عن اللغة (بمعنىٰ اللهجة) هو أن هناك من العلماء الذين تكلموا عن تفسير حديث الأحرف السبعة مَن استعمل كلمة (لغة) بمعنىٰ (لهجة) ممثلا لها بألفاظ من لهجات مختلفة، لكنها مترادفة المعاني، وكأنها (أي كلمة لغة) لا تعني عنده إلا هـٰذا الترادف. جاء في (المرشد الوجيز) نقلًا عن غريب الحديث لأبي

---

(١) ينظر (المزهر في علوم اللغة وأنواعها) للإمام السيوطي (تح .محمد أبي الفضل وآخرين) ١/ ٤٠٥-٤٠٦.

(٢) ينظر (المزهر) ١/ ٤٠٦- ٤١٣.

عبيد «قال أبو عبيد » :قوله سبعة أحرف يعني سبع لغات من لغات العرب.. متفرقة في القرآن، فبعضه نزل بلغة قريش وبعضه نزل بلغة هوازن، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة أهل اليمن. وكذلك سائر اللغات، ومعانيها في هـٰذا كله واحدة. قال: ومما يبين ذلك قول ابن مسعود رضي الله عنه «إني سمعت القَرَأَة فوجدتهم متقاربين. فاقرءوا كما عُلِّمْتُم. إنما هو كقول أحدكم هَلُمَّ وتعالَ» وكذلك قال ابن سيرين: «إنما هو كقولك: هلم، وتعال، وأَقْبِل» ثم فسره ابن سيرين، فقال: في قراءة ابن مسعود :«إِنْ كَانَتْ إِلَّا زَقْيَةً وَاحِدَةً»، وفي قراءتنا:﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [يس : ٢٩] فالمعنىٰ فيهما واحد. وعلىٰ هـٰذا سائر اللغات[1].ا.هـ

وفي المرشد الوجيز ـ أيضًا ـ منسوبًا إلىٰ (بعض الشيوخ) «الواضح من ذلك أن يكون الله تعالىٰ أنزل القرآن بلغة قريش ومن جاورهم من فصحاء العرب، ثم أباح للعرب المخاطَبين به المُنْزَل عليهم أن يقرءوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها علىٰ اختلافهم في الألفاظ والإعراب، ولم يُكَلِّفْ بعضَهم الانتقالَ من لغة إلىٰ غيرها لمشقة ذلك عليهم... فجعلهم يقرءونه علىٰ عادتهم وطباعهم مَنًّا مِنه ﷻ[2]... وكان الأصل علىٰ ما عهد رسول الله ﷺ من الألفاظ والإعراب جميعًا مع اتفاق المعنىٰ. فمن أجل ذلك جاء في القرآن الكريم ألفاظٌ مخالفةٌ ألفاظَ المُصْحف المجمع عليه كـ«الصوف» وهو ﴿الْعِهْنِ﴾ [القارعة: ٥]، «زَقْية» وهي ﴿ صَيْحَةً ﴾ [يس: ٢٩] و«حططنا» وهي ﴿وَضَعْنَا﴾ [الانشراح ]، و«حَطَبُ جَهَنَّمَ» وهي﴿ حَصَبُ ﴾ [الأنبياء: ٩٨] ونحو ذلك».

---

(١) المرشد الوجيز ٩١، وهو عن غريب الحديث لأبي عبيد ٣/ ١٥٩- ١٦٠.

(٢) المرشد الوجيز ٩٥.

وفي المرشد الوجيز كذلك : قال أبو شامة: «وذلك أن أهل العلم قالوا في معنىٰ قوله ﷺ «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ» إنهن سبع لغات، بدلالة قول ابن مسعود رضى الله عنه وغيره: إن ذلك كقولك: هلم وتعال وأقبل» فكان ذلك جاريًا مجرىٰ قراءة عبد الله:«إِنْ كَانَتْ إِلَّا زَقْيَةً وَاحِدَةً»، (أي بدلًا من ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [يس: ٢٩])، و«كَالصُّوفِ الْمَنْفُوشِ»، بدلاً من ﴿الْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة: ٥]، وقراءة أُبَيٍّ رضى الله عنه «أَنْ بُورِكَتِ النَّارُ وَمَنْ حَوْلَهَا» أي بدلًا من ﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل :٨]، «مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الْكُفَّارِ» بدلًا من ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارِ﴾ [المادة: ٥٧]، وكقراءة ابن عباس[١] : «وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتُونَ» بدلًا من: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ﴾ [الحج: ٢٧] .

* * *

إن قَصْرَ معنىٰ (اللغة) علىٰ الترادف هو غير صواب ؛ لأن الاختلافات اللهجية تشمل الترادف، وإبدال بعض حروف الكلمة، ونقل بعض حروف الكلمة مكان بعض، واختلاف حركات الكَلِم وحركة عين الماضى والمضارع لأفعالٍ لا تحصى، وحركة حرف المضارعة وهيئات النطق، والإعراب، و كثيرًا غير ذلك ذكرناه منذ قليل[٢] .

---

(١) الذي في البحر ٦/ ٣٣٨ «وقرأ عبد الله وأصحابه..» فهذا إنما يكون ابن مسعود .

(٢) ينظر الصاحبي في فقه اللغة، لابن فارس تح . السيد صقر ٢٨- ٤٢، والمزهر للسيوطي (تح جاد المولىٰ ١/ ٢٥٥). وقد سبقت هنا قبل صفحات اقتباسات مطولة فانظرها.

إن تفسير الأحرف السبعة بالترادف مع قيد كونه من اللغات مطلقًا هو تفسير غير مُسَلَّم في هـٰذا الحديث ؛ لأن الصحابة الذين قرءوا بالمرادف كان بعضهم يقرأ بمرادفات من نفس لغته أي لهجته. فكان أُبَيٌّ بن كعب يقرأ: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا﴾ [الحديد: ١٣] «أَمْهِلُونَا»، «أَخِّرُونَا»، «أَرْجِئُونَا». وكان يقرأ: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٠]: «مَرُّوا فِيهِ»، «سَعَوْا فِيهِ» . وكان عمر يقرأ: «فَامْضُوا إِلَىٰ ذِكْرِ الله» [الجمعة: ٩] [1] بدلا من: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّـهِ ...﴾ ولم يقل أحد أن أيًّا من الكلمات التي ذكرها أُبَيّ، وعُمَر هي من غير لهجتهم. والخلاصة أن الترادف أوسع من اللهجة: يكون في اللهجة الواحدة ويكون بين كلمات من لهجات مختلفة[2].

ـ تفسير (الأحرف السبعة) باللغات يُقْبَلُ، بناء علىٰ أخذ الترادف ضمن اللغات، ولكنه حينئذ غير دقيق، لما قدمنا في (أ، ب) من أن اللغة (اللهجة) أوسع من الترادف من جهة، والترادف أوسع من اللغة من جهة أخرىٰ؛ لأنه يكون في اللغة الواحدة، وبين أكثر من لغة .

ـ ويمكن قبول تفسير الأحرف باللغات بناء علىٰ أن لفظ لغة يستعمل أيضًا في الكلمة الواحدة، ولكن يكون تعبيرًا غير علمي؛ لأنه موهم.

❊ ❊ ❊

(١) المرشد الوجيز ١٠٤ وهي في التمهيد (تح . عطا) ٣/ ٦٣٨.

(٢) ينظر الإتقان للسيوطي النوع ٣٧، والمعجم الدلالي للهجات القبائل العربية د.الموافي الرفاعي البيلي فكل الكلمات فيهما ترادف كلمات من لهجات أخرىٰ .

## ٢ـ مكان لقاء جبريل بالنبي ﷺ لتبليغه أن القرآن أنزل علىٰ سبعة أحرف:

١ـ جاء تحديدُ مكان لقاء سيدنا جبريل بسيدنا محمد ﷺ الذي بلّغه فيه نزول القرآن علىٰ سبعة أحرف في روايتين: إحداهما عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام عند أحجار المِرَاء فقال: «إني بُعِثْتُ إلىٰ أمة أميين، منهم الغلام والخادم والشيخ العاسي والعجوز. فقال جبريل: فليقرءوا القرآن علىٰ سبعة أحرف». قال الشيخ أحمد شاكر: هذا إسناد صحيح[1].

والأخرىٰ عن ابن أبي ليلىٰ عن أُبَيِّ بن كعب رضى الله عنه قال: «أتىٰ جبريل النبي ﷺ وهو عند أَضَاةِ بني غِفَار فقال: إن الله تبارك وتعالىٰ يأمرك أن تُقْرِئ أمتك القرآن علىٰ سبعة أحرف. فمن قرأ منها حرفاً فهو كما قرأ». قال الشيخ شاكر: إسناده صحيح. وقد تكررت هـٰذه الرواية في الطبري برقم ٣٥ و ٤٦ بتفصيل لا يغير المكان، وبإجمال فيه المكان نفسه برقم ٣٦، ٣٧.

٢ـ فالمكان في الرواية الأولىٰ عند (أحجار المراء). وفي الروايات الأخرىٰ (عند أَضَاة بني غفار).

٣ـ والمتبادر أن المكانين مختلفان، وبخاصة أن أبا عبيد البكري، ذكر في (معجم ما استعجم) له أن (أحجار المِرَاء) موضع بمكة، في حين أن (أَضَاة بَني غِفَار) موضع بالمدينة[2]. والإشكال مركب، فإنه بالإضافة إلىٰ اختلاف المكانين في واقعة واحدة فإن

---

(١) تفسير الطبري (تح . شاكر) ١/ ٣٥ برقم ٢٩.

(٢) السابق نفسه : ١/ ٣٩ ، برقم : ٣٤ .

أشهر روايات حديث نزول القرآن علىٰ سبعة أحرف وقع الخلاف فيها بين عمر وهشام ابن حكيم { وهشامٌ أسلم يوم فتح مكة ، فلا يتأتىٰ أن يقع الخلاف بينه وبين عمر في مكة، فلابد أنه وقع في المدينة. والقول بأن (أحجار المراء) تقع في مكة يعقّد الأمر جدًّا.

٤ـ ولكن الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله تعالى محقق الطبري كشف هـٰذا الاختلاف وغُمَّتَه، فقد علق علىٰ رواية «أحجار المراء» بما يلي:

«أحجار المِرَاء» ـ بكسر الميم وتخفيف الراء وبالمد ـ : موضع بقُباء خارج المدينة المنورة. وقال مجاهد: هي قُباء، كما في (النهاية) لابن الأثير ١/ ٢٠٣، ٤/ ٩١، والقاموس وشرحه ٣/ ١٢٧، و(وفاء الوفاء) للسمهودي ٢/ ٢٤٤. ولم نجد في ذلك خلافًا، إلا ما ذهب إليه أبو عبيد البكري في (معجم ما استعجم ١١٧، إذ زعم أنه «موضع بمكة، علىٰ لفظ جمع حَجَر، كانت قريش تتمارىٰ عندها، وهي صُفِيّ السِبَاب». ثم ذكر هـٰذا الحديث شاهدًا. قال الشيخ شاكر: وأنا أرجح أن هـٰذا وَهْم منه، انتقل ذهنُه بمناسبة تقارب معنيَيْ اللفظين إلىٰ الظن باتحاد المكانين. فإن «صُفِيّ السِباب» موضع بمكة كانت قريش تتمارىٰ عندها. كما قال أبو عبيد نفسه في مادة (صفي) ٨٣٨، فانتقل ذهنه فقال عقب ذلك: «وهو الموضع المعروف بأحجار المِرَاء» والمِرَاء من المماراة، والصُفِيّ ـ بضم الصاد وكسر الفاء وتشديد الياء ـ: جمع «صَفا» و«الصَفا» جمع صفاة. وهي الحجر الصَلْدُ الضَخْم الذي لا يُنْبِت شيئا. ومما يؤيد اليقين بما أخطأ فيه أبو عبيد البكري: أن بعض روايات هـٰذا الحديث الآتية: «عند أضاة بني غفار» وهي موضع بالمدينة يقينًا. وقد بين أبو عبيد نفسُه ذلك في ص١٦٤، وذكر الحديث بالرواية الآتية أيضًا شاهدًا عليه». انتهىٰ ما قاله العلامة الشيخ أحمد شاكر.

٥ـ فالموضع الذي التقىٰ فيه رسول الله ﷺ بجبريل عليه السلام وأبلغه فيه جبريل

بنزول القرآن علىٰ سبعة أحرف هو موضع قُباء الآن في المدينة المنورة . وكان هناك أَضاةُ (مستنقع ماء) تسمَّىٰ أَضاة بني غِفَار، وكانت فيه أيضًا أحجار تسمَّىٰ أحجار المِرَاء، فلما هاجر هشام إلىٰ المدينة وقرأ القرآن سمعه عمر رضى الله عنه يقرأ بكلمات مختلفة عما تلقاه عمر عن النبيِّ ﷺ إلخ القصة. فلما روىٰ أُبَيٌّ القصة مرتين ذكر مرة أن مكان اللقاء عند أحجار المراء، ومرةً أنه عند أضاة بني غفار، ولا تنافي بينهما ؛لأن المكان واحد فيه الأحجار المذكورة وفيه الأضاة المذكورة أيضا. فانحل الإشكال والحمد لله. لكن للموضوع بقية.

٦ـ البقية التي أشرنا إليها في السطر السابق أن المشكلة التي كنا إزاءها في الفقرات السابقة تثبت أن حديث الأحرف السبعة إنما صدر عن الرسول ﷺ في المدينة أي بعد الهجرة ؛لأن عمر رضى الله عنه لم يكن يعلم بنزول القرآن علىٰ سبعة أحرف إلا بعد أن اختلف مع هشام في القراءة وتحاكما إلىٰ النبي ﷺ فأخبره ﷺ برخصة الأحرف السبعة. وقد ذكرنا أن هشامًا إنما أسلم يوم فتح مكة. فلما ذهب إلىٰ المدينة وأخذ في حفظ القرآن، وأخذ يقرأ بالقرآن في صلاته سمعه عمر ووقعت بقية القصة، ويمكن أن نقدر الزمن الذي مر منذ رحيل هشام إلىٰ المدينة وحِفْظِه قدرًا من القرآن إلىٰ أن وقع الاختلاف بين عمر وبينه فى القراءة ـ يمكن أن نقدر زمن ذلك بعام أو أقل قليلًا أو أكثر.

ـ لكن المهم أن استشعار النبي ﷺ صعوبة حفظ أصحابه القرآن، وتضرعه إلىٰ الله سبحانه في ذلك، وهو التضرع الذي كانت الاستجابة إزاءه أن القرآن أُنْزِلَ علىٰ سبعة أحرف، هـٰذا التضرع والاستجابة لم يكونا إلا بعد الهجرة. فهل كان أَمْرُ حفظ القرآن في مكة أيسر علىٰ المسلمين في مكة منه عليهم في المدينة؟

٧ـ أُرَجِّحُ تمامًا أن الأمر كان كذلك؛ بسبب أنه قبل الهجرة كانت هناك معاناة دون انشغال، أعني معاناة الغُرْبة النفسية، واضطهاد الكفار لضعفاء المسلمين، ولكن كان مع ذلك إحساس بالعزة وأنهم علىٰ الحق، وهـٰذا خَفَّفَ الغُرْبة النفسية. ثم كان هناك نوع من التفرغ النسبي الذي تغذيه تلك الغربة. وذلك التفرغ كان يساعد علىٰ حفظ ما أنزل أولا بأول، واستمر ذلك نحو ثلاثة عشر عاما.

ـ وذلك في حين أنه بعد الهجرة شُغِل جمهور المسلمين بالجهاد، وكانت الغزوة الواحدة تستغرق أيامًا كثيرة قد تصل إلىٰ شهور (فقد استغرقت غزوة ذي أَمَر شهر صفر سنة ٣هـ وأيامًا معه، وغزوة الفُرْع من بُحْران ربيعًا الأخر وجُمَادَىٰ الأولىٰ سنة ٣هـ والخندق وقريظة نحو شهرين بين شوال وذي الحجة سنة ٥هـ وكذلك بني المصطلق في شعبان سنة ٦هـ وخيبر في المحرم سنة ٧هـ كل منهما نحو شهرين. والحديبية في ذي القعدة سنة ٦هـ ومؤتة في جُمَادَىٰ الأولىٰ سنة ٨هـ، والحج سنة ٩هـ كل منهن شهرا، وعمرة القضاء في ذي القعدة سنة ٧هـ .نحو شهر ونصف. وفتح مكة ثم حنين والطائف في رمضان إلىٰ ذي الحجة سنة ٨هـ حوالي ثلاثة أشهر، وتبوك في رجب إلىٰ رمضان سنة ٩هـ نحو شهرين ونصف. هـٰذا عدا الغزوات التي استغرق كل منها أياما (بدر استغرقت ٢٢ يوما)، ومجموع ذلك نحو ثمانية وعشرين شهرًا)[1]. وذلك عدا

---

(١) يراجع بشأن الغزوات والمدد التي استغرقتها: السيرة النبوية لابن هشام تح. مصطفىٰ السقا وصاحبيه/ مصطفى البابي الحلبي ط.٢ – ١٣٧٥/ ١٩٥٥) (نذكر الصفحات التي فيها تأريخ استنبطنا منه المدة التي استغرقتها كل غزوة) ١/ ٥٩٠ غزوة ودان/ الأبواء، ٥٩١ سرية عبيدة بن الحارث، ٥٩٥ سرية حمزة، ٥٩٨ غزوة بواط، غزوة العشيرة، ٦٠٠ سرية سعد، ٦٠١ غزوة سفوان، سرية عبد الله بن جحش (لم نذكر فى الإحصاء أيًّا من ذلك) ١/ ٦١٢، ٦٢٦ بدر الكبرىٰ، ٢/ ٤٣ بني سُلَيم بالكُدْر، ٤٤ السويق، ٤٦ ذي أمر =والفُرْع، ٤٧، ٤٩ قينقاع، سرية زيد، ١٠١ أحد، ١٨٣ بئر معونة، ١٩٠ بني النضير، ٢٠٣ ذات الرقاع،

السرايا، وهي كثيرة. فالاشتغال بالجهاد استغرق أحيانًا طويلة من حقبة ما بعد الهجرة.

وكان امتداد حقبة ما بعد الهجرة عشرة أعوام منها ما مجموعه ثمانية وعشرون شهرًا شُغِلَت بالجهاد، لا ثلاث عشرة سنة متاحة للحفظ كما كان قبل الهجرة.

ثم يضاف إلىٰ ذلك أن أكثر السُور الطوال نزلت بالمدينة: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنبياء والحج وبراءة والنور.

٨ ـ وأيضًا فإن هناك سورًا يسهل حفظها نزلت بمكة كيوسف،والإسراء، والكهف ، ومريم ، وطه، والصافات، و«ص»، و«ق»، والذاريات، والطور، والنجم، والقمر، والرحمن، والواقعة، والملك ، والحاقة، ونوح، والمزمل، والمدثر إلىٰ آخر القرآن إلا الزلزلة ، والنصر ، والإخلاص ، والمعوذتين. في حين أن أكثر الطول نزلن بالميدنة كما قلنا فكل هـٰذا جَسّم – في المدينة– الحاجة إلىٰ تيسير حفظ القرآن الكريم، فضرع النبي ﷺ إلىٰ الله تعالىٰ في ذلك فاستجاب له برحمته سبحانه، وأسعفه لأمته برخصة الأحرف السبعة.

وقد يتساءل متسائل: أكانت الرخصة خاصة بما نزل فى العهد المدني؟ وإذا لم تكن

---

٢٠٩ بدر الآخرة، ٢١٣ دومة الجندل، ٢٣٠ الخندق، ٢٣٣ و ٢٣٥ و ٢٧٩ قريظة، ٢٧٩ لحيان، ٢٨١ ذي قرد، ٢٨٩ المصطلق ٣٠٨ الحديبية، ٣٢٨ خيبر، ٣٧٣ مؤتة، ٣٨٩ و ٣٩٩ و ٤٣٧ فتح مكة، ٤٣٧ حنين، ٤٧٨ و ٥٠٠ الطائف والعمرة، ٥١٥ تبوك، ٥٤٣ حج أبي بكر بالناس سنة ٩هـ ، ٦٠١ حجة الوداع، ٦٠٦ بعث أسامة. وبقيت غزوات كأنها فوائت: ٦٠٩ غالب الليثي، زيد إلىٰ جُذام، زيد إلىٰ بني فزارة، غزو ابن رواحة اليسير بن رزام، عبد الله بن أنيس، عيينة بن حصن بني العنبر، غالب أرضي بني مرة، عمرو بن العاص ذات السلاسل، ابن أبي حدرد بطن إضم ،ابن أبي حدرد لقتل رفاعة الجشمي، ابن عوف دومة الجندل، أبي عبيدة إلىٰ سِيف البحر، عمرو بن أمية الضمري إلىٰ أبي سفيان بن حرب، زيد بن حارثة إلىٰ مدين، سالم بن عمير لقتل أبي عفك، عمير بن عدي لقتل عصماء بنت مروان، أَسْر ثُمامة بن أُثال، سرية علقمة بن مجزز، سرية كرد بن جابر لقتل البجليين الذين قتلوا يسارًا، غزوة على إلىٰ اليمن، بعث أسامة إلىٰ أرض فلسطين.

كذلك بل كانت عامة، فكيف تنطبق علىٰ ما سبق نزوله في العهد المكي؟

ونقول إنه لا شك أنها كانت عامَّة. وأمور التشريع الصادرة عن الله ﷻ أو عن رسوله ﷺ تطاع ولا يقال فيها كيف. ولهذا نظائر كثيرة منها التيمم، وقصر الصلاة في الحرب والسفر، واستقبال الكعبة بدلا من بيت المقدس كلها صدرت متأخرة عن أصولها أو أوائلها التي كانت عليه: الوضوء، والصلاة الرباعية، واستقبال بيت المقدس وتتبع ذلك يأتي بمزيد من الأمثلة، فلا غرابة تدعو للتساؤل في تأخر رخصة الأحرف السبعة إلىٰ حين وقوع مقتضيها. وبالله التوفيق.

❊ ❊ ❊

# المعَالجَةُ الثانِيَةُ

# تَلْخِيصُ رَأْيِ أبِي شَامَةَ

## «فِي مَعْنَىٰ حَدِيثِ نُزُولِ الْقُرْآنِ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»

# الإمام أبو شامة

هو عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي (٥٩٥- ٦٦٥هـ). أصله من القُدْس ومولِده في دمشق، وبها منشؤه ووفاته. وهو مُؤَرِّخٌ له سبعة كتب كبيرة في التاريخ، ومُحَدِّثٌ وَلِيَ مشيخةَ دار الحديث الأشرفية في دمشق، وأُصوليٌّ له :«الوصول في الأصول» و«الباعث علىٰ إنكار البدع والحوادث». وإمامٌ في القراءات. له فيها شرحٌ للشاطبية هو من أشهر شروحها عنوانه: «إبراز المعاني من حرز الأماني». وله أيضًا مفرداتُ القراء، والمرشدُ الوجيز في علوم تتعلق بالكتاب العزيز[1].

معالجاته في كتبه نفيسةٌ تَشْعر فيها بالبصيرة الراشدة، والدراية العميقة. يتجلىٰ ذلك في ملاحقته لما يرويه ـ كما في استدراكاته في أثناء شرحه الشاطبية ـ علىٰ الإمام الشاطبي. حيث يستدرك الجزئية العلمية التي تدقق ما قال الشاطبي[2]، ثم يصوغها أبو شامة في بيت أو أبيات يقترحها بدلًا من أبيات الشاطبية[3]. كما تتجلىٰ بصيرته ودرايته في ملاحقته أيضًا لما يرويه في المرشد الوجيز بقوله: «قلت...» موضحًا ومعدِّلًا له أحيانًا[4]. وتتجلىٰ كذلك

---

(١) صلب هٰذه الترجمة من الأعلام للزركلي ط٤/ ٣/ ٢٩٩.

(٢) ينظر مثلاً قوله في شرحه البيت رقم ٤٧ من الشاطبية «سوىٰ أحرف»: «ولم يكن هٰذا موضع ذكره، ولو أخره» إلخ وقوله: «ولم يحصل الاستغناء به لأنه لم يجل القراءة الأخرىٰ»، وقوله في شرح البيت ٤٨: ولو قال :«ورب» مكان «كرر الرمز» إلخ. ثم قوله: «ولم ينبه علىٰ ذلك».

(٣) ينظر مثلاً قوله في شرح البيت رقم ٦٠ «وحيث جرىٰ التحريك»: «ولهٰذا قلت أنا..: وإن أطلق التحريك نصًّا ولازما إلخ» .

(٤) ينظر تأويله الإنزال ص١٤، ٢٧، ٣١، وملاحقته الروايات موضحًا أو موثقًا ص١٤- ١٥، وموجهًا توجيهًا لغويًّا ص١١، ١٨، ومرجحًا ص٢٠ ومبطلًا ص١٠، وانظر كذلك استقصاءه الكلام في معنىٰ نزول القرآن ٩-٣١.

بصيرته ودرايته في المنهج الذي اتبعه في «المرشد الوجيز». فالكتاب مؤلف خصيصًا لبيان المقصود بالأحرف السبعة في حديث النبيِّ ﷺ: «أُنزِلَ الْقُرْآنُ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»[1].

ولكن أبا شامة بدأ الكتاب بباب «فِي الْبَيَانِ عَنْ كَيْفِيَّةِ نُزُولِ الْقُرْآنِ وَتِلَاوَتِهِ وَذِكْرِ حُفَّاظِهِ فِي ذَلِكَ الْأَوَانِ» يعني أوان نزول القرآن، وغطت معالجته حقبة النزول وأهمَّ مسائلها. ثم عقد الباب الثاني لـ«جَمْعِ الصَّحَابَةِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم ـ الْقُرْآنَ، وَإِيضَاحِ مَا فَعَلَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ» وغطت معالجته الجمعين: البكري والعثماني تغطية بصيرة، ثم عقد الباب الثالث لـ«مَعْنَىٰ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ:«أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ» . وهـٰذا الباب هو قِوام الكتاب، فعقد الفصل الأول لـ«سَرْدِ الْأَحَادِيثِ» يقصد الأحاديثَ التي ورد فيها قول النبي ﷺ :«أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ». ثم عقد الفصول من الثاني إلىٰ السادس للمراد بالأحرف السبعة عارضًا الأقوال وملاحقًا لها بالمناقشة الصادرة عن اقتناع بأن المراد هو القراءة بالمرادف، وأحيانًا يضيف إلىٰ المرادف اللغات. وبهـٰذا الباب تم صُلب الكلام عن حديث الأحرف السبعة، فعقد الباب الرابع لـ«الْقِرَاءَاتِ الْمَشْهُورَةِ الْآنَ» يعني علاقتها بحديث الأحرف السبعة. وعقد الباب الخامس للفصل بين القراءة الصحيحة القوية، والشاذة الضعيفة المروية. والباب السادسُ دعوةٌ للإقبال علىٰ ما ينفع من علوم القرآن والعمل بها، وترك التعمق في تلاوة ألفاظه والغلو بسببها. وهـٰذه الأبواب الثلاثة الأخيرة من تتمات العلم بالقراءات وهي متصلة بحديث الأحرف، من حيث هي أساس لبعض التنوعات القرائية .

فانظر إلىٰ هـٰذا المنهج في المعالجة بترتيبه وتنسيقه من ناحية وبتكامله واستيعابه من

---

(١) قال في ص٧٣ عن الباب الثالث الذي عالج فيه جوانب حديث الأحرف السبعة خاصة إنه عمدة هٰذا الكتاب، والمقصود بهـٰذا التصنيف، وما قبله وما بعده من الأبواب مُقَدَّم بين يديه وتبع له، لشدة تعلق الجميع به.

ناحية أخرىٰ. ولا يَغِيبَنَّ عن ذهن القارئ ما كررتُ ذكره من ملاحقته ما يرويه بالإيضاح أو التأويل والتعديل ليصل بالمعالجة إلىٰ استخلاص رأي واضح .

ومن أجل كل ذلك اخترتُ معالجة الشيخ أبي شامة لعرضها علىٰ الدارسين لسلامتها وعِلْمِيّتِها منهجًا ومناقشةً واستخلاصًا. فجزاه الله خيرًا.

## خُلَاصَةُ رَأْيِ أَبِي شَامَةَ

أ ـ سأورد تلخيصًا لجهده الذي أدىٰ إلىٰ رأيه انتقاءً نصيًّا من كتابه «المرشد الوجيز» مع الترتيب المناسب، ومع تعليق إيضاحي بعد نصوص كل فكرة تقتضي الإيضاح.

ب ـ سأضع خطًّا تحت المقصود من الفقرة ؛ لألفت الانتباه إليه، مع المحافظة علىٰ السياق.

## (١)

## أَحَادِيثُ تَضَرُّعِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ أَنْ يُخَفِّفَ عَلَىٰ الْأُمَّةِ

«وفي جامع الترمذي عن أُبَيِّ بن كعب قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل. فقال: يا جبريل إني بُعِثْتُ إلىٰ أمة أميين منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتابًا قط. قال: يا محمد إن القرآن أنزل علىٰ سبعة أحرف» قال الترمذي: هـٰذا حديث حسن صحيح[1].

---

(١) المرشد الوجيز ٨٢ .

«وهنا ذَكَر توثيقًا لحديث أُبيٍّ هـٰذا وإشارةً لأحاديث في الباب لسبعة من الصحابة».

«قلت (أبو شامة): ورواه أبو جعفر الطبري[1] في تفسيره :«منهم الغلام، والخادم، والشيخ العاسي، والعجوز». فقال جبريل: فليقرءوا القرآن علىٰ سبعة أحرف»[2].

«وفي كتاب أبي عبيد عن حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ قال: «لقيت جبريل عليه السلام عند أحجار المراء، فقلت: يا جبريل: إني أُرْسِلْتُ إلىٰ أَمَّةٍ أُمِّيَّةٍ: الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفاني الذي لم يقرأ كتابًا قط، فقال: إن القرآن أُنْزل علىٰ سبعة أحرف»[3].

****

**تعليق**: أقول أنا صانع تلخيص رأي أبي شامة هـٰذا:

أ ـ إن النبيَّ ﷺ يضرع إلىٰ الله بحال أمته الأُمِّيّة الذين لا يستطيعون الحفظ، إما للأُمية وعدم تعود الحفظ، وإما لكبر السن، وإما للاشتغال بالجهاد أو المعاش أو الخدمة.

ب ـ ومقتضى التضرع بالأحوال السابقة هو سؤال التيسير في مستوىٰ حفظ القرآن المطلوب من الأمة. ولذا جاء التيسير في صورة الترخيص المؤقت في الالتزام بأعيان الحروف (الكلمات) القرآنية حين القراءة من الذاكرة كما في الصلاة مثلًا، مادام النص الكريم المُنْزَل قد دُوِّنَ خَطِّيًّا فورَ نزوله، ولا خوف عليه من هـٰذه الرخصة. وسيأتي تفصيل ذلك.

---

(١) المقصود الحديث رقم ٢٩ في تفسير الطبري (تح شاكر ١/ ٣٥) وهو حديث صحيح.

(٢) المرشد الوجيز ٨٣ .

(٣) نفسه .

جـ - أَلْفِتُ إلىٰ الارتباط بين خلاصة الشكوىٰ «أُرْسِلْتُ إِلَىٰ أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ: الرجل..» وبين «الجواب بإنزال القرآن علىٰ سبعة أحرف». ما شأن الْأُمِّيِّ؟ إنه لم يدرس ولم يتعود حفظ نصوص تزيد عن جملة. وما معنىٰ الإنزال علىٰ سبعة أحرف في مواجهة هٰذه الشكوىٰ؟

الإجابة: لا يكون إلا التيسيرَ والتجاوزَ في مستوىٰ الحفظ وفي مستوىٰ الالتزام بأعيان الألفاظ في النصِّ.

## (٢)

## (مَنَاطُ الاخْتِلَافِ وَالصُّعُوبَةِ هُوَ الالْتِزَامُ بِالْأَحْرُفِ (:الْأَلْفَاظِ) بِأَعْيَانِهَا فِي الْقِرَاءَةِ):(كَمَا يَشْهَدُ ظَاهِرُ الْأَحَادِيثِ)

أ - «... عن ابن شهاب قال: حدثني عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن عبد القاري حدثاه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ علىٰ حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ، فكدت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتىٰ سلم، فلببته بردائه، فقلت من أقرأك هٰذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال أقرأنيها رسول الله ﷺ. فقلت كَذَبْتَ، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها علىٰ غير ما قرأت. فانطلقت به أقوده إلىٰ رسول الله ﷺ فقلت إني سمعت هٰذا يقرأ بسورة الفرقان علىٰ حروف لم تقرئنيها. فقال رسول الله ﷺ أرسلْه. (فأرسله عمر، فقال لهشام) اقرأ يا هشام. [قال عمر]: فَقَرأ عليه القراءة التي سمعتُه يقرأ. فقال رسول الله ﷺ كذلك أُنْزِلَتْ. ثم قال ﷺ اقرأ يا عمر. [قال عمر]: فقرأت القراءة التي أقرأني. فقال رسول

الله ﷺ كذلك أُنْزِلَتْ. إن هٰذا القرآن أنزل علىٰ سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه»[1] (اللفظ للبخاري ورواه غيره أيضًا)[2]... وأخرجه النسائي في سننه الكبرىٰ، وقال: «فقرأ فيها حروفا لم يكن النبي ﷺ أقرأنيها»[3].

ب ـ «فقال رسول ﷺ : إن هٰذا القرآن نزل علىٰ سبعة أحرف. فَأَيَّ ذلك قرأتم أصبتم. فلا تَمَارَوْا في القرآن، فإن مراءً فيه كفر»[4].

* ***

## تعليق:

أ ـ أَسْتَلْفِتُ الدارسَ إلىٰ قول عمر :«فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَىٰ حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ الله ﷺ» .والعبارة نفسها وردت عن ابن مسعود[5] ـ رضي الله عن الصحابة جميعا .

ب ـ فما أخذه عمر علىٰ هشام هو أن هشامًا قرأ في هٰذه السورة علىٰ حروف (أي بحروف أي بألفاظ وكلمات) غيرِ التي تلقاها عمر عن النبي ﷺ (راجع إيضاحنا لمعنىٰ

---

(١) أ- المرشد الوجيز ص٧٨. وقد راجعته علىٰ (صحيح البخاري بعناية محمد زهير الناصر، وهو) طبعة الأميرية ٦/ ١٨٥. ب- لببه بردائه يعني قبض علىٰ أعلىٰ قميصه تحت ذقنه. وكلمة أُرْسِلْهُ معناها: أَطْلِقْه/ فُكَّ قبضتك عن ثوبه .

(٢) مسلم ٢/ ٢٠٢، أبو داود ٢/ ٢٠١، الترمذي ١١/ ٦١ (محقق المرشد)، والبخاري (انظر أ في التعليق السابق).

(٣) ورواه في سننه الصغرىٰ ٢/ ١٥٠ أيضا (محقق المرشد). وقد رأيته في سنن النسائي الصغرىٰ .

(٤) المرشد الوجيز ٨٤. وفي تفسير الطبري (تح شاكر) برقم ٤١ بلفظ: «إن القرآن أنزل علىٰ سبعة أحرف. فلا تماروا في القرآن، فإن المراء فيه كفر». وقال شاكر: رواه أحمد في المسند رقم ١٧٦١٥ (٤/ ١٦٩- ١٧٠ حلبي). ونقل عن ابن كثير في الفضائل أن إسناده صحيح .

(٥) ينظر المرشد الوجيز ٨٦ نصه :«فإذا هو يقرأ حروفًا لا أقرؤها».

كلمة حرف). فمناط الاختلاف، وهو نفسه مناط الصعوبة، هو الالتزام في القراءة بأعيان الكلمات أو الألفاظ التي تُلُقِّيَتْ .

جـ - ويكون معنىٰ قوله ﷺ إزاء ذلك الاختلاف: «إن القرآن أنزل علىٰ سبعة أحرف» أن الأمر واسع، وليس في القراءة جمود علىٰ حرف معين، فإن غاب عن ذهن الْأُمِّي، أو الذي نسى الحفظ حرفٌ أي كلمة، فَلَهُ أن يأتي بكلمة بديلة للتي غابت عن ذهنه. فإن غابت الثانية أتىٰ بثالثة.. إلىٰ سبع - حسب المثالين الواردين في حديث أَبِي بَكْرَةَ التالي. فقوله ﷺ : «إن القرآن أُنْزِلَ علىٰ سبعة أحرف» يعني أن الأمر موسع يتسع لذوي الأعذار (المذكورين في رقم ١)، وقوله ﷺ :«فاقرءوا ما تيسر منه» أي اقرءوا حسب ما تيسر لكم وقدرتم عليه من حيث حفظ أعيان الكلمات لا من حيث الكمّ. (وكانت هٰذه رخصة مؤقتة لذوي الأعذار، ولم تُغَيِّرْ من القرآن شيئا؛ لأنها انتهت بإجماع الصحابة علىٰ المصاحف العثمانية التي نُقِلَتْ من مصحف أبي بكر، الذي كُتِبَ أخذًا من العرائض التي كان يُكْتَب فيها القرآن بإملاء النبي ﷺ فور نزول القرآن.

## (٣)

## وَجْهُ الصُّعُوبَةِ الْـمُلْجِئَةِ لِلتَّضَرُّعِ بِبَيَانِ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ

### أولًا: بِبَيَانِ الطَّحَاوِيِّ: (أ) [١]

جاء في (الإتقان) في بيان الأقوال في المراد بالأحرف السبعة:

«القول التاسع» المراد سبعة أوجه من المعاني المتفقة بألفاظ مختلفة نحو «أَقْبِلْ» و«تَعَالَ» و«هَلُمّ» و«عَجِّلْ» و«أَسْرِعْ»..» ثم أسند عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَشَوْا فِيهِ﴾ [البقرة ٢٠]: «مَرُّوا فيه»،«سَعَوْا فِيهِ»، وكان ابن

---

(١) أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي إمام جليل في الحديث والفقه(ت ٣٢١هـ).

مسعود يقرأ: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا﴾ [الحديد: ١٣]: «أَمْهِلُونَا»،«أَخِّرُونَا». قال الطحاوي: «وإنما كان ذلك رخصة لمّا كان يَتَعَسَّرُ علىٰ كثير منهم التلاوةُ بلفظ واحد، لعدم علمهم بالكتابة والضبط وإتقان الحفظ، ثم نُسِخَ بزوال العُذْر، وتيسُّر الكتابة والحفظ» وكذا قال ابن عبد البر، والباقلاني، وآخرون»[1] اهـ.

## الطَّحَاوِيُّ (ب):

وفي المرشد الوجيز[2] (عن التمهيد لأبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر ت ٤٦٣هـ):

«قال أبو جعفر الطحاوي كانت هٰذه السبعة للناس في الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن علىٰ غيره؛ لأنهم كانوا أميين لا يكتبون إلا القليلُ منهم، فكان يشق علىٰ كل ذي لغة منهم أن يتحول إلىٰ غيرها من اللغات، ولو رام ذلك لم يتهيأ له إلا بمشقة عظيمة. فوُسِّعَ لهم في اختلاف الألفاظ إذا كان المعنىٰ متفقا. فكانوا كذلك حتى كثُر من يكتب منهم...»[3].

## ثانيًا: ببيان أبي شامة:

## أبو شامة (أ):

قال أبو شامة تعليقًا علىٰ حديث إجازة قراءة: «غَفُورٌ رَحِيمٌ» بدل «عَلِيمٌ حَكِيمٌ».

---

(١) ينظر الإتقان النوع ١٦،الكتب العلمية ١/ ٤٦. (وهٰذه هي الإضافة الأولىٰ التي أتيت بها من خارج المرشد الوجيز).

(٢) ص١٠٦.

(٣) المرشد الوجيز ١٠٦ (عن التمهيد) ينظر التمهيد (تح. عطا) ٣/ ٦٣٩.

«وكان هٰذا (أي رخصة الأحرف السبعة) سائغًا قبل جمع الصحابة المصحف تسهيلًا علىٰ الأمة حفظه ؛ لأنه نزل علىٰ قوم لم يعتادوا الدرس والتكرار وحفظ الشيء بلفظه، بل هم قوم عرب فصحاء يعبرون عما يسمعون باللفظ الفصيح»[1]. (يعني: وإن لم يكن هو عين ما سمعوه).

## أبو شامة (ب):

ثم قال أبو شامة (بعد كلامه عن رأي شيخه السخاوي، وعن الوجوه في كلمتي ﴿أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣]،﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ [الأعراف: ١٦٥][2].

قلت (أبو شامة): فمعنىٰ الحديث أنه رُخِّصَ لهم في إبدال ألفاظه بما يؤدي معناها أو يقاربه من حرف واحد إلىٰ سبعة أحرف، ولم يُلْزَمُوا المحافظة علىٰ حرف واحد، لأنه نزل علىٰ أُمَّة أُمِّية لم يعتادوا الدرس والتكرار وحفظ الشيء علىٰ لفظه، مع كبر أسنانهم واشتغالهم بالجهاد والمعاش فرُخِّصَ لهم في ذلك. ومنهم من نشأ علىٰ لُغة يصعب عليه الانتقالُ عنها إلىٰ غيرها، فاختلفت القراءاتُ بسبب ذلك كله. ودَلَّنا ما ثبت في الحديث من تفسير ذلك بنحو «هلم» و«تعال» علىٰ جواز إبداله باللفظ المرادف. ودَلّنا ما ثبت من جواز «غفورًا رحيمًا» موضع «عَزِيزًا حَكِيمًا» علىٰ الإبدال بما يدل علىٰ أصل المعنىٰ دون المحافظة علىٰ اللفظ، فإن جميع ذلك ثناء علىٰ الله سبحانه»[3].

*****

---

(١) المرشد الوجيز ٨٩ .

(٢) المرشد الوجيز ١٢٦ .

(٣) نفسه ١٢٦ – ١٢٧ .

## تعليق:

واضح من كلام الأئمة الطحاوي (الذي قال نحوه ابن عبد البر والباقلاني وآخرون) وأبي شامة أن الصعوبة التي من أجلها تضرع رسول الله ﷺ إلىٰ الله ﷻ ليخفف عن الأمة كانت هي عدمُ تعود جمهور الأمة حينذاك علىٰ حفظ أي نص واستظهاره بعين ألفاظه. ومن ذلك القرآن الكريم. فالمرأة العجوز والشيخ الكبير يتعسر عليهما حفظ النص بأعيان ألفاظه، إذ تعوقهما الشيخوخة، وذلك أمر معروف وملموس إلىٰ الآن، وأصله من ضعف الذاكرة بكبر السن. والغلام والجارية (يشملان العبد والأَمَة) تَشْغَلُهما الخِدْمة ووجوب كونهما في نطاق تلبية نداء السادة بطلباتهم. والذي لم يقرأ كتابا قطُّ تَحَجَّر ذهنُه، ويحتاج إلىٰ جهد خاص وفراغٍ وزمن للتكرار، حتىٰ يحفظ قدرًا من القرآن. ولنتصور أن أحدًا من هؤلاء أراد أو أُرِيدَ له أن يحفظ الآيات الخمس الأولىٰ من سورة البقرة. إنه سيحتاج - إذا فرغ لذلك - إلىٰ مقرئ وإلىٰ عدة ساعات ليستطيع استظهارها استظهارًا ثابتًا ليقرأها في أي وقت عن ظهر قلب، كما هو مطلوب في الصلاة مثلًا. ومن كان من غير الذين ذكرناهم فإنه قد يشغله الجهاد أو السعي علىٰ المعاش مثلًا وهـٰكذا. فاقتضىٰ الأمر تلك الضراعة من رحمة الله المهداة ﷺ إلىٰ الله ﷻ للتخفيف علىٰ عباده.

## (٤)

## صُورَةُ التَّيْسِيرِ بِنَصٍّ مِنَ الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ

أ- قال رسول الله ﷺ: «يا أُبَيُّ أني أُقْرِئت القرآن فقال لي :علىٰ حرف؟ فقال المَلَكُ الذي معي: قل : علىٰ حرفين. قلت: علىٰ حرفين. فقيل لي : علىٰ حرفين؟ فقال المَلَكُ

الذي معي قل: علىٰ ثلاثة. فقلت :علىٰ ثلاثة... حتىٰ بلغتُ سبعة أحرف. ثم قال: ليس منها إلا شافٍ كافٍ. إن قلتَ: سَمِيعًا عَلِيمًا ،عَزِيزًا حَكِيمًا. ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب» [1].

ب ـ من حديث أُبَيٍّ أيضًا: «ليس فيها إلا شافٍ كافٍ. قلتَ: غَفُورٌ رَحِيمٌ ،عَلِيمٌ حَكِيمٌ، سَمِيعٌ عَلِيمٌ، عَزِيزٌ حَكِيمٌ، نحو هٰذا ما لم تختم آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب»[2].

جـ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أُنْزِل القرآن علىٰ سبعة أحرف: عليمٌ حكيم. غفورٌ رحيم».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن هٰذا القرآن أُنْزِل علىٰ سبعة أحرف: فاقرءوا ولا حرج. ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب، ولا ذكر عذاب برحمة»[3].

د ـ وفي حديث لعبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه «أن جبريل قال لرسول الله ﷺ: «اقرأ القرآن علىٰ حرف. فقال له ميكائيل: استزده. فقال علىٰ حرفين، ثم قال: استزده حتىٰ بلغ سبعة أحرف كلها كافٍ شافٍ كقولك: «هلم» و«تعال». ما لم تختم آيَةَ رحمةٍ بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة» [4].

---

(١) المرشد الوجيز ٨٢ (والحديث في أبي داود ٢/ ١٠٢ محقق المرشد).

(٢) نفسه ٨٧، (والحديث في السنن الكبرىٰ ٢/ ٣٨٣ محقق المرشد).

(٣) تفسير الطبري (شاكر ـ برقمي ٨، ٤٥) وهما صحيحان). وهٰذه هي الإضافة الثانية التي أضفتها من خارج المرشد الوجيز .

(٤) المرشد الوجيز ٨٤، (والحديث في المصنف ٢/ ١٦١ ظ . وأحمد ٥/ ٤١ محقق المرشد).

## تَعْلِيقٌ: صُوَرُ التَّيْسِيرِ أَخْذًا مِنَ الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ:

الصُّورَةُ الْأُولَىٰ: قراءة مرادف الكلمة بدلا منها كما في حديث أبي بكرة كقولك: «هلم ،وتعال». وهٰذا ثابت في أحاديث كثيرة صحيحة: ومنها حديث أبي بكرة السابق، ومن رواياته: «أن جبريل قال يا محمد اقرأ القرآن علىٰ حرف قال ميكائيل: استزده... حتىٰ بلغ سبعة أحرف. قال: كل شافٍ كافٍ ما لم تختم آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب، نحو قولك : «تعال» ،و«أَقْبِلْ»، و«هَلُم» ،و«اذْهَبْ» ،و«أَسْرِعْ» و«عَجِّلْ» ..» قال السيوطي : هـٰذا اللفظ رواية أحمد وإسناده جيد[1]: قال: وإلىٰ هٰذا ذهب سفيان بن عيينة، وابن جرير وابن وهب ، وخلائق. ونسبه ابن عبد البر لأكثر العلماء.

وأمثلة هٰذا النوع كثيرة جدًّا في قراءات الصحابة. منها قراءة أبي ابن كعب قوله تعالىٰ :﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٠]: «مَرُّوا فِيهِ»،«سَعَوْا فِيهِ»، وقراءته: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا﴾ [الحديد: ١٣]: «أَمْهِلُونَا»،«أَخِّرُونَا»،«أَرْجِئُونَا» وقراءة عمر: «فَامْضُوا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّـهِ». بدلاً من﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّـهِ﴾[الجمعة: ٩][2].

الصُّورَةُ الثَّانِيَةُ: خَتْم الآية الكريمة بأي من أسماء الله ﷻ المناسبة لها. كما في حديث أبي بكرة السالف، وحديثي أُبِّي، وحديث أبي هريرة «نزل القرآن علىٰ سبعة

---

(١) الإتقان للسيوطي النوع ١٦ (ط الهيئة العامة تح . محمد أبي الفضل إبراهيم) ١/ ١٦٧. وهٰذه هي الإضافة الثانية التي أتيت بها من خارج المرشد الوجيز.

(٢) ينظر المرشد الوجيز ١٠٤ .

أحرف: عَلِيمًا حَكِيمًا غَفُورًا رَحِيمًا»[1] وفي رواية فاقرءوا ولا حرج، ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة»[2].

وهٰذا النوع لا يحتاج أمثلة من عندنا. فما أكثر خواتيم الآيات التي ينطبق عليها هٰذا النوع .

## (٥)

# (نُصُوصٌ بِرَأْيِ أَبِي شَامَةَ فِي بَيَانِ رَأْيِهِ فِي المَرادِ بِالْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ)

عقد أبو شامة الباب الأول من كتابه (المرشد الوجيز) لـ(البيان عن كيفية نزول القرآن وتلاوته، وذكر حفاظه في ذلك الأوان)، وهو باب في تأريخ القرآن وحفاظه الأُوَل- كما هو صريح عنوانه، وجعل الباب الثاني (في جمع الصحابة القرآن، وإيضاح ما فعله أبوبكر وعمر وعثمان) } وهو يقصد جمع القرآن في عهد أبي بكر أخذا من العرائض التي كُتِبَتْ بين يدي النبي ﷺ وبإملائه ﷺ ثم نَسْخ القرآن أي كتابته نقلا من مصحف أبي بكر في سبعة مصاحف أو نحوها في عهد عثمان. ثم أراد أبو شامة أن يُجْمِل للقارئ خلاصة ذلك مع خلاصة رأيه في المراد بالأحرف السبعة فقال:

## النَّصُّ رَقم (أ)

«وَاعْلَمْ أَنَّ حَاصِلَ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ المتَقَدِّمَةُ، وَمَا صَرَّحَتْ بِهِ أَقْوَالُ الْأَئِمَّةِ»:

١- «أن تأليف القرآن علىٰ ما هو عليه الآن= كان في زمن النبيﷺ بإذنه وأمره».

٢- «وأن جمعه في الصحف خشية دثوره بقتل قرائه= كان في زمن أبي بكرﷺ».

---

(١) المرشد الوجيز ٨٤- ٨٥. (عن المصنف ٢/ ٦١ ظ. محقق المرشد الوجيز).

(٢) نفسه ٨٥ والحديث في تفسير الطبري (شاكر) ١/ ٤٦ .

٣- «وأن نَسْخَه (أي كتابته) في مصاحف، حملاً للناس علىٰ اللفظ المكتوب حين نزوله؛ بإملاء المنزَل إليه ﷺ، ومنعًا من قراءة كل لفظ يخالفه= كان في زمن عثمان رضى الله عنه».

٤- «وكأن أبا بكر كان غرضُه أن يجمع القرآن مكتوبًا مجتمعًا غيرَ مُفرَّق، علىٰ اللفظ الذي أملاه رسول الله ﷺ علىٰ كَتَبة الوحي ليُعْلَم ذلك، ولم يَكِلْ ذلك إلىٰ حفظ مَن حَفِظَه، خشية فنائهم بالقتل، ولاختلاف لغاتهم في حفظهم، علىٰ ما كان أبيح لهم من قراءته علىٰ سبعة أحرف ـ علىٰ ما تأتىٰ معانيها في الباب الثالث».

٥- «فلما وُلِّيَ عُثْمانُ، وكثر المسلمون وانتشروا في البلاد، وخِيف عليهم الفساد من اختلافهم في قراءاتهم، لاختلاف لغاتهم= حملهم عثمان علىٰ ذلك اللفظ الذي جَمَعَهُ زيدٌ في عهد أبي بكر، وبَقَّىٰ (أي ترك) ما عداه ليجمع الناس علىٰ قراءة القرآن علىٰ وَفْق ما نُزِّل علىٰ محمد ﷺ، ولا يكثر فيه التصرف فيتفاحش تغيره، وتنمحق ألفاظه المنزلة».

٦- «فقد اتضح بما ذكرناه معنىٰ ما فعله كل واحد من الإمامين أبي بكر وعثمان رضى الله عنهما فأبو بكر قصد جمعه في مكان واحد، ذُخْرًا للإسلام، يُرْجَع إليه، إن اصْطُلِمَ ـ والعياذ بالله ـ قُرّاؤه. وعثمانُ قَصَدَ أن يقتصر الناس علىٰ تلاوته علىٰ اللفظ الذي كُتِب بأمر النبي ﷺ ولا يَتَعدَّوْه إلىٰ غيره من القراءات التي كانت مباحة لهم، المنافية لخط المصحف: من الزيادة والنقصان وإبدال الألفاظ- علىٰ ما سيأتي شرحه»[1].



(١) المرشد الوجيز ٧٠- ٧١.

تعليق: هٰذه الخلاصة واضحة تمامًا ولكني أستلفت القارئ إلىٰ أمرين من باب التأكيد:

الأول: ما ذكر (في الفقرة رقم ٦) من أن القراءات التي كانت أبيحت للمسلمين بحديث الأحرف السبعة كان فيها زيادة ونقصان وإبدال ألفاظ. فإبدال الألفاظ هو القراءة بالمرادف كما سيأتي مصرحًا ومكررًا. وكان ذلك رخصة مؤقتة للأُمِّيِّ ولمن يقرأ استظهارًا أي عن ظهر قلب (أو غيبا ـ كما نقول الآن)، ثم نُسِخَتْ تلك الرخصة لزوال العذر، بتيسر الحفظ وكثرة الحَفَظَة. ولا يخفي أن الزيادة والنقصان لازمة للقراءة بالمرادف حَسَبَ ما يختاره القارئ.

الثاني: تأكيد أبي شامة علىٰ أن نَسْخَ رخصة الأحرف السبعة (أعني انتهاءها) وقع بكتابة المصاحف العثمانية نقلًا من المصحف الذي جُمِعَ في عهد أبي بكر أخذًا من العرائض التي كُتِبَتْ بين يدي النبي ﷺ وذلك «حملا للناس علىٰ اللفظ المكتوب حين نزوله بإملاء المُنْزَلِ عليه ﷺ» (فقرة ٣) أي «علىٰ اللفظ الذي أملاه رسول الله ﷺ علىٰ كَتَبة الوحي» (فقرة ٤)، أي «علىٰ اللفظ الذي كُتِبَ بأمر النبي ﷺ » (فقرة ٦).

# النَّصُّ رَقم (ب)

قال أبو شامة ـ بعد سرد بعض أقوال الذين فسروا الأحرف السبعة باللغات، واعتراض البعض علىٰ ذلك:

«وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الشُّيُوخِ: الْوَاضِحُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الله تَعَالَىٰ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ وَمَنْ جَاوَرَهُمْ مِنْ فُصَحَاءِ الْعَرَبِ، ثُمَّ أَبَاحَ لِلْعَرَبِ المخَاطَبِينَ بِهِ المُنزل عَلَيْهِم أَنْ يَقْرَءُوهُ بِلُغَاتِهِمْ الَّتِي جَرَتْ عَادَتُهُمْ بِاسْتِعْمَالِهَا، عَلَىٰ اخْتِلَافِهِمْ فِي الْأَلْفَاظِ وَالْإِعْرَابِ، وَلَمْ يَكلَّف بَعْضُهم الانتقالَ مِنْ لُغَةٍ إِلَىٰ أُخرىٰ، لمشقة ذلك عليهم، ولأن العربي إذا فارق لُغَتَه الَّتِي طُبِعَ عَلَيْهَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ الحَمِيّة مِنْ ذَلِكَ، فَتَأْخُذُه الْعِزَّةُ، فَجَعَلَهُمْ يَقْرَءُونَهُ عَلَىٰ

عَادَاتِهِمْ وَطِبَاعِهِمْ وَلُغَاتِهِمْ، مَنًّا مِنْهُ ﷻ ، لِئَلَّا يُكَلِّفَهُمْ مَا يشقُّ عَلَيْهِم، فَيَتَبَاعَدُوا عَنِ الإِذْعَانِ. وَكَانَ الْأَصْلُ عَلَىٰ مَا عَهِد رسول الله ﷺ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَالْإِعرابِ جميعًا مَعَ اتِّفَاقِ المعْنَىٰ. فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ أَلْفَاظٌ مُخَالِفَةٌ أَلْفَاظَ المصْحُفِ المجمعِ عَلَيْهِ كَـ«الصُّوفِ»، وَهُوَ ﴿الْعِهْنِ﴾. [القارعة :٥]، و«زَقْيَةً »وهي ﴿ صيْحَةً ﴾.[يس :٢٩]، و«حَطَطْنَا» وهي ﴿وَضَعْنَا﴾. [الانشراح: ٢]، و«حَطَب جَهَنَّمَ» وهي ﴿ حَصَبُ ﴾ . [الأنبياء: ٩٨] وَنَحو ذَلِكَ. فَقُبِضَ رَسُولُ الله ﷺ وَكُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مُتَمَسِّكٌ بِمَا أَجَازَهُ لَهُ ﷺ وَإِنْ كَانَ مُخَالِفًا لِقِرَاءَةِ صَاحِبِهِ فِي اللَّفْظِ. وَعَوَّلَ المهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَمَنْ تَبِعَهُم (أي فِي كِتَابَةِ المصْحَفِ فِي عَهْدِ أبي بَكْرٍ رضى الله عنه الَّذِي انْتُسِخَتْ منه المصاحفُ العثمانيةُ فِي عَهْدِ عُثْمَانَ) عَلَىٰ الْعُرْضَةِ الْأَخِيرَةِ الَّتِي عَرَضَهَا رَسُول الله ﷺ عَلَىٰ جِبْرِيلَ ﷺ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ. وَذَلِكَ أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً جَمِيعَ ما أُنزل عليه فيها، إِلَّا فِي السَّنَةِ الَّتِي قُبِضَ فِيهَا، فَإِنَّهُ عَرَضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ».

قال أبو شامة «قلت: وهـٰذا كلام مستقيم، وتتمته أن يقال: أباح الله تعالىٰ أن يُقْرَأَ علىٰ سبعة أحرف ما يحتمل ذلك من ألفاظ القرآن، وعلىٰ دونها ما يحتمل ذلك من جهة اختلاف اللغات وترادف الألفاظ توسيعًا علىٰ العباد. ولهـٰذا كان النبيُّ ﷺ يقول ـ لمّا أوحيَ إليه أن يقرأه علىٰ حرفين وثلاثة- «هَوِّنْ عَلَىٰ أُمَّتِي..» علىٰ ما سبق ذكره في أول الباب. فلما انتهىٰ إلىٰ سبعة وَقَفَ، وكأنه ﷺ علم أنه لا يَحْتَاج من ألفاظه لفظةٌ إلىٰ أكثر من ذلك غالبا والله أعلم»[١].

* * *

---

(١) المرشد الوجيز ٩٥-٩٦.

## ويُلْحَظ:

١- موافقة أبي شامة علىٰ هـٰذا الذي رواه عن (بعض الشيوخ) بدليل نقله، ووصفه بأنه «كلام مستقيم»، وتكملته.

٢- وأن خلاصة هٰذا المروي عن (بعض الشيوخ) هو تفسير الأحرف السبعة بالقراءة باللغات (أي اللهجات) مع ما في ذلك من إبدال كلماتٍ بكلمات قرآنية. كما هو واضح في كلمة (لغة) و(لغات) من ناحية، وفي استعمال كلمة (ألفاظ) مع كلمة اتفاق المعنىٰ والتمثيل بـ(زقية) و(صيحة) إلخ. من ناحية أخرىٰ.

٣- وأن أبا شامة صرح بتوضيح الرأي بأن رخصة السبعة الأحرف مقصود بها إباحة القراءة علىٰ سبعة ألفاظ وعلىٰ دونها مما يحتمل ذلك (من جهة اختلاف اللغات وترادف الألفاظ).

٤- يلحظ أخيراً ما تضمنه كلام (بعض الشيوخ) هٰذا ووافق عليه أبو شامة من انتهاء الرخصة أي نسخها بإجماع المهاجرين والأنصار في كتابتهم المصحف البكري علىٰ ما ثبت في العرضة الأخيرة. وعنه كتبت المصاحف العثمانية.

## النَّصُّ رَقم (جـ)

جذب الجانب التاريخي أبا شامة، فذكر ثماني سبعات لأهل العلم يشترك الجانب اللهجي، والمرادف في كثير منها[1]. وقد ختمها بسبعة لشيخه السخاوي قال (أبو شامة)

(١) ينظر المرشد الوجيز ص ١١٣ (سبعة ابن قتيبة)، ١١٥ (مكي)، ١١٦-١١٨ (الأهوازي) وقد ذكر سبعتين نسبت أولاهما إلىٰ أبي طاهر بن أبي هاشم، ونسبت الثانية إلىٰ أحمد بن واصل، ١١٨-١٢١ (الأذفوي)، ١٢١-١٢٣ (الباقلاني)، ١٢٣-١٢٥ (السخاوي). والمرادف في سبعة ابن قتيبة ص١١٤ (العهن/ الصوف- القارعة ٥)، وثانية سبعتي الأهوازي ص١١٧ (فاسعوا/ فامضوا- الجمعة ٩)، وسبعة

في آخرها: «وَلَيسَت كُلُّ الْوُجُوهِ فِيهَا مِنَ الْقِرَاءَاتِ الْمَشْهُورَةِ، بَلْ بَعْضُهَا مِنَ الْقِرَاءَاتِ الشَّاذَّةِ، إِلَّا أَنَّهَا مِنْ جُمْلَةِ اللُّغَاتِ وَالْأَلْفَاظِ المُرَادِفَةِ الَّتِي كَانَت القِرَاءَةُ قَدْ أُبِيحَتْ عَلَيهَا. وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ معنىٰ الحَدِيثِ أَنَّ كَلِمَاتِ الْقُرْآنِ أبيح أَنْ تُقْرَأَ كُلُّ كَلِمَةٍ مِنْهَا عَلَىٰ مَا يَحْتَمِلُهُ رسمُها مِنْ وَجْهَيْنِ وَثَلَاثَةٍ إِلَىٰ سَبْعَةٍ، تَوْسِعَةً عَلَىٰ النَّاسِ عَلَىٰ قَدْرِ مَا يخف عَلَىٰ أَلْسِنَتِهِمْ. وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ حَدِيثِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ لجبريل؈: «إِنِّي بُعِثْتُ إِلَىٰ أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ فِيهم الشَّيْخُ الْفَانِي وَالْعَجُوزُ الْكَبِيرَةُ وَالْغُلَامُ، فَقَالَ: مُرْهُمْ فَلْيَقْرَؤُوا الْقُرْآنَ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»(١).

قلت (أبو شامة): «فمعنىٰ الحديث أنهم رُخِّصَ لهم في إبدال ألفاظه بما يؤدي معناها، أو يقاربه من حرف واحد إلىٰ سبعة أحرف، ولم يُلْزَموا المحافظة علىٰ حرف واحد، لأنه نزل علىٰ أمة أمية لم يعتادوا الدرس والتكرار وحفظ الشيء علىٰ لفظه، مع كِبَر أسنانهم واشتغالهم بالجهاد والمعاش، فرُخِّصَ لهم في ذلك. ومنهم من نشأ علىٰ لغة يصعب عليه الانتقال عنها إلىٰ غيرها، فاختلفت القراءات بسبب ذلك كله. ودلَّنا ما ثبت في الحديث من تفسير ذلك بنحو: «هلم»، و«تعال»، علىٰ جواز إبداله باللفظ المرادف، ودلنا ما ثبت من جواز «غَفُورًا رَحِيمًا» موضع «عَزِيزًا حَكِيمًا» علىٰ الإبدال بما يدل علىٰ أصل المعنىٰ دون المحافظة علىٰ اللفظ، فإن جميع ذلك ثناء علىٰ الله سبحانه. هٰذا كله في ما يمكن القارئَ عادة التلفظُ به. وأما مالا يمكنه لأنه ليس من لغته فأمره ظاهر، ولا يخرج إن شاء الله شيء من القراءات عن هٰذا الأصل وهو إبدال اللفظ

---

الباقلاني ص١٢٣ (صيحة/ زقية- يس ٢٩)، وسبعة السخاوي ص١٢٤ (لنبوئنهم/ لنثوينهم- العنكبوت ٥٨).

(١) الترمذي ١١/ ٦٣، (محقق المرشد الوجيز) وتفسير الطبري (شاكر) ١/ ٣٥.

بمرادف له أو مقارب في أصل المعنىٰ. ثم لما رُسِمَت المصاحف هُجِرَ من تلك القراءات ما نَافَى المرسوم، وبقي ما يحتمله. ثم بعض ما يحتمله خط المصحف اشتهر وبعضُه شذت روايته. وهٰذا أولىٰ من حمل جميع الأحرف السبعة علىٰ اللغات، إذ قد اختلفت قراءة عمر ابن الخطاب وهشام بن حكيم { وكلاهما قرشي مكي، لغتهما واحدة»[1].

* * *

## فلنلحظ أن أبا شامة:

١- بيّن أن سبب إنزال القرآن علىٰ سبعة أحرف هو عَجْز العرب عن الحفظ اللفظي، لأنهم لم يتعودوه، ولظروف أكثرهم المانعة من الحفظ: كِبَر السن والاشتغال بالمعاش (لمن يخدم نفسه أو يخدم غيره كالغلام والجارية) أو الاشتغال بالجهاد. وبعض العجز عن الحفظ لاختلاف اللغة (اللهجة).

٢- بيّن أن صور التيسير بالأحرف السبعة هي: (أ) الترخيص للقارئ من ذهنه (أي الأميّ والذي يقرأ استظهارا) أن يقرأ بلفظ بديل بمعنىٰ اللفظ القرآني الذي غاب عنه أو بمقارب منه. (ب) الترخيص بذكر أي من أسماء الله الحسنىٰ في ختام الآيات دون أن يختم آية عذاب باسم رحمة أو آية رحمة باسم عقاب أو عذاب.

٣- استبعد تفسير الأحرف السبعة باللغات لأن لغة عمر وهشام ـ في حديث اختلافهما الشهير ـ واحدة.

٤- ذكر نسخ الرخصة المذكورة برسم المصاحف العثمانية يعني إجماع الصحابة علىٰ المصاحف العثمانية وهجر ما كان رخص لهم فيه.

---

(١) المرشد الوجيز ١٢٦ - ١٢٧.

٥- ذِكر هَجْر القراءات التى خالفت المرسوم.

٦- ذكر أن القراءات التى وافقت المرسوم اشتهر بعضها، وبعضها الآخر شذت روايته.

## النَّصُّ رَقم (د)

أ- بعد تضعيف أبي شامة حديث نزول الكتاب الأول من باب واحد علىٰ حرف واحد ونزول القرآن من سبعة أبواب علىٰ سبعة أحرف[١]. قال أبو شامة: «إذا ثبت هٰذا (يعني ضعف الحديث المذكور) فنعود إلىٰ تفسير الأحرف السبعة بأحد القولين: اللغات السبع مع اتحاد صورة الكتابة، والثاني الألفاظ المترادفة، والمتقاربة المعاني- كما سبق»[٢].

ب- وبعد ذِكْر أبي شامة تضعيف الأهوازي لتفسير الأحرف باللغات[٣]، واختيار الحافظ أبي العلاء لتفسيرها باللغات المتفرقة [٤]. وقول قوم إنها سبعة منها ستة كانت تقرأ بها الصحابة[٥]، وذكر السبعات المبتكرة لابن قتيبة وغيره[٦]: قال عن القراءات التي في بعض السبعات التي ذكرها: إن منها ما هو شاذ «إلا أنها من

(١) ينظر المرشد الوجيز ١٠٧-١٠٩.

(٢) السابق نفسه ١٠٩ وقيد اتحاد صورة الكتابة أمر جديد، وكأنه تأثر في هٰذا بكلام شيخه السخاوي (ينظر النوع الأول من سبعة السخاوي في المرشد الوجيز ١٢٣- ١٢٤).

(٣) المرشد ١٠٩.

(٤) المرشد ١٠٩.

(٥) المرشد ١١١- ١١٣.

(٦) نفسه ١١٣- ١٢٣.

جملة اللغات والألفاظ المرادفة التي كانت القراءة قد أبيحت عليها»[1]. وهذا يوافق ما ذكرناه فى رقم ٦ فى التعليق على النص رقم جـ.

## النَّصُّ رَقم (هـ)

أ- قال أبو شامة: «وقال الأعمش: سمعت أبا وائل يُحَدِّثُ عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت القَرَأَة فوجدتهم متقاربين. اقرءوا كما عُلِّمْتُم، وإياكم والتنطع والاختلاف، فإنما هو كقول أحدهم: هلم وتعالَ وأَقْبِلْ.

قال البيهقي: أما الأخبار التي وردت في إجازة قراءة «غفور رحيم» بدل «عليم حكيم» فلأن جميع ذلك مما نزل به الوحي، فإذا قرأ ذلك في غير موضعه، فكأنه قرأ آية من سورة وآية من سورة أخرىٰ، فلا يأثم بقراءتها كذلك ما لم يختم آية عذاب بآية رحمة، أو آية رحمة بآية عذاب».

ب- «قال أبو شامة: قلت: وكان هٰذا سائغا قبل جمع الصحابة المصحفَ تسهيلا علىٰ الأمة حِفْظَه، لأنه نزل علىٰ قوم لم يعتادوا الدرس والتكرار وحفظ الشيء بلفظه، بل هم قوم عرب فصحاء يعبرون عما يسمعون باللفظ الفصيح» (أي وإن لم يكن هو عينَ ما سمعوه).

ج- «ثم إن الصحابة } خافوا من كثرة الاختلاف، وأُلْهِمُوا، وفَهِمُوا أن تلك الرخصة قد اسْتُغْنِيَ عنها بكثرة الحَفَظَة للقرآن، و(كثرة) من نشأ علىٰ حفظه صغيراً، فحسموا مادة ذلك (الاختلاف) بنَسْخ القرآن (أي كتابته) علىٰ اللفظ المنزَل، غير اللفظ المرادف له، وصار الأصل ما استقرت عليه القراءة في السنة التي توفي فيها

---

(١) نفسه ١٢٦.

رسول الله ﷺ بعدما عارضه به جبريل عليه السلام في تلك السنة مرتين، ثم اجتمعت الصحابة علىٰ إثباته بين الدفتين، وبَقِيَ (أي في المصحف) من الأحرف السبعة التي كان أبيح قراءة القرآن عليها مالا يخالف المرسوم، وهو ما يتعلق بتلك الألفاظ من الحركات والسكنات والتشديد والتخفيف، وإبدال حرف بحرف يوافقه في الرسم ونحو ذلك. ومالا يحتمله المرسوم الواحد (أي مما ثبتت روايته) فُرِّقَ في المصاحف، فكُتِبَ بعضُها على رسم قراءة، وبعضُها علىٰ رسم قراءة أخرىٰ. وأمثلة ذلك كله معروفة عند العلماء بالقراءات. وصح عن زيد بن ثابت رضي الله عنه وعن غيره أنه قال: إن القراءة سنة. قال البيهقي: أراد أن اتّباع مَنْ قَبْلَنا في الحروف سنة متبعة، لا يجوز مخالفة المصحف الذي هو إمام، ولا مخالفة القراءات التي هي مشهورة، وإن كان غيرُ ذلك سائغاً في اللغة، أو أظهرَ منها. قال أبو بكر بن العربي (ت٥٤٣هـ): سَقَطَ جميعُ اللغات والقراءات إلا ما ثبت في المصحف بإجماع من الصحابة. وما أُذِنَ فيه قبل ذلك ارتفع وذهب. والله أعلم»[1].

## تعليق:

١- أما المرادف كمثل هَلُمّ وتعالَ فإن أمثلته «زَقْية» و«صيحة»، و«امضُوا» و«اسْعَوْا» . ونحوها. وليس بين كلٍّ من البدائل فرق ذو بال.

٢- وأما قراءة «غفورٌ رحيم» بدلاً من«عليم حكيم» مثلاً- فقد وجهه البَيْهَقِي وهو إمامٌ محدِّثٌ كبير (ت٤٥٨هـ) بأنه: (أ) "مما نَزَلَ به الوحيُ" أي هو ليس كلاما من عندك كما في رخصة المرادف، (ب) "كأنه قَرَأَ آية من سورةٍ وآيةً من

(١) المرشد الوجيز ٨٩- ٩٠.

سورةٍ أخرىٰ"، (جـ) "كل ذلك ثناءٌ على الله" ﷻ كما جاء في كلمة أبي شامة (في النص رقم ٣).

٣- في هذا النص: (أ) بيان الأحرف: (مثل: «هَلُمّ» و«تَعَالَ») و(خواتم الآيات). (ب) بيان سبب التيسير (الظروف العامة) و «مع أنهم لم يتعودوا الحفظ والتكرار»، (جـ) انتهاء الرخصة لزوال العذر: "فكتبوا المُصْحف علىٰ اللفظ المُنْزَل المكتوب فور نزوله بإملاء النبي ﷺ، فرجعوا إلىٰ ذلك بنَسْخ مصاحف من مصحف أبي بكر المنقول من العرائض التي كتبت بإملاء النبيﷺ، (د) الذي بَقِيَ من الأحرف هو ما لا يخالف المرسومَ مما أقره النبي ﷺ مثل «يَخْدَعُونَ» تقرأ بلا ألف وتقرأ «يُخَادِعُونَ» بألف بعد الخاء، «كُتُبه» تقرأ «كِتَابه» بألف بعد الكاف وتقرأ «كُتُبه» جمعًا- إذا ثبتت الرواية بذلك.

## النَّصُّ رَقم (و)

تعرض أبو شامة في فصلٍ لمسألةٍ عن المجموع في المصحف (الحالي) أهو جميع الأحرف السبعة التي أُبيحت القراءة عليها أمْ حَرف واحد منها، وموقف الطبري والباقلاني والشاطبي في ذلك الخلاف، ثم قال:

١- «والحق أن يُلَخَّصَ الأمرُ في ذلك فيقال: المجموعُ في المصحف هو المتفقُ على إنزاله المقطوعُ به، وهو ما كُتِبَ بأمر النبي ﷺ أو ثَبَتَ عنه أنه قرأ به أو أقرأ غيره به. وما اختلفت فيه المصاحف حَذْفاً وإثباتاً نحو﴿ مِنْ تَحْتِهَا ﴾. [التوبة: ١٠٠] (قرأ ابن كثير بوجود «من»، وكذلك هي في المصاحف المكية، وقرأ الباقون بحذف (من)، وكذلك هي في مصاحفهم)،﴿ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾. [الحديد: ٢٤] وهٰذه

هي قراءة أهل الكوفة والبصرة من القراء العشرة، وكذلك جاءت في مصاحفهم، وغابت كلمة (هو) من قراءة أهل المدينة والشام ومصاحفهم)، ﴿ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورىٰ: ٣٠] هكذا قراءة أهل العراق، وكذلك هي في مصاحفهم. وقرأ أهل المدينة والشام بلا فاء وكذلك هي في مصاحفهم) )[1]= فمحمول علىٰ أنه نَزَل بالأمرين، وأَمَرَ النبي ﷺ بكتابته على الصورتين لشخصين، أو في مجلسين، أو أَعْلَمَ به شخصا واحدا وأمره بإثباتهما.

٢- وأما ما لم يرسم فهو مما كان جُوِّزَ به القراءة، وأُذِنَ فيه، ولمّا أُنْزِل ما لم يكن بذلك اللفظ خُيِّرَ بين تلك الألفاظ توسعة علىٰ الناس وتسهيلا عليهم، فلما أفضىٰ ذلك إلىٰ ما نُقِل من الاختلاف والتكثير اختار الصحابة رضى الله عنهم الاقتصارَ علىٰ اللفظ المُنَزل المأذون في كتابته، وتُرِك الباقي للخوف من غائلته. فالمهجور هو ما لم يثبُتْ إنزاله، بل هو من الضرب المأذون فيه بحسَب ما خَفَّ وجرىٰ علىٰ ألسنتهم»[2].

## تعليق: ١

- الفقرة رقم (١) واضحة.

٢- الفقرة رقم (٢) توهم أن (ما أُنْزِل) وقع إنزاله بعد التجويز، في حين أن الدقيق أن (ما أُنْزِلَ) أُنْزِلَ أولاً، ثم جُوِّزَتْ قراءته كما تيسر «توسعة علىٰ الناس وتسهيلا عليهم. فلما أفضىٰ ذلك إلىٰ الاختلاف اختار الصحابة الاقتصارَ علىٰ اللفظ المنزل

---

(١) التوضيح الذي بين قوسين من عمل محقق المرشد الوجيز، وكذلك توضيح المراد في قوله تعالى «هو الغني» وقوله تعالىٰ«فبما كسبت أيديكم».

(٢) المرشد الوجيز ١٣٨ - ١٣٩.

المأذون في كتابته، وتُرِكَ الباقي للخوف من غائلته».

## الخلاصة:

خلاصة رأي أبي شامة هي أن الأحرف السبعة كان المراد بها:

أ- الترخيص بالقراءة باللغات (اللهجات) مع ما فيها من إبدال كلمات بالكلمات المنزلة إذا كان المعنىٰ متفقا. وقد ذُكِر هٰذا في النص الثاني (ب)، وهٰذا يشمل: القراءة باللهجات والقراءة بالمرادف. وقد أَغْفَلَ ذِكرَ اللغات في النص الثالث (جـ)، وذَكَرَ فيه الترخيصَ بالمرادف، وخَتْمَ الآيات بما يناسبها من أسماء الله الحسنىٰ. وفي النص الرابع (د) ذكر اللغات والألفاظ المرادفة. وفي الخامس (هـ) ذكر المرادف وختم الآيات بما يناسبها.

ب- فالمحقَّق إن أبا شامة كان يرى أن المراد بالأحرف السبعة هو إجازة القراءة بالمرادف، وإجازةُ ختم الآيات بما يناسب معناها من أسماء الله الحسنىٰ من حيث العذاب أو الرحمة، وإجازةُ أداء القارئ بلهجته. وأن كل ذلك كان رخصة مؤقتة انتهت بكتابة المصاحف العثمانية نقلاً عن عَيْنِ ما كُتِبَ بين يدي الرسولﷺ، وبإملائه ﷺ.

كما أنه لمّا كان يرىٰ أنه كانت هناك إجازةٌ أن يقرأ القارئ بلهجته، فإنه- اتساقا مع رأيه في الأمرين السابقين، لابُدَّ أنّ ما يخالف الرسم الكريم من اللهجات أصبح أيضا منسوخا بالمصاحف العثمانية . أما الهيآت اللهجية التي لا تخالف الرسم فقد استمرّ منها ما دخل ضمن روايات السبعة والثلاثة المكمّلِين للعشرة . وتوقفت القراءة والأخذ بما خرج عن ذلك .

# ولتكملة المعالجة

**ينظر الفصل المعقود لكلمة (لغة)، وكلمة (حـرف)، و الملحـق الخـاص (بمكـان لقاء جبريل بالنبي ﷺ لتبليغ حديث الأحـرف السـبعة). والفصـل الثالـث مـن الباب الثالث (من المعالجة التحليلية) عن تدوين القرآن الكريم خطيًّا فور نزوله .**

❋❋❋

# المعالجة الثالثة

## مُعالجة بالمأثور

## «لحديث نزول القرآن علىٰ سبعة أحرف»

## حديث الأحرف السبعة: مُعالجة بالمأثور

### أولا: أحاديث شريفة:

١ـ (أ) في جامع الترمذي: عن أُبي بن كعب قال: لَقِيَ رسول الله ﷺ جبريلَ، فقال: «يا جبريلُ: إني بُعِثت إلى أمة أميين منهم العجوز، والشيخ الكبير، والغلام، والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط». قال: يا محمد. إن القرآن أُنْزِلَ علىٰ سبعة أحرف». قال الترمذي هٰذا حديث حسن صحيح[1].

(ب) ورواية الطبري :«منهم الغلام، والخادم، والشيخ العاسي، والعجوز. فقال جبريل فليقرءوا القرآن علىٰ سبعة أحرف»[2].

(جـ) وفي رواية أبي عبيد بسنده إلىٰ حذيفة عن النبي ﷺ قال: لقيتُ جبريل عليه

---

(١) الجامع الكبير للإمام الترمذي. تح د. بشار معروف ٥/ ٦٠ برقم ٢٩٤٤ .

(٢) تفسير الطبري (شاكر) ١/ ٣٥ برقم ٢٩، وهي في المرشد الوجيز ٨٣ .

السلام عند أحجار المِرَاء فقلت يا جبريل : إني أُرسلت إلى أمة أُمِّية: الرجل، والمرأة، والغلام، والجارية، والشيخ الفاني الذي لم يقرأ كتاباً قط. فقال: إن القرآن أُنزل علىٰ سبعة أحرف»[1].

*****

٢ـ (أ) وفي صحيح مسلم عن ابن أبي ليلىٰ عن أُبيَ بن كعب أن النبي ﷺ كان عند أَضاة بني غِفَار، فأتاه جبريل، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتُك القرآن علىٰ حرف .

فقال: أسأل الله معافاتَه ومغفرته، وإن أمتي لا تُطيق ذلك. ثم أتاه الثانية فقال: إن الله تعالىٰ يأمرك أن تقرأ أمتُك القرآن على حرفين. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الثالثة فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتُك القرآن علىٰ ثلاثة أحرف. فقال:«أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تُطيق ذلك. ثم جاءه الرابعةَ فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن علىٰ سبعة أحرف. فأَيّما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا»[2].

(ب) في الصحيحين عن ابن شهاب قال: حدثني عبيد الله بن عبد الله (بن عتبة بن مسعود الهذلي) أن عبد الله بن عباس رضي الله عنه حدثه أن رسول الله ﷺ قال: «أقرأني جبريل عليه السلام علىٰ حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتىٰ انتهىٰ إلىٰ سبعة أحرف»[3].

---

(١) ينظر فضائل القرآن لأبي عبيد تح . وهبىٰ سليمان ص٢٠٢.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي حققه ش خليل مأمون شيحا مج .٥- ٦ ص٣٤٤ برقم ١٩٠٣. وهو في سنن النسائي (بشرح السيوطي وحاشية السندي) تح. عبد الفتاح أبو غدة/ ١-٢ جـ٢ ص١٥٢-١٥٣ برقم ٩٣٩.

(٣) الجامع الصحيح للبخاري بعناية محمد زهير بن ناصر ٦/ ١٨٤ برقم ٤٩٩١، وصحيح مسلم بشرح النووي تح . ش خليل مأمون شيحا مج . ٥-٦ ص٣٤٢ برقم ١٨٩٩.

(جـ) وفيهما عن ابن شهاب قال: «أخبرني عروة بن الزبير أن المسور ابن مَخْرَمة، وعبد الرحمن بن عبدالقاريّ حدثاه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول: «سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ علىٰ حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ، فكدت أُساوِرُه في الصلاة، فتصبرّت حتىٰ سلّم، فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورةَ التي سمعتُك تقرأ؟ قال: أقرأَنيها رسول الله ﷺ فقلت: كَذَبْتَ، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها علىٰ غير ما قرأت، فانطلَقْتُ به أقوده إلىٰ رسول الله ﷺ. فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان علىٰ حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله ﷺ لعمر: أرسِلْه. فأَرْسَلَه. فقال لهشام: اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعتُه يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: كذلك أُنزِلت. ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأتُ القراءةَ التي اقرأَني، فقال رسول الله ﷺ: كذلك أُنزلت. إن هٰذا القرآن أُنزِْل علىٰ سبعة أحرف. فاقرءوا ما تيسر منه». واللفظ للبخاري[1]... وأخرجه النسائي في سننه الكبرىٰ وقال: فقرأ فيها حروفا لم يكن نبي الله أقرأنيها[2].

## تَوَاتُرُ هَـٰذَا الحَدِيثِ:

قال الإمام السيوطي: «ورد حديث نزول القرآن علىٰ سبعة أحرف من رواية جمع من الصحابة: وذكر أسماء واحد وعشرين صحابيًّا[3].

---

(١) الجامع الصحيح للبخاري بعناية محمد زهير ٦/ ١٨٥ برقم ٤٩٩٢، وصحيح مسلم بشرح النووي تح .ش خليل شيحا مجـ٥- ٦ ص ٣٤٠ برقم ١٨٩٦، ١٨٩٧.

(٢) والحديث في سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي مجـ ١، ٢-٢/ ١٥٠، وفي (سنن أبي داود) حققه ورقمه ش خليل شيحا جـ١ ص١٠٣ برقم ١٤٧٥.

(٣) الإتقان النوع ١٦ ( عالم الكتب) ١/ ٤٥ ـ وقد ذكرنا أسماء هؤلاء الصحابة في أول الفصل الثاني من الباب الأول من كتابنا هـٰذا .

وقد أورد أبو شامة روايات بعض هؤلاء، وأحال علىٰ أخر[1]، ثم قال: قد تواترت هٰذه الأحاديث كلها على الأحرف السبعة، إلا حديثاً واحداً يُرْوَىٰ عن سَمُرةَ بنِ جُنْدُب عن النبي ﷺ أنه قال :«أُنزِلَ القرآن علىٰ ثلاثة أحرف» قال أبو عبيد: «ولا أرىٰ المحفوظ إلا السبعة، لأنها المشهورة»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبيﷺ :«نزل القرآن علىٰ سبعة أحرف: عليمًا حكيمًا/ غفورًا رحيمًا[3]. وفي رواية: عليمٌ حكيم. غفورٌ رحيم»[4].

وفي السنن الكبير عن سليمانَ بنِ صُرَد عن أبي بن كعب قال: «قرأت آية، وقرأ ابن مسعود خلافها. فأتينا النبي ﷺ فقلت: ألم تُقْرئني آية كذا وكذا؟ قال بلى. قال ابن مسعود ألم تقرئنيها كذا وكذا ؟ قال: بلىٰ. قال: كلاكما محسن» . قلت: ما كلانا أحسن ولا أجمل. قال: فضرب صدري وقال: يا أبي: إني أُقْرِئْتُ القرآن فقيل لي: أعلىٰ حرف أم على حرفين؟ فقال المَلَكُ الذي معي: علىٰ حرفين. فقلت: علىٰ حرفين. فقيل لي: أعلىٰ حرفين أم ثلاثة؟ فقال المَلَكُ الذي معي: علىٰ ثلاثة. فقلت: ثلاثة. حتىٰ بلغ سبعة أحرف. قال ليس فيها إلا شافٍ كافٍ. قلت غفور رحيم. عليم حكيم. سميع عليم. عزيز حكيم. نحو هذا. ما لم تختم آية عذاب برحمة، أو رحمة بعذاب».

---

(١) ينظر المرشد الوجيز ٧٧- ٨٧.

(٢) نفسه ٨٧- ٨٨.

(٣) المصنف لابن أبي شيبة ( تح . محمد عبد السلام شاهين) ٦/ ١٣٨ برقم (٣٠١١٠) وهو في المرشد الوجيز ٨٥ .

(٤) في تفسير الطبري (شاكر) ١/ ٢٢ برقم ٨ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «أنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف عليم حكيم. غفور رحيم» قال الشيخ شاكر: رواه أحمد بإسنادين . رجال أحدهما رجال الصحيح. وهـٰذه الرواية في المرشد الوجيز ص٨٥.

(أقول أنا محمد حسن حسن جبل: الحديثان السابقان يتناولان خواتيم الآيات).

ـ عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه أن جبريل قال لرسول الله ﷺ : اقْرَأْ القرآن علىٰ حرف. فقال له ميكائيل: استزده. فقال علىٰ حرفين. ثم قال: «استزده حتىٰ بلغ سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ. كقولك: «هلم» و«تعال». ما لم تختم آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة»[1]. وفي المسند ٥/ ٥١ بلفظ «نحو قولك تعال وأقبل وهلُمّ، واذْهَبْ وأَسْرِع واعْجَل».

ـ قال عبد الله بن مسعود: إني قد سمعت إلىٰ القَرَأَة فوجدتهم متقاربين، فاقرءوا كما عُلِّمْتُم: وإياكم والتنطع. فإنما، هو كقول :«أَحدكم هلم وتعال».

(أقول أنا محمد حسن حسن جبل) : «هذان حديثُ أبي بكرة ومرسلُ ابن مسعود يتناولان أوائل الآيات وأواسطها وحديث أبي بكرة يتناول خواتيم الآيات أيضا».

## ثَانِيًا : عِبَارَاتٌ حَدِيثِيَّةٌ تَحُضُّ عَلَىٰ التَّسَامُحِ إِزَاءَ الاخْتِلَافَاتِ الْقِرَائِيَّةِ فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ:

١ـ قال رسول الله ﷺ: «إن هٰذا القرآن أُنزِلَ علىٰ سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه» رواه البخاري في ختام حديث عمر مع هشام بن حكيم رضى الله عنه، ورواه غيره أيضًا[2].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة وسبق تخريجه في أول هـٰذا الكتاب ، ورواه أحمد في مسنده ٥/ ٤١ أيضًا ـ وهو في المرشد الوجيز ص٨٤ .

(٢) ينظر الجامع الصحيح للإمام البخاري بعناية محمد زهير بن ناصر الناصر مج.٣ جـ٦ ص١٨٤- ١٨٥ برقم ٤٩٩٢، وهو في صحيح مسلم بشرح النووي تح . ش خليل مأمون شيحا مج٥- ٦ ص٣٤٠ برقم ١٨٩٦، والجامع الكبير للترمذي تح د. بشار معروف مجـ ٥/ ٥٨- ٥٩، سنن النسائي (تح . عبد الفتاح أبو

- «إن الله يأمرك أن تقرأ أمتُك القرآن علىٰ سبعة أحرف فأيّما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا»[1].

- «أُنْزِل القرآن علىٰ سبعة أحرف كلهن شافٍ كافٍ»[2].

«... حتىٰ بلغ سبعة أحرف، فكل حرف شاف كاف»[3].

- إن الله تبارك وتعالىٰ يأمرك أن تُقْرِئ أمتك القرآن على سبعة أحرف. فمن قرأ منها حرفاً فهو كما قرأ»[4].

«إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ولا حرج»[5].

## ثَالِثًا : الصَّحَابَةُ :

لا شكَّ أن أحقَّ ما يكونُ به توثيقُ الرأي في المراد بحديث نبوي شريف هو ما فَهِمه أصحابُ رسول الله ﷺ منه. لكن العجيب أن فهم الصحابة لحديث الأحرف السبعة كان متاحًا بشكل صريح أو كالصريح في عدة روايات، ومع ذلك اختلفت

غدة) جـ١- ٢-٢/ ١٥٢، وسنن أبي داود (تح . ش خليل مأمون شيحا) جـ١/ ١٠٣- ١٠٤، وتفسير الطبري(شاكر) رقم ١٥، ٣٥، ٣٦، ٣٧.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (تح .ش خليل مأمون شيحا) جـ٥- ٦ ص٣٤٤ برقم ١٩٠٣، وسنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي (تح. عبد الفتاح أبو غدة) جـ١-٢-٢/ ١٥٢- ١٥٣)، سنن أبي داود (تح .ش خليل مأمون شيحا) مج ١ جـ٢/ ١٠٥ برقم ١٤٧٨، والطبري في تفسيره (شاكر) رقم ٢٠، ٢٣، ٢٤، ٤٠، ٤٧، وفضائل القرآن لأبي عبيد ص-٢٠٢.

(٢)سنن النسائي (تح . عبد الفتاح أبو غدة) جـ٢/ ١٥٣- ١٥٤، تفسير الطبري (شاكر) برقم ١٧، ٢٦، ٢٧، ٣١، ٤٢، ٤٣، ٤٧.

(٤) انظر السابق.

(٤) تفسير الطبري (شاكر) برقم ٣٤، ٤٦.

(٥) تفسير الطبري (شاكر) برقم ٤٥ .

الطبقات التالية للصحابة والتابعين في المراد بالحديث اختلافًا يَقِلُّ نظيره اتساعًا في التراث الإسلامي.

والذي نعنيه بكون فهم المراد بالأحرف السبعة في الحديث كان مُتاحًا هو روايات حديث الأحرف السبعة التي تضمنت تمثيلا لهـٰذه الأحرف. وهو تمثيل يحصر دائرة الأحرف، بل يكاد يُعيّنها بحيث لا يدع سبيلا لتلك الآراء الغريبة التي ظهرت بعد .

والروايات التي تضمنت تمثيلا للمراد بالأحرف السبعة نوعان:

**النَّوْعُ الْأَوَّلُ:** يمثل للأحرف السبعة بكلمات مختلفة الألفاظ لكنها متفقة المعاني أومتقاربتها بحيث تُعَدّ كالمتفقة، ويتأتىٰ أن تَحُلّ إحداها مَحَل الأخرىٰ في الاستعمال. ومن ذلك:

أ ـ حديث الصحابي أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال. قال جبريل: اقرأ القرآن علىٰ حرف «قال ميكائيل عليه السلام: استزده. فقال: علىٰ حرفين. حتىٰ بلغ ستةَ أو سبعةَ أحرف فقال: كلها شافٍ كافٍ. ما لم يختم آية عذاب بآية رحمة، أو آية رحمة بآية عذاب. كقولك هلم وتعال» وفي رواية :«نحو قولك: تعالَ وأقبِلْ وهَلُمّ، واذْهَبْ وأَسْرِع واعْجَلْ». وقد ذكر الشيخ شاكر ما يعنى أن الحديث صحيح[1]. وقال الطبري بعده «فقد أوضح نصُّ هٰذا الخبر أن اختلاف الأحرف السبعة إنما هو اختلاف ألفاظ كقولك «هلم» و«تعال» باتفاق المعاني ـ لا باختلاف معانٍ موجبة لاختلاف أحكام» اهـ. وواضح تمامًا أن هذا التمثيل يصدق أكثر ما يصدق على نحو ما رُوِىَ من قراءة بعض الصحابة ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ﴾ «كُلَّمَا أَضَاءَ لهم مَرُّوا فِيهِ» ونحو

---

(١) الحديث في جامع الطبري (تح . الشيخين أحمد ومحمود شاكر) ١/ ٤٣، ٥٠ برقم ٤٠، ٤٧. وقد مر تخريجه موسعا في صدر هـٰذا الكتاب .

ذلك .لكنه يتسع من باب أولىٰ لما يَنْصَبُّ الاختلاف فيه علىٰ بنية الكلمة نفسها « يَخْدَعُونَ» و «يخادعون» « يَكْذِبُونَ »، «يُكَذِّبُون»

ثم إن هٰذا الحديث نفسه ذكر ضابطاً لاختلافٍ آخر داخل في رخصة الأحرف السبعة هو النوع الثاني الآتي، وهذا الضابط هو «ما لم تختم آية عذاب بآية رحمة، أو آية رحمة بآية عذاب».فهٰذا ضابط يتعلق بخواتم الآي كما هو واضح.

ب ـ وحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إني قد سمعت إلىٰ القَرَأَة فوجدتهم متقاربين. فاقرءوا كما عُلِّمْتُم وإياكم والتَنَطُّعَ، فإنما هو كقول أحدكم «هلم» و«تعال»[1].وقد أتبع أبو عبيد هٰذا الحديث بقوله وكذلك قال ابن سيرين (ت ١١٠هـ) (وهو من كبار التابعين):« إنما هو كقولك هلم وتعال وأَقْبِل». ثم فسره ابن سيرين فقال في قراءة ابن مسعود : «إِنْ كَانَتْ إِلَّا زَقْيَةً وَاحِدَةً». وفي قراءتنا: ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ فالمعنىٰ فيهما واحد. وعلىٰ هٰذا سائر اللغات» اهـ

ونحن نحتج بتفسير ابن سيرين هذا للرأي حسب ما أسلفناه من قراءة «مَرُّوا» بدلاً من «مَشَوْا» في نفس الآية، علما بأن أبا عبيد لم يُحْكِم رأيه هنا، لأن رأيه أن معنىٰ الحديث أن القرآن يستعمل لفظا من لهجة ما في آية ما، ثم يستعمل لفظا آخر من لهجة أخرىٰ بمعناه أو بغير معناه فى آية أخرىٰ مثل «فَانْبَجَسَتْ» في آية، و«فانْفَجَرَتْ» في

(١) الحديث في جامع البيان للطبري ١/ ٥٠ برقم ٤٨ وقد صححه الشيخ شاكر. وهو في «المرشد الوجيز»لأبي شامة ٩١ عن أبي عبيد. وقد أعقبه أبو عبيد بحديث ابن سيرين محتجًا به في غير موضعه. وحديث ابن سيرين هـٰذا في الطبري برقم ٥٥ (١/ ٥٣ ـ ٥٤). وقد لحظ الطبري هٰذا الذي سميناه « في غير موضعه». فانظر الطبري ١/ ٥٧.

آية أخرىٰ[1] فاحتجاجه بتمثيل ابن سيرين هنا سهو منه[2].

* * *

**النَّوْعُ الثَّانِي** : يمثل للأحرف السبعة بختم الآية القرآنية باسم أو أكثر من أسماء الله ﷻ بدلا من اسم أو أسماء أخرىٰ. وأحاديث هـٰذا النوع قسمان: قسم يذكر الضابط الذي ذكرناه في (أ) من النوع الأول أي دون ذكر أمثلة للأسماء الحسنىٰ، وقسم يذكر أمثلة للأسماء الحسنىٰ التي يمكن أن يقع تبادل بينها.

فمن القسم الأول الأحاديث التي أوردها الطبري بأرقام ١٦ عن عمر قوله ﷺ : « يا عمر إن هـٰذا القرآن كله صواب ما لم تجعل آية رحمة عذابا ، أو عذابا رحمة » صححه شاكر ، و ٤٠ و ٤٧ عن أبي بكرة (وقد ذكرناه أكثر من مرة )، و ٤٥ عن أبي هريرة. ومن القسم الثاني حديث (رقم ٨ في الطبري) عن أبي هريرة قال أنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف: «عليم حكيم» «غفور رحيم»، وحديث رواه أبو داود عن أُبي جاء في آخره «ليس منها إلا شافٍ كافٍ. إن قلت :سميعا عليما، عزيزًا حكيمًا ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب»[3]. ولعله الذي أخرجه في السنن الكبير عن أُبي أيضًا وجاء في آخره «ليس فيها إلا شافٍ كافٍ». قلت «غفور رحيم» «عليم حكيم»

---

(١) ﴿فَانۢبَجَسَتْ﴾ [الأعراف :١٦٠]، ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ [البقرة: ٦٠]. وهٰذا التمثيل من عندنا لتوضيح احتمال أن يكون أبو عبيد أراد قيد الترادف. أما الاحتمال الآخر وهو عدم اشتراط هـٰذا القيد فأمثلته كل ما جاء فى النوع ٣٧ من (الإتقان) للسيوطي مثل ﴿سَامِدُونَ﴾ [النجم] أي تغنون بلغة أهل اليمن ﴿أَعۡصِرُ خَمۡرٗا﴾ [يوسف :٣٦] أي عنبا بلغة أهل عمان.

(٢) لأن شرح رأيه لم يرد فيه قيد المترادف مطلقًا. وانظر الفصل الرابع من الباب الأول هنا (المجموعة الرابعة).

(٣) ينظر سنن أبي داود (حقق له وخرج أحاديثه الشيخ خليل مأمون شيحا) ٢/ ١٠٤ برقم ١٤٧٧/ ٣.

«سميع عليم»، «عزيز حكيم»، نحو هٰذا ما لم تختم آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب"[1].

* * *

وبعد، فإن هـٰذه الأحاديث التي تضمنت تمثيلا للأحرف السبعة ينحصر في إجازة إحلال كلمة بدلا من أخرىٰ، وإحلالِ ختام آية بأسماء الله ﷻ بدلا من أسماء أخرىٰ= هٰذه الأحاديث تعني أن هٰذا هو الذي كان معروفًا من معنىٰ الأحرف السبعة عند الصحابة والتابعين. وأن تلك التنويعات التي تكلفها ابن قتيبة، والسبعات التي حيكت علىٰ منواله، وسبعات المصطلحات التخصصية وما إليها من سبعات هزلية.. كل ذلك لم يخطر علىٰ بال أي من الصحابة، وهم أجدر الخلق بفهم ما جاء عن رسول الله ﷺ، وبخاصة هـٰذا الأمر الذي عايشوه.

## رَابِعًا: التَّابِعِيُّونَ :

### أ- ابْنُ أَبِي بَكْرَةَ:

(هو أبو بحر عبد الرحمن بن أبى بكرة نُفَيْع بن الحارث الثقفي أولُ مولود وُلد في الإسلام في البصرة. تابعي ثقة روىٰ عن عدد من الصحابة وروىٰ عنه كثيرون (ت ٩٦هـ).( تهذيب التهذيب :٦/ ١٤٨ ) .

مر آنفًا حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة الثقفي عن أبيه وفيه: «كقولك هلم وتعال ما لم تختم آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة» .

(١) ينظر: «المرشد الوجيز» ص٨٧.

## ب- ابْنُ سِيرِينَ:

(هو محمد بن سيرين الأنصاري مولاهم/ تابعي، بصري (ت ١٣هـ) «أجمع أهل العلم أن ابن سيرين أَصَحُّ التابعين مَرَاسل، كان لا يَرْوِي ولا يأخُذُ إلا عن ثقة، وأن مَرَاسِلَه صِحاحٌ كلها»[١].

«قال ابن مسعود «اقرءوا» كما علمتم إنما هو كقول أحدكم هلم وتعال»، وكذلك قال ابن سيرين: إنما هو كقولك هلم وتعال وأَقْبِل" ثم فسره ابن سيرين فقال: في قراءة ابن مسعود : «إِنْ كَانَتْ إِلَّا زَقْيَةً وَاحِدَةً» وفي قراءتنا: ﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [يس: ٢٩] فالمعنىٰ فيهما واحد...»[٢].

روىٰ الطبري بسندٍ عن محمد بن سيرين (ت ١١٠هـ) قال: نُبِّئْتُ أن جبريل وميكائيل أتيا النبي ﷺ فقال له جبرائيل: اقرأ القرآن علىٰ حرفين، فقال له ميكائيل: استزده. فقال: اقرأ القرآن علىٰ ثلاثة أحرف. فقال له ميكائيل: استزده: قال.. حتىٰ بلغ سبعة أحرف. قال محمد بن سيرين: لا تختلف فى حلال ولا حرام، ولا أمر ولا نهي. هو كقولك تعال وهلم وأقبل. قال: وفي قراءتنا ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّاصَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ . وفي قراءة ابن مسعود «إِنْ كَانَتْ إِلَّا زَقْيَةً وَاحِدَةً»[٣].

## جـ- أَبُو وَائِلٍ الْكُوفِيُّ:

(هو أبو وائل شقيقُ بنُ سلمة الكوفي تابعي كبير ثقة لا يُسأل عن مثله (ت .بعد

---

(١) التمهيد لابن عبد البر (تح . محمد عبد القادر عطا) ٣/ ٦٤٤ .

(٢)المرشد الوجيز ٩١ (ووثقه محقق المرشد الوجيز من غريب الحديث لأبي عبيد ٣/ ١٥٩- ١٦٠).

(٣) تفسير الطبري (شاكر) ١/ ٥٣- ٥٤ برقم ٥٥. وقال الشيخ شاكر في تعليقه علىٰ الحديث إن ابن سيرين لم يدرك ابن مسعود فحكايته عنه قراءته منقطعة. اهـ. لكن قراءة ابن مسعود ثابتة عن غير ابن سيرين تماما .

٨٢هـ أو في خلافة عمر بن عبد العزيز) «قال الأعمش (=سليمان بن مهران مختلف في روايته عن الصحابة ثقة ثبت ت ١٤٨هـ) سمعت أبا وائل يحدث عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت القَرَأَة فوجدتُهم متقاربين. اقرءوا كما عُلِّمْتُمْ، وإياكم والتنطعَ والاختلاف. إنما هو كقول أحدهم هلم وتعال وأقبل»[1].

## د ـ سَعِيدُ بْنُ المسَيّبِ :

(أبو محمد: سعيد بن المسيب بن حَزْن بن أبي وهب بن مخزوم القرشي المخزومي ت ٩٣/ ١٠٠هـ).

(سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة. جمع بين الحديث والفقه، والزهد والورع).

عن ابن شهاب (الزهرى) قال: أخبرني سعيد بن المسيب أن الذي ذكر الله تعالى ذكره(أنه قال):﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣] إنما افتتن أنه كان يكتب الوحي، فكان يملي عليه رسول الله ﷺ سميع عليم، أو عزيز حكيم، أو غير ذلك من خواتم الآي. ثم يشتغل عنه رسول الله ﷺ وهو علىٰ الوَحْي، فيستفهم رسول الله ﷺ فيقول: «عزيز حكيم»، أو «سميع عليم» أو «عزيز حكيم»؟ فيقول له رسول الله ﷺ: أيَّ ذلك كتبت فهو كذلك. ففتنه ذلك، فقال: إن محمدا وَكَل ذلك إِلَيّ، فأكتب ما شئت. وهو الذي ذكر لي سعيد بن المسيب من الحروف السبعة»[2].

---

(١) المرشد الوجيز ٨٩ (وقال محققه عن حديث أبي وائل هٰذا: رواه البيهقي في شعب الإيمان ١/ ٣٧٣ و).

(٢) تفسير الطبري (شاكر) ١/ ٥٤. وفى تعليقه تصحيح خلاصته. أن كاتب الوحي المعنىٰ هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وأن الآية التي نزلت فيه هي التي فيها ﴿.. وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّـهُ﴾. [الأنعام: ٩٣]. ثم إن ابن أبي السرح هـٰذا تاب وحسن إسلامه ، وهو الذي فتح إفريقية . وأما (البشر) الذي

والشاهد هنا هو هذه العبارة التي ختم بها ابن شهاب الزهري الرواية عن سعيد ابن المسيب. والعبارة تعني أن ما وصل إلىٰ علم سعيد ابن المسيب عن الأحرف السبعة كان هو ما يتعلق بخواتم الآيات فحسب. وعليه يمكن أن ننسب إلى سعيد بن المسيب من تفسير الأحرف السبعة ما يتعلق بخواتم الآيات. (فحسب).

## هـ- ابْنُ شِهَابٍ الزهريُّ (ت ١٢٤هـ):

أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله (ابن شهاب الزهري) من بني زهرة بن كلاب من قريش، أول من دون الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء. تابعي من أهل المدينة[1].

١- (الحديث السابق عن سعيد بن المسيب يقول الزهري في آخره «وهو الذي ذكر لي سعيد بن المسيب من الحروف السبعة».

٢- وفي حديث اختلاف عمر وهشام رضي الله عنهما الذي رواه الزهري فإذا هو يقرؤها (أي سورة الفرقان) على حروف لم يُقْرِئْنِيها رسول الله ﷺ وفي آخره إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منها[2].

٣- وروى الزهري أيضًا حديث الاستزادة المجمل هذا وفي آخره قال ابن شهاب: بلغني أن تلك الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحدًا لا يختلف في حلال ولا حرام[3].

---

كان الكفار يعنونه بقولهم: «إنما يعلمه بشر» فهو قين بمكة يقال له بلعام إلخ. وقد خذل الله بهتانهم وأعز دينه ﴿ وَيَأْبَىٰ اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢] ﴿هُوَالَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف: ٩].

(١) الأعلام للزركلي ٧/ ٩٧

(٢) حديث اختلاف عمر وهشام بن حكيم في الطبري برقم ١٥ وهو هنا في ص٩ هذا الكتاب.

(٣) وحديث الاستزادة المجمل هذا في الطبري برقم ١٩، وهو في الطبري أيضا برقم ٢٢ بدون كلمة الزهري.

٤ - وروى الزهري أيضًا قصة الكاتب الذي ارتد وفيها أن ذلك الكاتب كان يسأل رسول الله ﷺ - والرسول على الوحْي فيقول أعزيز حكيم، أو سميع عليم، أو عزيز عليم؟ فيقول له رسول الله ﷺ: أي ذلك كتبت فهو كذلك[1].

فإذا حُقَّ لنا أن نستخلص من مرويات الزهري في هذا الحديث قولا ينسب إليه من حيث إن راوي أي حديث هو مؤمن به ضرورة، لأنا لا نتصور أنهم كانوا يروون الحديث - على سبيل الوظيفة لا الرسالة - كما يفعل كثير من الموظفين في زمننا.

فإنه يتأتى أن ننسب إلى الزهري أن قوله في معنى حديث الأحرف السبعة هو:

أ- إباحة القراءة بكلمات مخالفة لما يقرأ به الآخرون متلقاة أو مُجازة من النبي ﷺ وذلك أخذا من حديث احتلاف عمرو هشام، فإن اختلافهما كان في قراءة كل منهما بحروف لم يقرأها الآخر، وأن النبي ﷺ قال عن قراءة كل منهما (هكذا أنزلت). فالحديث فيه هذا، وفيه فاقرءوا ما تيسر منها. فالحديث فيه اختلاف الكلمات، وفيه الحض على التيسير.

ب- إباحة ختم الآية بما يناسب محتواها من أسماء الله الحسنى. وذلك أخذا مما رواه الزهري عن سعيد بن المسيب.

ج- وقول الزهري في ختام حديث الاستزادة: بلغني أن تلك الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحدا لا يختلف في حلال ولا حرام يؤكد استبعاده أن تكون الأبواب (حرام وحلال) أو المعاني (أمر ونهي) هي المرادة بحديث الأحرف السبعة.

---

(١) وحديث الكاتب الذي ارتد في الطبري برقم ٥٧ وينظر التعليق عليه في الهامش (تح شاكر).

## خَامِسًا: أَئِمَّةُ الْعُلَمَاءِ:

### أ ـ الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ إِمَامُ المذْهَبِ الْـمَالِكِيِّ (ت ١٧٩ هـ):

ذكر ابن وهب (صاحب الإمام مالك) في كتاب الترغيب من جامعه قال: قيل لمالك: أَتَرىٰ أن يُقْرَأَ بمثل ما قرأ به عمر بن الخطاب «فَامْضُوا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّـهِ» [الجمعة:٩]؟ قال: ذلك جائز. قال رسول الله ﷺ: أُنْزِلَ القرآنُ علىٰ سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه، مثل :«تَعْلَمُونَ»، «يَعْمَلُونَ» وقال مالك: لا أرىٰ باختلافهم في مثل هـٰذا باسًا»[1].

### ب ـ الْإِمَامُ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ. (إِمَامٌ مُحَدِّثٌ مُجْمَعٌ عَلَىٰ صِحَّةِ حَدِيثِهِ وَرِوَايَتِهِ ت ١٩٨ هـ):

حدثنا أبو طاهر[2] قال:«سألت سفيان بن عيينة عن اختلاف قراءة المَدنيين والعراقيين هل يدخل فى السبعة أحرف؟ قال :لا. وإنما السبعة أحرف كقولهم «هَلُمَّ»، «أَقْبِلْ»، «تَعَالَ». أَيَّ ذلك قُلْتَ أجزأك»[3].

### جـ ـ الْإِمَامُ عَبْدُ اللَّـهِ بْنُ وَهْبِ بْنِ مُسْلِمٍ الْقُرَشِيُّ الحَافِظُ الْفَقِيهُ صَاحِبُ الْإِمَامِ مَالِكٍ ت ١٩٧ هـ):

«قال أبو الطاهر: سألت سفيان بن عيينة عن اختلاف قراءة المدنيين والعراقيين:

---

(١) التمهيد لابن عبد البر (تح عطا) ٣/ ٦٣٨. وهو في المرشد الوجيز ١٠٥ .

(٢) هو أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو الأموي بالولاء أبو الطاهر المصري من حفاظ الحديث له شرح الموطأ (ت ٢٥٠هـ) علىٰ خلاف (محقق المرشد الوجيز) .

(٣) المرشد الوجيز ١٠٥ - ١٠٦ .

هل يدخل في السبعة الأحرف؟ فقال لا، وإنما السبعة الأحرف كقولهم: «هَلُم»، «أَقْبِل»، «تَعَال». أيَّ ذلك قلتَ أجزأك. قال أبو طاهر: وقاله ابن وهب»[1].

## د ـ الإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيّ (صَاحِبُ المذْهَبِ الْفِقهِيِّ الشَّهِيرِ (ت ٢٠٤هـ):

عَرَضَ الإمام في كتابه (الرسالة) لاختلاف ألفاظ التشهد الذي يُقْرَأ في الجلوس في وسط الصلاة وآخرها، ولماّ طُلِبَ منه بيان سر هذا الاختلاف قال: «كلٌّ (أي كل رواية من روايات أول التشهد المختلفة) كلامٌ أُرِيدَ به تعظيمُ الله ﷻ. فعَلَّمَهم رسول الله ﷺ. فلعله جَعَلَ يُعَلِّمُه الرجلَ فيحفظهُ، والآخرَ فيحفظُه، وما أُخِذَ حفظا فأكثرُ ما يُحْتَرس فيه منه إحالةُ المعنىٰ، (فما لم)[2] تكن فيه (أي في ما عَلَّمَهم النبيُّ ﷺ إياه) زيادة ولا نقص ولا اختلاف شيء من كلامه يُحِيل المعنىٰ، (فإنه) لا تسع إحالته»[3] ثم استمر الشافعي قائلا: «فلعل النبي ﷺ أجاز لكل امرئ منهم كما حَفِظ، إذ كان لا معنىٰ فيه يُحِيل شيئًا عن حُكْمِه[4]. ولعل من اختلفت روايته واختلف تشهده، إنما توسعوا فيه فقالوا علىٰ ما حَفِظُوا، وعلىٰ ما حَضَرَهم وأُجِيزَ لهم».

(والواضح هنا أن الشافعي يقصد «بتوسعهم وقولهم علىٰ حفظهم» تجاوزَهم عن الحرفية في الحفظ، وأنهم رَوَوْا التشهد حسب ما حضرهم حفظُه، وهٰذا يعني جوازَ أن يكونوا بدَّلوا ألفاظا من ألفاظ التشهد، وأن ذلك مغتفر ما دام لا يغير المعنىٰ).

---

(١) نفسه ١٠٦ .

(٢) في الأصل: فلم. والسياق يقضي بما أثبت.

(٣) يُحيل المعنى أي يغيره، لا تَسَع إحالته أي لا تجوز تخطئته.

(٤) يحيل شيئًا عن حُكْمه أي يُحَوِّلُه ويغيره.

ولما سُئِلَ الشافعيُّ عن دليل يجيز هٰذا التبديلَ وقبولَه، اسْتَدَلَّ بحديث نزول القرآن علىٰ سبعة أحرف (الرواية التي فيها اختلاف عمر وهشام بن حكيم رضي الله عنهما)، وفي آخرها قوله ﷺ لكل منهما بعد ما استمع قراءته: «هكذا أنزلت». ثم قوله ﷺ: «إن هٰذا القرآن أنزل علىٰ سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر». ثم قال الشافعي :«فإذا كان الله ﷻ برأفته بخلقه -أَنْزَلَ كتابَه علىٰ سبعة أحرف، معرفةً منه (تعالىٰ) بأن الحِفْظ قد يَزِلّ، ليُحِلّ لهم قراءتَه، وإن اختلف اللفظ فيه- ما لم يكن في اختلافهم إحالةُ معنىٰ= كان ما سوىٰ كتاب الله أولىٰ أن يجوز فيه اختلافُ اللفظ، ما لم يُحِلْ معناه»[1] اهـ.

فانظر إلى قول الشافعي "..ليُحِلّ لهم قراءته وإن اختلف اللفظ فيه – ما لم يكن في اختلافهم إحالة معنى" ففيه الشاهد لأن معناه أن الله أَحَلّ للمسلمين قراءة القرآن بألفاظ مختلفة ما دام ذلك لا يغير المعنى.

## سَادِسًا : آرَاءُ المفَسِّرِينَ:

## وَسَنَجْتَزِئُ مِنْهُمْ بِرَأْيِ الْإِمَامِ الطَّبَرِيِّ وَرَأْيِ الْإِمَامِ الْقُرْطُبِيِّ:

### رَأْيُ الْإِمَامِ الطَّبَرِيِّ[2]:

ذكر الإمام الطبري تفسيره هٰذا في سياق كلامٍ عن اللغات. وتفصيلُ هٰذا أن

---

(١)الرسالة للإمام الشافعي (تح . أحمد محمد شاكر) ٢٦٩- ٢٧٤. وكلمة " معرفة منه تعالىٰ " – كذا هي. وبعض العلماء لا يجيزون إسناد (المعرفة) إلىٰ الله، لأنها تتعلق بالظاهر ويفضلون إسناد (العلم) بدلها. ينظر الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (تح. محمد باسل عيون السود) ص٩٣.

(٢) الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) من أشهر علماء الأمة، وتفسيره «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» من أوسع التفاسير وأكثرها التزامًا بالنص الكريم . وهو أولها جَمْعًا بين المأثور والرأي، وهو صاحب أول موسوعة تاريخية، وهو إمام في الحديث الشريف، والقراءات، وله مذهب فقهي.

الطبري ذكر نحو أربعين رواية لحديث نزول القرآن علىٰ سبعة أحرف ثم قال «صح وثبت أن الذي نزل به القرآن من ألسن العرب (= لهجات العرب) هو البعض منها دون الجميع..»[1] ثم قال :«والدلالة علىٰ صحة ما قلناه.. أنهم تماروا في (قراءة) القرآن، فخالف بعضُهم بعضًا في نفس التلاوة، دون ما في ذلك من المعانى"[2]. وقال في أسلوب استفهام تقريري :«فما الوجهُ الذي أَوْجَبَ (للمنكر علىٰ قارئ آخر) إنكار ما أنكر إن لم يكن كان ذلك اختلافًا منهم في الألفاظ واللغات» [3]. ثم وصل الطبري إلىٰ البيان الصريح الحاسم بقوله: «وبعدُ، فقد أبان صحةَ ما قلنا الخبرُ عن رسول الله ﷺ نصًّا. وذلك الخبرُ الذي ذكرنا أن أبا كريب حدثنا.. »عن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: قال جبريل: اقرأ القرآن علىٰ حرف. قال ميكائيل عليه السلام: استزده. فقال: علىٰ حرفين. حتىٰ بلغ ستةَ أو سبعةَ أحرف: فقال: كلُّها شافٍ كافٍ ما لم يختم آية عذاب بآية رحمة، أو آية رحمة بآية عذاب كقولك هلم وتعال». قال الطبري: «فقد أوضح نصُّ هٰذا الخبر أن اختلاف الأحرف السبعة إنما هو اختلافُ ألفاظ كقولك :«هلم» و«تعال» باتفاق المعاني ـ لا باختلاف معان موجبةٍ اختلافَ أحكام. وبمثل الذي قلنا في ذلك صحت الأخبار عن جماعة من السلف والخلف» (ثم ذكر الطبري حديث ابن مسعود «إني سمعت القَرَأَةَ فوجدتهم متقاربين، فاقرءوا كما عُلِّمْتُمْ، وإياكم والتنطع،

---

(١) تفسير الطبري (شاكر) ١/ ٤٦ - ٤٧ وفي نفس ص٤٧ تعبير آخر «أنه نزل بسبع لغات وأمر بقراءته علىٰ سبعة ألسن» وفي ص٤٨، والدلالة علىٰ صحة ما قلناه من أن معنىٰ قول النبي ﷺ:«نزل القرآن علىٰ سبعة أحرف» إنما هو أنه نزل بسبع لغات. فهو يقصد من اللغات (اللهجات): ما فيها من إبدال كلمة بأخرىٰ ـ دون سائر التصرفات اللهجية ـ ، كما هو صريح كلامه بعد حديث أبي بكرة المذكور أعلاه.

(٢) نفسه ص٤٨ .

(٣) نفسه ص٥٠ .

فإنما هو كقول أحدكم «هلم» و«تعال»...»[1]. (وذكر الطبري حديثين آخرين لنفي أن الاختلاف كان في الأحكام: الأمر والنهي والوعد والوعيد إلخ)[2] ثم ذكر ما رواه بسنده عن الأعمش أنه قال قرأ أنس (بن مالك) هٰذه الآيـة:«إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَصْوَبُ قِيلًا»[المزمل: ٦] فقال له بعض القوم: يا أبا حمزة: إنما هي :«وَأَقْوَمُ» فقال: أقوم، وأصوب، وأهيأ واحد»[3].

وقد عاد الطبري إلىٰ تأكيد رأيه هٰذا بعد عدة صفحات فقال :«بل الأحرف السبعة التي أنزل الله بها القرآن هن لغات سبع في حرف واحد وكلمة واحدة، باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني ـ كقول القائل: «هلم»،و«أَقْبل»،و«تعال»،و«إِلَيَّ»، و«قَصْدِي»، و«نَحْوِي»، و«قُرْبِي»، ونحو ذلك مما تختلف فيه الألفاظ بضروب من المنطق وتتفق فيه المعاني[4]، وإن اختلفت بالبيان به الألسن ـ كالذي روينَا آنفًا عن رسول الله ﷺ، وعمن روينا ذلك عنه من الصحابة أن ذلك بمنزلة قولك :«هلم» و«تعال» و«أَقبِلْ»، وقوله «مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا زَقْيَةً» و«إِلَّا صَيْحَةً»»[5].

وبذا وَضَح أن الطبري يرىٰ أن حديث الأحرف السبعة يئول إلىٰ إجازة قراءة كلمة بدلا من كلمة أخرىٰ، وإن كان ذكر ذلك في سياق أن الأحرف السبعة لغات .

---

(١) الطبري ١/ ٥٠ .

(٢) نفسه ١/ ٥١-٥٢.

(٣) نفسه ١/ ٥٢ .

(٤) كلمة «إِلَيَّ» معناها: احضر عندي، وكذلك كلمة «قَصْدِي» اقصدني، وكلمة «نَحْوِي:» تَعالَ ناحيتي، وكلمة «قُرْبِي» بمعنىٰ : اقترب مِنِّي. فكل منها اسم فعل أمر معناه: «تعال» أو «أقبل».

(٥)نفسه ١/ ٥٧- ٥٨.

ـ جاء في الفقرة الآتية مما نقلناه عن القرطبي أن هـٰذا الرأي عليه أكثر أهل العلم كسفيان بن عيينة، وعبد الله بن وهب، والطبري، والطحاوي، وابن عبد البر، كما يؤخذ من تعليق القاضي أبي بكر الباقلاني أنه يجيزه .

وقد أسلفنا كلام سفيان، وابن وهب و الطحاوي والطبري .

## الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ :

انتقىٰ الإمام القرطبي صاحب التفسير خمسة أقوال في تفسير حديث نزول القرآن علىٰ سبعة أحرف نجتزئ بأولها، قال القرطبي:

«وقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة علىٰ خمسة وثلاثين قولا ذكرها أبو حاتم محمد بن حبان البُسْتِيّ، نذكر منها في هٰذا الكتاب خمسة أقوال:

**الْأَوَّلُ:** وهو الذي عليه أكثر أهل العلم كسفيان بن عيينة، وعبد الله بن وهب، والطبري، والطحاوي، وغيرهم: أن المراد سبعة أوجه من المعاني المتقاربة بألفاظ مختلفة، نحو «أَقبِلْ»و«تَعَالَ»و«هَلُمَّ». قال الطحاوي: وأبينُ ما ذكر في ذلك حديث أبي بكرة قال: جاء جبريل إلىٰ النبي ﷺ فقال اقرأ علىٰ حرف؛ فقال ميكائيل: استزده؛ فقال: اقرأ علىٰ حرفين؛ فقال ميكائيل: استزده، حتىٰ بلغ إلىٰ سبعة أحرف؛ فقال: اقرأ فكلٌّ شافٍ كافٍ إلا أن تخلط آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة؛ علىٰ نحو «هلم» و«تعال» و«أقبل»، و«اذهب» و«أسرِعْ» و«عَجِّلْ». وروى ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس عن أُبي بن كعب أنه كان يقرأ: ﴿ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا﴾ [1]: «لِلَّذِينَ آمَنُوا أَمْهِلُونَا»، «لِلَّذِينَ آمَنُوا أَخِّرُونَا»، «لِلَّذِينَ آمَنُوا

(١) آية ١٣ سورة الحديد .

ارْقُبُونَا». وبهٰذا الإسناد عن أُبي أنه كان يقرأ : ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ ﴾[1]: «مَرُّوا فِيهِ»، «سَعَوْا فِيهِ». وفي البخاري ومسلم قال الزهري: إنما هذه الأحرف في الأمر الواحد ليس يختلف في حلال ولا حرام»[2].

(وهنا تابع القرطبي كلامه قائلا):

«قال الطحاوي: إنما كانت السَعَةُ للناس في الحروف، لعجزهم عن أخذ القرآن علىٰ غير لغاتهم ؛ لأنهم كانوا أميين لا يكتب إلا القليلُ منهم؛ فلما كان يشق علىٰ كل ذي لغة أن يتحول إلىٰ غيرها من اللغات؛ ولو رام ذلك لم يتهيأ له إلا بمشقة عظيمة، فوُسِّع لهم في اختلاف الألفاظ إذا كان المعنىٰ متفقًا، فكانوا كذلك حتىٰ كثر منهم من يكتب، وعادت لغاتهم إلىٰ لسان رسول الله ﷺ ، فقَدَرُوا بذلك علىٰ تحفُّظ ألفاظه، فلم يسعهم حينئذ أن يقرءوا بخلافها. قال ابن عبد البر: فبان بهٰذا أن تلك السبعة الأحرف إنما كانت في وقت خاص لضرورة دعت إلىٰ ذلك، ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حُكْم هٰذه السبعة الأحرف، وعاد ما يُقرأ به القرآن علىٰ حرف واحد».

روىٰ أبو داود عن أُبِيٍّ: قال لي رسول الله ﷺ: « يا أُبَيُّ إني أقرئت القرآن فقيل لي علىٰ حرف أو علىٰ حرفين؟ فقال المَلَك الذي معي: قل: علىٰ حرفين. فقيل لي: علىٰ حرفين أو ثلاثة؟ فقال المَلَك الذي معي: قل: علىٰ ثلاثة. حتىٰ بلغ سبعة أحرف. ثم قال: ليس منها إلا شافٍ كافٍ. إن قلتَ :«سميعًا عَلِيمًا» «عَزِيزًا حَكِيمًا» ما لم تخلط آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب». وأسند ثابت بن قاسم نحو هٰذا الحديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، وذَكَر من كلام ابن مسعود نحوه. قال القاضي ابن الطيب الباقلاني: وإذا ثبتت هٰذه الرواية ـ

---

(١) آية ٢٠ سورة البقرة .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ـ للقرطبي (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١/ ٤١-٤٢.

يريد حديث أُبَيّ ـ حُمِلَ علىٰ أن هـٰذا كان مطلقًا ثم نُسِخَ، فلا يجوز للناس أن يبدلوا اسم الله تعالىٰ في موضع بغيره مما يوافق معناه أو يخالف».

❊ ❊ ❊

## سَابِعًا : مِنْ حِكَايَةِ الْإِمَامِ السُّيُوطِيِّ لِآرَاءِ الْأَئِمَّةِ:

جاء في الإتقان في الأقوال في المراد بالأحرف السبعة في الحديث.

(القول التاسع) أن المراد سبعةُ أوجه من المعاني المتفقة بألفاظ مختلفة نحو «أَقْبِل» و«تعال» و«هلم» و«عَجِّلْ» و«أَسرِعْ». وإلىٰ هٰذا ذهب سفيان بن عيينة وابن جرير (الطبري) وابن وهب (صاحب الإمام مالك) وخلائق. ونسبه ابن عبد البر لأكثر العلماء. قال السيوطي ويَدُلُّ له ما أخرجه أحمد والطبراني من حديث أبي بكرة أن جبريل قال يا محمد: اقرأ القرآن علىٰ حرف قال ميكائيل استزده. حتىٰ بلغ سبعة أحرف قال: كل شافٍ كافٍ ما لم تخلط آية عذاب برحمة، أو رحمة بعذاب نحو قولك: «تعال» و«أقبل» و«هلم» و«اذهب» و«أسرع» و«عَجِّل». هـٰذا اللفظُ روايةُ أحمد وإسناده جيد. وأخرج أحمد والطبراني أيضًا عن ابن مسعود نحوه. وعند أبي داود عن أُبي: قلتَ "سميعًا عليمًا" "عزيزًا حكيمًا" ما لم تخلط آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب. وعند أحمد من حديث أبي هريرة: أُنْزِلَ القرآن علىٰ سبعة أحرف "عَلِيمًا حَكِيمًا"، "غَفُورًا رَحِيمًا". وعنده أيضًا من حديث عمر بأن القرآن كله صواب ما لم تجعل مغفرة عذابًا وعذابًا مغفرة. أسانيدها جياد. قال ابن عبد البر: إنما أراد بهـٰذا ضَرْبَ المثل للحروف التي نزل القرآن عليها أنها معانٍ متفقٌ مفهومُها مختلِفٌ مسموعُها، لا يكون في شيء منه معنىٰ وضده. ثم أسند عن أُبِيِّ بن كعب أنه كان يقرأ: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾[البقرة: ٢٠] «مَرُّوا فِيهِ» ،«سَعَوْا فِيهِ»: وكان ابن مسعود يقرأ: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا﴾[الحديد: ١٣]: «أَمْهِلُونَا». «أَخِّرُونَا».

قال الطحاوي: وإنما كان ذلك رخصةً لمّا كان يتعسَّر علىٰ فريق منهم التلاوةُ بلفظ واحد، لعدم علمهم بالكتابة والضبط، وإتقان الحفظ، ثم نُسِخَ بزوال العذر وتيسير الكتابة والحفظ.

قال السيوطي: وكذا قال ابن عبد البر والباقلاني وآخرون»[1].

# ولتكملة المعالجة

ينظر الفصل المعقود لكلمة (لغة)، وكلمة (حرف) و الملحق الخاص بمكان لقاء جبريل بالنبي ﷺ لتبليغ حديث الأحرف السبعة، والفصل الثالث من الباب الثالث عن تدوين القرآن الكريم خطيًّا فور نزوله .

❊ ❊ ❊

وبعد، فإنه يتبين. بمراجعة ما انتهت إليه كلٌّ من المعالجات الثلاث – أنها كلها تؤدى إلى معنى واحد معيّن للمراد بحديث (نزول القرآن على سبعة أحرف)، وأن هذا المعنى يطابق «ما ذهب إليه جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين» على ما نص في ص ١٢٤ ، ١٢٥ من هذا الكتاب

والحَمْدُ للَّـهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ هَـٰذَا الْعَمَلَ قَبُولًا حَسَنًا ، وَانْفَعْ بِهِ الدَّارِسِينَ ،

وَخَاصَّةً أَهْلَ الْقُرْآنِ . اللَّهُمَّ آمِين.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ ،

وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ آمِينَ



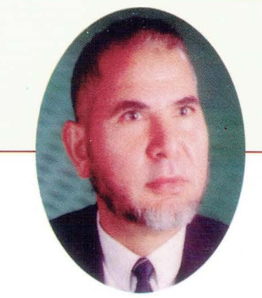

(١) الإتقان (عالم الكتب) ١/ ٤٦ – ٤٧.

# فِهْرِسُ الْكِتَابِ

الْمَوْضُوعُ | الصَّفْحَةُ

# القضية القرآنية الكبرى
## حديث
# نزول القرآن على سبعة أحرف






## المؤلف الأستاذ الدكتور محمد حسن حسن جبل

من مواليد ١٠ / ٣ / ١٩٣١م - محافظة كفر الشيخ .

"عالية" اللغة العربية بجامعة الأزهر ١٩٥٦م .

ليسانس آداب فى الفلسفة - جامعة القاهرة ١٩٥٧م.

دبلوم عامة وخاصة في التربية - جامعة عين شمس ١٩٥٧، ١٩٦٥م .

ماجستير في اللغة العربية - تخصص أصول اللغة - جامعة الأزهر ١٩٦٧م .

دكتوراه فى أصول اللغة - جامعة الأزهر ١٩٧٦م .

بدأ معايشته لفقه اللغة العربية منذ تسجيل رسالته للدكتوراه في موضوع "أصول معاني ألفاظ القرآن الكريم سنة ١٩٦٧م.


## من مؤلفاته :

- المعجم الاشتقاقى المؤصل لألفاظ القرآن الكريم .
- القضية القرآنية الكبرى " حديث نزول القرآن على سبعة أحرف" .
- الاحتجاج بالشعر في اللغة .
- الاستدراك على المعاجم العربية .
- الدلالات اللغوية والقرآنية .
- أصوات اللغة العربية .
- دفاع عن القرآن الكريم .
- التلقى والأداء في القراءات القرآنية .
- وثاقة نقل النص القرآني الكريم .
- الرد على جولدتسيهر في مطاعنه على القراءات .
- المعنى اللغوي ، دراسة عربية مؤصلة نظريًا وتطبيقيًا.
- علم فقه اللغة العربية ، أصالته ومسائله .
- علم الاشتقاق دراسة نظرية وتطبيقية .
- في الاشتقاق اللغوي والمعجم الاشتقاقي .


ISBN 978 977 468 618 4

